

الإنسان أخو الإنسان

أحب أم كره

مجموعة مؤلفين

حول رؤية الشيخ محمد حبش

المذهب الإنساني في الإسلام





نفرتي تي
neferitipst
للنشر
والدراسات والترجمة

■ الإنسان أخو الإنسان: دراسات فى كتاب المذهب الإنساني في الإسلام

المؤلف: الشيخ محمد حبش
الطبعة الأولى: 2026م

التنسيق الداخلي: صفوت بسطا
الإشراف العام: السيد عبد الفتاح

طبع بمطابع الشروق

■ دار نفرتيتي للنشر والدراسات والترجمة - مصر
22 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
01148852668 © 23950347 ©
nefertitipst@gmail.com ☎ @nefertitipst f

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

حبش، محمد

الإنسان أخو الإنسان: دراسات فى كتاب
المذهب الإنساني في الإسلام

تأليف: علي فوزي

دار نفرتيتي للنشر والدراسات والترجمة -

مصر 2026 246 ص، 17 سم

تدمك: 978-977-9674-86-5

- 1 - الفلسفة الإسلامية
- 2 - الأخلاق الإسلامية
- 3 - التصوف الإسلامي
- أ - العنوان

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع: 2025/37769

الرقم المعياري الدولي: 978-977-9674-86-5 ISBN:

إن الآراء الواردة في هذا المصنف لا تعبر بالضرورة عن آراء وتوجهات الناشر
وإنما تعبر عن رأي المؤلف وتوجهاته فقط ..

يمنع نشر أو نسخ أو ترجمة أو استعمال هذا الكتاب أو جزء منه بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية ، بما فيها التسجيل
الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن
كتابي من الناشر، طبقاً لقانون حماية الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 والقوانين المماثلة دولياً

It is prohibited to publish, copy, translate or use this book or part of it in any photographic, electronic or mechanical
means, including photographic recording, recording on tapes or readable discs, or any other means of publishing,
including storing and retrieving information without written permission from the publisher, in accordance with the
law Protection of Intellectual Property No. 82 of 2002 and similar laws internationally.



9 789779 674865

الإنسان أخو الإنسان

أحب أم كره

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً
عمر بن الخطاب

والناس اثنان
إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق
علي بن أبي طالب

الإنسان سر الله في هذا العالم، وخليفته في الأرض، خلقه بيديه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السموات والأرض، وبهذا المعنى فإن الذاريات ذرواً والحاملات وقراً والجاريات يسراً والمرسلات عرفاً والعاصفات عصفاً والنازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، وكل ما خلق الله من ملائكة وثرورات وخصب ونور في السماء والأرض مسخر للإنسان وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً

محمد حبش

مقدمة

أطلق الدكتور محمد حبش مشروعاً تنويرياً مؤثراً في الساحة الثقافية في المشرق العربي، وتناولته أقلام كثيرة في العالم الإسلامي بالدرس والتحليل، وقام فيما بعد بإصدار كتابيه المذهب الإنساني في الإسلام وإخاء الأديان وقد فتحت هذه الكتب أبواب الحوار بشكل غير مسبوق، وطرحت الأسئلة الكبيرة في علاقة المسلم بالحياة، ومستقبل المواجهة بين المسلم والعالم من حوله، وقد حظيت هذه الأفكار بقبول جيد في الشارع الإسلامي، واعتبرت امتداداً لأعمال المصلحين، وتطبيقاً لأصول الفقه الإسلامي وإحياء لمدرسة الإصلاح الديني في مصر التي قادها الشيخ محمد عبده وتبلورت فيما بعد عبر أعلام كبار كمالك بن نبي ومحمد إقبال وجودت سعيد.

ولكن الكاتب تعرض في الوقت نفسه لمواجهة قاسية من المؤسسات التقليدية والشخصيات المحافظة التي رأت في هذا التوجه انحرافاً عن نهج السلف وتمييعاً لثقافة الجهاد، وإلغاء لمبدأ الولاء والبراء، القائم على أساس المواجهة الحتمية مع العالم الآخر الكافر.

وبإزاء ذلك ظهرت أصوات مهمة في ساحة الفكر الإسلامي كتبت في المذهب الإنساني بعمق ومسؤولية، وقدمت رفيداً من الكلمة والحكمة والبرهان للتوجه الإنساني المطلوب في المجتمعات المسلمة، وشرحت جوانب البرهان والتحديات من زوايا أخرى، وأسهمت في ترسيخ الحاجة إلى تعزيز المفاهيم الإنسانية في المجتمعات المسلمة بعد مرحلة طويلة من الخطاب الظاهري الذي كان يرفض منح أي اعتبار في التشريع للقيم الإنسانية، ويصر أن هذه القيم مبهمة وغامضة، وأنه لا يستقيم لها معنى إلا بعرضها على كلام السلف، وأن المطلوب هو الوقوف على ما وقف عليه الأولون فإنهم عن علم وقفوا، وأن كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداء من خلف.

في هذا الكتاب نقدم مجموعة من مواقف النخب الثقافية الملهمة التي تناولت رسالة الإخاء الإنساني التي أطلقها الدكتور حبش، وهي شخصيات معروفة في العالم العربي بغزارة إنتاجها الأدبي والعلمي والفكري، وقد أسهمت في ترشيد رسالة الإخاء الإنساني،

ووقفت عموماً إلى جانب المبدأ الإنساني، وقدمت قراءات متعددة حول التأصيل الديني والعقلي والمجتمعي لثقافة الإخاء الإنساني.

يأتي هذا الكتاب في سياق سلسلة كريمة تصدرها دار نفرتيتي في القاهرة بالتعاون مع مركز الدراسات لبحوث الإخاء الإنساني في الشارقة تعزز التوجه الإنساني في الإسلام بعد سلسلة من المصادمات العنيفة بين الشرق والغرب، وتصاعد الإسلاموفوبيا والإرهاب بشكل متواز على ضفتي المشرق والمغرب.

ويمثل هذا الكتاب منصة فكرية جديدة يلتقي فيها أصحاب التوجه الإنساني، في مقدمة لإطلاق مشاريع فكرية واعدة تسهم في تحرير الإنسان وانتصار البرهان، وتعزيز الدور الإنساني في التشريع والإدارة.

كما أن هذا الكتاب يأتي أيضاً للتعريف بنخبة من الكتاب الإنسانيين، الذين عرفوا في حقول الفكر المختلفة، وقد قرأ لهم الناس في الفكر والأدب والتراث، ولكم يقرؤوا لهم في حقل الإخاء الإنساني، وستوفر هذه المنصة منبراً حيواً لنشر فكرهم وعطائهم.

ومن جانب آخر فإن هذه المنصة ستعرف بمجموعة من الكتاب الشباب الذين يقرؤون المستقبل بروح نقية، ويمثلون أقلاماً واعدة، ترسم المستقبل بروح بصيرة ورؤية متجددة.

ولا يخفي مركز دراسات الإخاء الإنساني غايته المباشرة في نشر القيم الإنسانية في المجتمع المسلم والمجتمع العربي عموماً، وكلنا أمل أن نسهم في زراعة هذه القيم في الجيل الجديد بالبرهان العلمي والمعرفي، لعلنا نخفف من غلواء اللغة الإقصائية والتمييزية والاحتكارية التي تطبع خطابنا السياسي والديني والتي تسببت بالكوارث المعروفة من القطيعة والتناحر والخصام وأحياناً المواجهات والحروب، ولعل القيم الإنسانية التي نعمل على إحيائها، في سياق نور الوحي ونفحاته ترسم لوحة جديدة أكثر أملاً وإشراقاً لبلادنا الواعدة.

فريق التحرير في مركز دراسات الإخاء الإنساني



علي وطفة

الدكتور علي أسعد وطفة، أكاديمي سوري وأديب وعالم في اللغويات واللسانيات، ورائد من رواد التنوير، يُعد من أبرز الأصوات النقدية في الفكر التربوي العربي، يجمع بين العمق الأكاديمي والجرأة الفكرية في معالجة قضايا التعليم والمجتمع.، وهو أستاذ علم الاجتماع التربوي في جامعة دمشق، انتقل إلى الكويت حيث عمل في جامعاتها ومؤسساتها الأكاديمية، وله إسهامات واسعة في الفكر التربوي والنقد الاجتماعي، وهو عضو اتحاد الكتاب العرب. يقود الدكتور أسعد علي مشروعاً نهضوياً للتنوير، وقد أطلق مجلته نقد وتنوير التي استقطبت مئات الكتاب والمفكرين، وقد حققت نجاحاً واضحاً وباتت مجلة محكمة على نطاق واسع، وقد نجحت في رسم مسارات التنوير بوعي وبصيرة.

نال الدكتور وطفة عدداً من الجوائز الدولية من أبرزها: جائزة حميد بن راشد للعلوم الاجتماعية ٢٠١٤، جائزة البحث المتميز من جامعة الكويت ٢٠٠٩، كما قام بترجمة عدد من كتب الفلسفة الغربية المهمة، ومنها: بيير بورني: فلسفة الحب، وأميل دوركهيم: التربية والمجتمع.

صدر للدكتور وطفة عدد من المؤلفات منها: العنف والعدوانية في التحليل النفسي، الجمود والتجديد في العقلية العربية، الاغتراب والأسنة في مفهوم الفردانية.

يقدم الدكتور علي وطفة في قراءته جوانب مهمة في المذهب الإنساني الذي يتبناه الدكتور حبش، وهو يؤكد أن المشروع الفكري للدكتور محمد حبش هو إحدى أبرز المحاولات المعاصرة لإعادة إحياء روح التنوير الإسلامي من داخل النص الديني ذاته، دون القطيعة مع التراث ودون الاغتراب عن متطلبات العصر.

محمد حبش
عرب التنوير الإسلامي
في الأزمنة الصعبة
قراءة ومضية في فكر التسامح

«الحضارة تراكم بصيرة... والتخلف تراكم أعمى، والحضارة انتخاب... والتخلف تجميع؛ وفي الحضارة البقاء للأصلح، وفي التخلف البقاء للأقوى» (محمد حبش). ويؤكد غاندي قائلاً: سنكسب معركتنا لا بمقدار ما نقتل من خصومنا، ولكن بمقدار ما نقتل في نفوسنا الرغبة في القتل. (غاندي)

مقدمة:

يشكل الخوض في المشروع الفكري الإنساني للدكتور محمد حبش مغامرة فكرية صعبة ومعقدة، وكيف لا يكون الأمر شاقاً وأنت في رحاب مشروع تنويري تترامى أطرافه على امتداد أربعة عشر قرناً من الزمن؟ وهو المشروع الذي صُمِّمَ لمواجهة تسعة قرونٍ من الجمود والتخلف والسقوط الحضاري الذي اكتسب طابعاً دينياً مقدساً، فتصلب في العقول وتكلس في النفوس والقلوب. وما أشق وأصعب من مواجهة هذا النمط من التخلف الحضاري الشامل الذي ارتبط زيقاً بالمقدس واستغرق فيه لياخذ صورة جهل مقدس لا يمكن مواجهته أو معاندته حضوره. في مواجهة هذا الواقع المتخلف المتصلب تصدى عددٌ من المفكرين العمالقة - وهم قلة - لهذا المدّ الأسطوري للتخلف والجهل المقدس. ولم يكن التنوير حدثاً مفاجئاً في التاريخ الإسلامي، بل كان تياراً خفياً يومض حين يتنفس العقل حرته، وسرعان ما يخبو حين يشتد عليه طوق القداسة والتقليد. ومنذ البدايات الأولى، لمع في أفق الروح الإسلامية رجالٌ حملوا شعلة النور وتناقلوها جيلاً بعد جيل، كأنهم خيطٌ ذهبي يشق العصور. ويتمثل هذا الخطّ التنويري بمفكرين عمالقة أمثال الحسن البصري، وواصل بن عطاء (المعتزلة)، والسهروردي، وابن عربي (الصوفي)، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد، وجلال الدين الرومي، والشاطبي (الأصولي)، والمعري، وصولاً إلى عمالقة الفكر التنويري المعاصر أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وحسن حنفي، ومحمد عابد الجابري، ونصر حامد أبو زيد، والطيب تيزيني، وجودت سعيد. وقد توهج هذا الخطّ التنويري بالعطاء الفكري التنويري الثوري للدكتور محمد حبش الذي توجّه باستنارة فكرية جديدة تميّزت بطابع العمق والشمول والابتكار في عصر الميديا والثورة الرقمية.

وعلى خطى المدّ التنويري لرواد التنوير والعقلانية في العالم، خطى حبش على مسارات كل من مارتين لوتر، وإيمانويل كانط، وجان جاك روسو، وجون لوك، وباروخ سبينوزا، وجون ستوارت ميل، وبودا، والمهاتما غاندي، وطاغور، ومانديلا. واستطاع أن يتمثل معطيات هذا الفكر العلمي، وأن يجسدها على نحو مبتكر في سياق مشروعه الإنساني على نحو جديد. وعلى هدي هؤلاء جميعاً أراد حبش أن يحطم أوثان التصلب وأركان التعصب بكل أشكاله الدينية والسياسية والاجتماعية، وقد أنجز مشروعه إنسانياً تنويرياً متكامل الأبعاد والاتجاهات في مجالي الفكر والعمل، ليكرس مفهوم التسامح الديني عبر رسالة إنسانية في الحب والسلام الأبدي للإنسان والإنسانية. وتوحي أن يندد أوهام التصلب الديني وأن يحطم التقاليد العمياء ليحدث انتفاضة فكرية عميقة الجذور ضد كل أشكال الوهم الديني المقدس التي وضعت الإنسان العربي في مهبّ الجهل والجاهلية الأولى.

وفي غمرة الأحداث السياسية والاجتماعية الرهيبة التي فرضت حضورها الجنوني في الساحة الفكرية والسياسية العربية المعاصرة، أطل علينا الدكتور محمد حبش مضيئاً ومتوهجاً في رحاب الفكر العربي الإسلامي التنويري في العصر الحديث؛ فقدّم لنا مشروعه فكرياً إسلامياً تنويرياً تميّز بقدرته على تغطية مختلف القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية في زمن الميديا والثورة الرقمية المذهلة. ومن يراقب الساحة الفكرية سيجد أن المشروع التنويري للدكتور محمد حبش يمتد على صفحات أكثر من ستين كتاباً ومئات الأبحاث والدراسات التي تغطي مختلف القضايا الحيوية والإشكالية في التراث والماضي والحاضر، وهي القضايا التي تشغل الفكر والثقافة والحياة في العالم العربي. وهنا يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن قيمة هذه الكتب لا تتمثل في عددها الكبير، بل في الطاقة الإبداعية لكل عمل من هذه الأعمال، إذ يمثل كل منها صرخة إبداعية متفردة في مجال الدعوة النقدية إلى تغيير الواقع وإصلاحه وتجدير القيم الإنسانية التسامحية في الفكر الديني الإسلامي من أجل العمل على تأسيس مجتمع ينطلق من الأصالة الدينية إلى الحداثة الفكرية والأخلاقية للعصر الحديث. ولو حاولنا أن نفرّد عناوين الكتب التي سطرها حبش لوجدنا أنها تغطي أخطر المشكلات والتحديات الفكرية والاجتماعية التي واجهت الفكر العربي والمجتمعات العربية منذ عصر الإسلام الأول وحتى زمن الثورة الرقمية.

وقد عرف حبش مفكراً ومناضلاً إنسانياً اعتلى المنابر الفكرية في مختلف المؤسسات العلمية في جميع أنحاء العالم، واستطاع أن يؤسس لعدد كبير من المؤسسات العلمية والفكرية. ولا غبار في القول إن حبشاً قد أسس التيار الإنساني في الفكر العربي الإسلامي، وقد تجلّى ذلك في

رسالته الإنسانية التي تحمِلُ شعارَ «إخاء الأديان»، وهو مفهومٌ أصبحَ رائجًا في الثقافة الإسلامية ويمثُلُ تيارًا عميقًا ومؤثرًا في الثقافة الإسلامية المعاصرة. وأصبحَ مفهومُ «إخاء الأديان» للدكتور محمد حبش بصفةٍ يُعرَفُ بها، كما عُرفَ غاندي بمفهوم «النَّضالِ السَّلمي» ضدَّ العنف. وقد احتفَتْ جامعاتٌ كثيرةٌ بحضورِ حبشٍ أستاذًا زائرًا فيها، ولاسيما في جامعة هلسنكي في فنلندا عام ١٩٩٨، وجامعة لوند في السويد ٢٠٠٣، وجامعة كرايوفا في رومانيا ٢٠٠٩، وجامعة أوسلو في النرويج ٢٠١٢، وجامعة روستوك في ألمانيا ٢٠١٦، وجامعاتٍ أخرى كثيرة.

المشروع التنويري:

«الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ؛ فمن فاقَكَ في الخُلُقِ فاقَكَ في الدِّينِ» — ابنُ الجوزيِّ
يتميّزُ مشروعُ الدكتور محمد حبش بقدرته على اختراقِ ثنائيةِ المعاصرة والحداثة؛ وهو نمطٌ من التفكير الخلاق الذي استطاعَ أن يهدمَ الحواجزَ التي وُضعت عبر القرون بينَ الرُّوحِ الإسلاميَّةِ السَّمحة وقيمِ العصرِ الحداثيَّةِ وتطلُّعاتِهِ الإنسانية. وعليه، فقد استطاعَ الدكتور حبش في غمرةِ نضاله الفكريِّ تنقيةَ الفكرِ الإسلاميِّ من شوائبِ الخرافاتِ والأوهامِ والفتاوى السياسيَّةِ المرَضِيَّةِ التي مرَّقت وحلَّت هذه الأمةَ ودمَّرت تراثها الإنسانيَّ، وأنَّ يحقِّقَ الانسجامَ بينَ الإسلامِ والفكرِ الإنسانيِّ المعاصرِ.

ويمثُلُ المشروعُ الفكريُّ للدكتور محمد حبش إحدى أبرزِ المحاولاتِ المعاصرة لإعادةِ إحياءِ روحِ التنويرِ الإسلاميِّ من داخلِ النَّصِّ الدينيِّ ذاته، دونَ القطيعةِ مع التراثِ ودونِ الاغترابِ عن متطلباتِ العصرِ. ويستندُ محمدُ حبش في قراءته للدِّينِ إلى منهجِ إعادةِ القراءة لا إلى تكرارِ الفهمِ الموروثِ.

وهذا النهجُ يُقارِبُ منهجَ ابنِ رشدَ وكانطَ وسبينوزا ومحمدِ عبده. فالدِّينُ الإسلاميُّ كما يراه حبش يتَّسمُ بجلالِهِ الإنسانيِّ وسموِّهِ الأخلاقيِّ. وقد بيَّنَ لنا في مشروعه الإنساني هذا أنَّ الرُّوحَ الإنسانيَّةَ الخلَّاقةَ للإسلام لا تتناقضُ مع رُوحِ الحداثة وجوهرِها، ووجدَ أنَّه لا مناصَّ لنا من القضاءِ على ثنائيةِ الأصالةِ والمعاصرة من أجلِ ثقافةٍ إسلاميَّةٍ رَشيقةٍ خلَّاقةٍ تتخاصَّبُ فيها القيمُ الدِّينيَّةُ الأصيلةُ مع معطياتِ الحُرِّيَّةِ والكرامةِ والحقوقِ الإنسانيَّةِ للحداثة الفكرية والاجتماعية المعاصرة. وهذا يعني أنَّ حبشًا لم يأت ليؤجِّج الصِّراعَ بينَ العقلِ والنَّصِّ، بينَ الحداثة والقداية، بينَ الأصالةِ والمعاصرة. ولم يأت أيضًا ليُعيدَ صدىِ المنابرِ، بل جاء ليودعَ في قلبِ الخطابِ الدِّينيِّ همًّا إنسانيًّا نديًّا قوامُهُ: أنَّ الدِّينَ لا يقفُ على أبوابِ المحاكم ولا يكمنُ في أتونِ

المعارك، بل هو طيفٌ رُوحانيٌّ يَسْكُنُ في قلبِ الإنسانِ روحًا أصيلةً تتجلى في الكونِ جمالًا وحبًّا وعطاءً تَسَامُحِيًّا لا يُوصَفُ. وقد رأى في النَّصِّ نافذةً ناعمةً مُنْفَتِحَةً على العالمِ لا جدارًا صلبًا وحِصنًا حصينًا، واكتشفَ في الشريعةِ أطيافَ أَجْنَحَةٍ خَلَّاقَةٍ لا قُيُودًا وحُدُودًا جامدةً، ووجدَ في الفقهِ الإسلاميِّ انسيابًا إنسانيًّا يتدفَّقُ بالعطاءِ ويَهْبُ للقلبِ معناه الإنسانيَّ. وعلى هذا، لم يَكُنْ في مشروعهِ صَدَى لِصَلِيلِ السُّيُوفِ، ولا مَوْعَاً لِلسَّجَالِ وَالْقَتَالِ وَالْهُجُومِ وَالرَّدِّ وَالرَّفْضِ، بل كانَ مشروعهُ كَشْفًا رُوحِيًّا يَنْدَى بِالْجَمَالِ وَيَمُوجُ بِالْحَبِّ وَيَسْمُو بِالْقِيَمِ العُلَيَا. وقد أرادُهُ كَشْفًا لوجهِ الدِّينِ الْحَقِيقِيِّ، الدِّينِ الْحَنِيفِ الَّذِي يَتَدَفَّقُ بِالْعَطَاءِ الْإِنْسَانِيِّ، وأرادَ أَنْ يُجَلِّيه وَأَنْ يُحَرِّرهُ مِنْ أَيْدِيولوجيا السُّلْطَانِ وَسُلْطَانِ الطُّغَاةِ وَالطُّغَيَانِ، وَغُبَارِ الْخَوْفِ وَالْغَلْبَةِ. هُنَاكَ، وَهنا، وفي مشروعهِ هذا يَتَجَلَّى الإنسانُ غَايَةً للمعنى ومنصَّةً للرحمةِ يَتَدَفَّقُ تَأْوِيلًا في الحبِّ فَقَها وفي الدِّينِ مَاوَى للروحِ والمعنى لا مِتراسًا للتوَحُّشِ وَالْعَنَفِ.

ولم يَكُنْ مشرُوعُ الدكتورِ مُحَمَّدٍ حَبِشٍ مُجَرَّدَ امْتِدَادٍ ميكانيكيٍّ لجهودِ التنويرِ التي سَبَقَتْهُ، ولا تَكَرَّارًا لصدَى أصواتِ حَبَّتْ في الذاكرةِ. لقد جاءَ مشروعهُ كأنَّه روحٌ جديدةٌ تُولَدُ في عُمقِ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ لِتُحَرِّرهُ مِنْ أَدْرَانِهِ بَعْدَ أَنْ أَثْقَلَتْهُ الْقُرُونُ الْوَسْطَى بِظِلَالِ الْجَدَلِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْحُدُودِ. لقد حاولَ رَوَّادُ الإِصْلَاحِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يُعِيدُوا فَتَحَ بابِ الْعَقْلِ، لَكِنْ حَبِشًا ذَهَبَ إِلَى ما هُوَ أَبْعَدُ؛ لَمْ يَبْحَثْ عَنِ الْعَقْلِ لِدَاتِهِ، وَلَا عَنِ النَّصِّ لِسُلْطَانِهِ، بل عَنِ الْإِنْسَانِ بِوصْفِهِ مَرَكَزَ الْحُضُورِ وَغَايَةَ الرِّسَالَةِ. وَكَأَنَّهُ يَرْفَعُ رايَةً يَقُولُ: «الدِّينُ خُلِقَ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، وَلَمْ يُخْلَقِ الْإِنْسَانُ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ». وقد أَكَّدَ في جَلِّ عَطَائِهِ أَنَّ الْفَائِيقَ فِي الْأَخْلَاقِ هُوَ الْفَائِيقُ فِي الدِّينِ لِأَنَّ الدِّينَ أَخْلَاقٌ. وقد جاءَ في الْحَدِيثِ قَوْلُ النَّبِيِّ: «إِنَّمَا بَعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، وجاءَ في النَّصِّ الْمُقَدَّسِ: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». وَبَيْنَمَا انشَغَلَ بِعُضِّ التَّنْوِيرِ بِنَقْدِ التَّرَاثِ أَوْ بِتَفْكِيكِهِ أَوْ بِجَلْدِهِ، اخْتَارَ حَبِشٌ طَرِيقًا آخَرَ: طَرِيقَ الشِّفَاءِ. لَمْ يَكُنْ يَعْيدُ قِرَاءَةَ النَّصِّ لِيُحَاكِمَهُ، وَلَا لِيَسْتَدْرِجَهُ إِلَى الْعَصْرِ قَسْرًا، بل كَانَ يَفْتَحُ فِيهِ نَوَافِدَ لِلضُّوءِ، كَمَنْ يَبْحَثُ عَنْ نَبْضِهِ الْأَوَّلِ: الرَّحْمَةُ، السَّكِينَةُ، اتِّسَاعُ الْقَلْبِ، وَكَرَامَةُ الرُّوحِ.

أَمَّا السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ — الَّتِي تَحَوَّلَتْ عِنْدَ بَعْضِهِمْ إِلَى سَجَلٍ مَعَارِكٍ وَقَوَائِمِ غَزَوَاتٍ — فَقَدْ أَعَادَ حَبِشٌ إِلَيْهَا نَبْضَهَا الْإِنْسَانِيَّ. اسْتَخْرَجَ مِنْهَا ما يُكَبِّرُ الْإِنْسَانَ وَلَا يُصْغِرُهُ، ما يُحَرِّرهُ وَلَا يُقَيِّدُهُ، ما يَجْعَلُهُ أَخًا لغيرِهِ لَا خَصَمًا لَهُ. فَرَأَى النَّبِيُّ مُعَلِّمًا لِلرَّحْمَةِ لَا مُؤَسَّسًا لِهَيْمَنَةٍ، وَقَرَأَ رِسَالَتَهُ رِسَالَةَ سَلامٍ لَا مَشْرُوعَ غَلْبَةٍ.

وَجاءَ حَبِشٌ كَذَلِكَ يَحْمِلُ وِعْيًا وَاسِعًا بِالْعَالَمِ؛ لَا يَرى الْأَدْيَانَ شَفَرَاتٍ مُتَصَارِعَةً، بَلْ أَنهَارًا

تَبْعُ من منبع واحدٍ، تتفاوتُ مجاريها وتتلونُ تربُّتها، ولكن ماءها واحدٌ: ماءُ الروح. ولهذا كان صوتهُ عاليًا في زمنٍ ترتفعُ فيه جدرانُ الكراهية: الإيمانُ لا يكتُمَلُ إلا باحترامِ حُرِّيَّةِ الآخرِ في الإيمانِ أو في الاختيارِ أو في الاختلافِ.

ومع ذلك، لم يكن مشروعهُ حبسَ الكتبِ والمجالسِ الفكريةِ؛ بل نَزَلَ إلى أرضِ الناسِ: في المنابرِ، والمناهجِ، ومجالسِ الحوارِ، وتعليمِ الشبابِ، وترميمِ الجراحِ النفسيةِ التي خلفتها خطاباتُ التكفيرِ والتحريرِ والمواجهةِ.

وفي الحينِ الذي حاولَ فيه التنويريونَ من قبلُ إنقاذَ العقلِ من الظلامِ، حاولَ محمدٌ حبشَ إنقاذَ القلبِ من القسوةِ وتطهيرَهُ من الشهوةِ والحقدِ والكراهيةِ. وفي الوقتِ الذي نادى فيه سابقوهُ بفتحِ بابِ الاجتهادِ، نادى هو بفتحِ بابِ الرحمةِ مع الاجتهادِ، وبابِ التوبةِ مفتاحًا للغفرانِ. وبينما بحثَ الآخرونَ عن الحقيقةِ، بحثَ هو عن الحقيقةِ في جوهرِ الإنسانيةِ والإنسانِ. ولهذا يمكنُ القولُ إنَّ مشروعهُ ليسَ مجردَ فصلٍ جديدٍ في كتابِ التنويرِ، بل ارتفاعٌ في المقامِ؛ وانتقالٌ من التنويرِ الفكريِّ إلى التنويرِ الإنسانيِّ.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ حبشًا اجترحَ لنفسه خطأً فكريًّا جديدًا يتمثَّلُ برسالتهِ الإنسانيةِ في مجالِ الإخاءِ الإنسانيِّ وإخاءِ الأديانِ. ويمكنُ القولُ بأنَّ مشروعهِ التنويريَّ لا يقفُ عند حدودِ نقدِ التراثِ، ولا يتجلى في تكرارِ خطابِ الإصلاحِ القديمِ؛ بل يسعى إلى إعادةِ تأسيسِ المعنى الدينيِّ على قاعدةِ الإنسانِ أولاً، والرَّحمةِ ثانيًا، والتسامحِ ثالثًا، والسلامِ رابعًا، بأسلوبٍ يجمعُ بينَ العمقِ المعرفيِّ والروحِ التربويَّةِ العمليةِ والعلميةِ القائمةِ على العقلِ والعقلانيَّةِ. فشيدَ حبشٌ مشروعهُ الفكريَّ على منظومةٍ من المفاهيمِ الأخلاقيةِ القائمةِ على التسامحِ والسلامِ والحبِّ والعقلِ والعقلانيَّةِ والإيمانِ بالرسالةِ الإنسانيةِ للإسلامِ أولاً، وللحضارةِ الإنسانيةِ ثانيًا.

ويمكنُ تحديدُ أهمِّ ملامحِ الرسالةِ الإنسانيةِ للدكتور محمد حبش في النقاطِ الآتية:

أولاً: مركزيةُ الإنسان:

بينما اكتفى كثيرٌ من المفكرينَ المتنورينَ — أمثالُ محمد عبده والكواكبي والأفغاني — بالدعوةِ إلى «فتحِ بابِ الاجتهادِ» واستكشافِ أبعادِ العقلانيَّةِ، ذهبَ حبشٌ إلى أبعدَ من ذلك؛ إذ قدَّمَ لنا رؤيةً يأخذُ فيها الإنسانُ صورةَ الغايةِ في الفكرِ الإسلاميِّ المتجدِّدِ. فالإنسانُ في المنظومةِ

الفكرية لحبش هو غاية الشريعة ومبتدؤها، لا مجرد موضوع جامد لنواهيها وأحكامها. وبناءً على هذه الروح الفقهية الجديدة، فإنه يعيد ترتيب مصادر التشريع على أولوية قيم الرحمة والعدالة. ومن المهم هنا أن حبشًا تجاوز ثنائية الباطن والظاهر في النص؛ إذ غالبًا ما اعتبر باطن النص لأهل العلم والاختصاص، في حين يكون ظاهره لعامة الناس. أما حبش فقد كسر هذه القاعدة، ووضع العامة في صورة المعنى الحقيقي للنص الديني؛ لأن الفهم الظاهري للنص يدفع إلى تكريس واقع التخلف ويضع العامة في موقع الدونية، مع أنهم يشكلون القوة الحقيقية للفكر والثقافة والحياة.

وهذا يعني أن حبشًا توجه إلى العامة لا إلى خاصتهم، فعمل على الارتقاء بوعي الناس من المعرفة السطحية إلى المعرفة العميقة التي تتيح لهم ممارسة الحياة وفق جوهر الدين الإنساني لا مظهره الشعبي.

فالدِّين كما يتجلى في أعمال حبش فعل تحرير؛ قوة تحرر الإنسان ولا تستعبده. وعلى هذا الأساس يؤكد حبش مفهوم النبي الداعية، النبي الإنساني لا الحاكم الجبار. ويركز على مفهوم السلام والتسامح، ويثبت الرحمة بوصفها جوهر الرسالة، في مقابل القراءات التي جعلت السيرة دليلًا على القوة والغلبة.

ثانيًا - الإخاء الديني؛

«لا تزدِر دينًا لا تؤمن به.» بوذا.

يرى حبش في مفهومه «إخاء الأديان» أن جميع الأديان تشترك في جوهر أخلاقي قوامه أن النور واحد، والعدل واحد، والقيمة الإنسانية العليا واحدة في جميع الأديان. وهذه الرؤية تتجاوز منطق التفاضل الديني إلى منطق التعارف والحوار والتقدير المتبادل؛ فالأديان نوافذ إلى الله، والله غفور رحيم.

وقد عرّف حبش في هذا السياق بجهوده الدولية المؤثرة في مجال تحقيق الإخاء الإنساني بين الأديان والملل والنحل. فالعقيدة الدينية الخلاقة كما يراها حبش هي التي تجعل الإنسان أفضل وأقرب إلى صورة الله في الأرض؛ عقيدة تزيد رحمة، وعقلانية، ووعيًا، ومحبة، وإنسانية، لا جمودًا وتحيزًا وعنصرية.

فالدِّين كما يراه وسيلة لا غاية؛ إذ الغاية هي الخير والتقوى والصلاح. والدِّين سبيل إلى تحرير الإنسان من الخوف والتعصب والكرهية. وما قيمة التَّعَبُّد إذا لم يصنع إنسانًا رحيماً كريماً، تتجذر

الإنسانية في قلبه وعقله؟ فالدين رسالة في الأخلاق والقيمة الإنسانية، وهذا الجوهر موجود في جميع الأديان، لا في مظاهرها السياسية والأيدولوجية. ويوافق حبش أستاذه ابن عربي في قوله: «عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما عقدوا».

وقد تجلّى هذا المعنى في أرقّ أشعار التسامح وأجملها:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لرهبانٍ
وبيتٍ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآنٍ
أدينُ بدين الحبّ أتى توجّهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ويُفرّق حبش بين رجل الدين والفقيه؛ فرجل الدين ينقل التراث ويعيد روايته، في حين أن الفقيه يُجدّد الشريعة ويستنبط أحكاماً جديدةً تناسب العصر. فالفقيه عند حبش يجب أن يتزوّد بعلوم الشريعة إلى جانب القانون والعلوم الحديثة، ليمكّن أدوات الاجتهاد والتجديد. ويرى حبش أن القرآن هو المدخل الأكبر للتجديد الديني، مستشهداً بتطور التشريع عبر الناسخ والمنسوخ، وأن النصّ يمكن تعديله أو تعطيله لمصلحة الأمة، كما حدث في أحكام ملك اليمين، والحزبية، وقاتل المشرّكين، التي بطل العمل بها تاريخياً.

ثالثاً - الحرية في مشروع حبش:

تحتل الحرية في مشروع حبش مركز الصدارة؛ إذ يرى أن الحرية مبدأ أصيل في الإسلام، يقوم على القاعدة العمرية الشهيرة:

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»

وعلى هذا الأساس تمتد الحرية لتأخذ طابعاً إنسانياً شاملاً؛ فلا تقف عند حرية الاعتقاد شكلاً، بل تشمل حرية الضمير وحق الإنسان في الاختلاف دون تجريم ديني أو اجتماعي. وهذا موقف جريء في بيئة ثقافية تقليدية محافظة.

فالحرية عند حبش جوهر ومنطلق وغاية؛ ولذلك ينادي بحرية المرأة، والطفل، والإنسان عامة. فالحرية ليست شعاراً، بل بنية تأسيسية في الخطاب القرآني.

ويرى حبش أن الإنسان مخلوق مختار بطبيعته، وأن إرادته الحرة ليست حقاً سياسياً فحسب، بل جزءاً من تكريم الله له. فآيات مثل: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» و«فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ»

تُسْقِطُ أَيَّ شَرْعِيَّةٍ لِلْإِكْرَاهِ وَالْوَصَايَةِ عَلَى الْقُلُوبِ. ويرفض حبشُ القراءاتِ الفقهيَّةَ التي تُسَوِّغُ الجبريةَ أو تُبَرِّرُ الخضوعَ للسلطةِ الدينيَّةِ أو السياسيَّةِ؛ لأنَّها تُعْطِلُ أخلاقَ الإنسانِ وحرِّيَّتهُ. ويمتدُّ مفهومُ الحرِّيَّةِ عند حبشٍ إلى قراءةِ النصِّ نفسه؛ فالعلاقةُ مع النصِّ ليست انقياداً حرفياً، بل فهم مقاصدي يَحْتَكُمُ إلى قيمِ الشريعةِ الكلية: العدل، والرَّحمة، والكرامة. ومن ثمَّ، فالمجتمعُ العادلُ في تصوُّره ليس المجتمعُ الذي يتحدُّ في العقيدة، بل المجتمعُ الذي يحمي حقَّ الاختلاف ويَجْعَلُ حرِّيَّةَ الضميرِ قيمةً عليا.

رابعاً: التَّسامُحُ الإنسانيُّ

ينطلق حبشٌ من التأكيدِ على مفهومِ التَّسامُحِ في مشروعه الإنسانيِّ، مستنداً إلى جوهرِ القولِ السماويِّ: «وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ». وعلى هذا الأساسِ تتجلى الرَّحمةُ جوهرًا في الدِّينِ وقيمةً كبرى في الحياة. وبناءً على ذلك يمتدُّ مشروع حبشٍ ليغطي مختلفَ مجالاتِ الحياةِ الإنسانيَّةِ؛ إذ إنَّ مفهومَ التَّسامُحِ عنده ليس مجردَ تنظيرٍ فكريٍّ، بل بناءٌ فقهيٌّ كاملٌ يقومُ على تقديمِ المصلحةِ الأخلاقيَّةِ، وأولويَّاتِ الواقعِ، واعتبارِ الإنسانِ قبلَ الحكمِ، وتقديمِ المقاصدِ على الحَرْفِ — نموذجٌ فقهِ يُدَاوِي ولا يُدِين.

ولا يكتفي محمدٌ حبشٌ بالتنظيرِ لمفهومِ التَّسامُحِ، بل يُوسِّعُهُ ليشمَلَ ثلاثةَ أبعادٍ رئيسيَّةٍ: التَّسامُحُ الدِّينيُّ: الاعترافُ بالآخرِ المختلفِ في عقيدته، واحترامُ حقِّه في الإيمانِ أو عدمِ الإيمانِ، ورفضُ اختزالِ غيرِ المسلمِ في ثنائيَّةِ «النَّجاةِ والهلاكِ»؛ لأنَّ ذلك شأنٌ إلهيٌّ لا بشريٌّ. التَّسامُحُ الاجتماعيُّ: الدعوةُ إلى ثقافةِ التقديرِ المتبادلِ بينَ المذاهبِ والطوائفِ والمكوِّناتِ الثقافيَّةِ داخلَ المجتمعِ؛ لأنَّ التعدَّدَ سُنَّةٌ كونيَّةٌ لا تهديداً للوحدة.

التَّسامُحُ السياسيُّ: تأييدُ الدولةِ المدنيَّةِ القائمةِ على المواطنةِ المتساوية، ورفضُ الدولةِ الثيوقراطيَّةِ التي تحتكرُّ الحقيقةَ باسمِ الدِّينِ.

إنَّ القيمةَ الكبرى للتَّسامُحِ الإنسانيِّ في فكرِ محمدٍ حبشٍ تكمنُ في إعادةِ تشكيلِ صورةِ الإسلامِ كدينٍ رَحمةٍ وأخلاقٍ، وفي تحريرِ المسلمِ من قلقِ الهويَّةِ والصِّراعِ، وتمكينه من الاندماجِ في العصرِ من موقعِ الفاعليَّةِ لا الهامشِ. فالتَّسامُحُ هنا لا يعني التنازُلَ عن العقيدة، بل تعميقاً لها؛ لأنَّ جوهرَ التدينِ — كما يرى حبشٌ — ليس الخصومةُ ولا الوصايةُ، بل التعارفُ والتعاونُ وصناعةُ الخيرِ المشتركِ.

وبذلك يقدِّمُ محمدٌ حبشٌ نموذجاً لفكرٍ دينيٍّ معاصرٍ يوازنُ بينَ الأصالةِ والقيمِ الإنسانيَّةِ

العالمية، ويستعيد الدين قوةً للتحرير لا للهيمنة، وجسرًا للحوار لا للخوف. وفي عالم يفتش عن المعنى وسط الصراعات، تبدو رسالته في التسامح حاجةً حضاريةً وأخلاقيةً ملحةً تتجاوز حدود الدين والجغرافيا معًا، لتخاطب الإنسان في جوهره: كائنًا حرًا، مُكرَّمًا، ومسؤولًا عن صنع سلامه الداخلي وسلام عالمه.

خامسًا: الدين والأيدولوجيا:

يرى حبش أن الدين يُصبح أداةً سياسيةً خطيرةً عندما يتحوّل إلى أيديولوجيا يردها «درايش الدين» أصحاب الزوايا المظلمة المُحمّلة بالأوهام والأساطير التي تُدمّر العقل. ف«الإله السياسي» المضمّر في الأيدولوجيا الدينية قد يكون أشدّ خطرًا على الحضارة من أيّ سلاح فتاك. فالدين عندما يُوظف لأغراض دنيوية يُحوّل البشر إلى أدوات تتصارع وتُدمّر بعضها بعضًا. وهذا الدين الأيدولوجي يُنتج الفتنة، والتعصب، والطائفية، والعنصرية، ويظلم المرأة، ويهدم الحريات، ويهاجم كل ما هو جميل ونبل في الثقافة الدينية السميحة. وقد رأى حبش أن السلطات الاستبدادية لا تستطيع الاستمرار إلا عبر أصنام ثقافية تُلصق بالدين فتجرده من جوهره الإنساني. ولهذا لا يسعى حبش إلى الانتصار في معارك الأفكار، بل إلى: تهدئة السجال المذهبي وكسر منطق التكفير وبناء وعي ديني تواصلٍ لا صدامي. وفي هذا يلتقي مشروعه مع الأنسنة الدينية عالميًا.

ويرى حبش أن الخطاب الديني التقليدي بقي أسير ثنائيات تاريخية مثل: مؤمن/ كافر، فرقة ناجية/ فرق هالكة، دار إسلام/ دار حرب. أمّا العالم اليوم — كما يقول — فيحتاج إلى خطاب رحماني يسمو على هذه التصنيفات، لأنّ الرحمة في قوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين» تشمل العالمين جميعًا لا المسلمين وحدهم. وبما أن كثيرًا من مشاريع التنوير بقيت نخبة؛ فإنّ حبشًا: أسس مؤسسات تعليمية، وخاض خطابًا دعويًا واسعًا، وصاغ لغة إصلاحية صالحة للناس اليوم. أي إنّ مشروعه حيّ وفاعل، لا مكتوب فقط. وباختصار: يمثل المشروع التنويري لمحمد حبش مسارًا فكريًا يقوم على: عقلنة الخطاب الديني وترسيخ التسامح والتعددية وتفصيل دور الإسلام في البناء الحضاري. ورغم الانتقادات التي توجّه إليه من تيارات سلفية وغيرها تتهمه «بتسييل النصوص» أو «تغليب العقل على النقل»؛ فإنّ حبشًا يجيب بأنّ التراث لا يُحترم إذا جمد العقل، وأنّ الإيمان بلا إنسانية يتحوّل إلى أداة قمع.

سادساً - العقلانية النقدية في فكر حبش

يقول كانط: «إنَّ ديناً يُعلنُ الحربَ على العقلِ سوفَ يُصبحُ مع مرورِ الزمنِ غيرَ قادرٍ على الصمودِ أمامه» (الدين في حدود العقل) .

اجترح حبشُ مناهجَ عقلانيةً مُبتكرةً في التحليلِ والتأويلِ لإخراج الفكرِ الدينيِّ الإسلاميِّ من جحورِ التعصُّبِ ومفازاتِ التزمُّتِ، وعملَ على تكسيرِ الجمودِ الخُرَافِيِّ الأُسْطوريِّ في العقلِ الإسلاميِّ المعاصرِ. وأخذَ على عاتقه إخراجَ العقليةِ الإسلاميةِ المعاصرةِ من دهاليزِ الظلامِ إلى مفازاتِ النورِ والتنويرِ؛ لينهضَ بالفكرِ الإسلاميِّ ويُحرِّجَه من زنزانته التاريخيةِ ليجلوه ويعيدَ له مكانتهُ السَّماويةَ الخلَاقَةَ: ديناً للإنسانِ والإنسانيةِ، ديناً للمحبَّةِ والإخاءِ والتَّسامحِ. وعلى هذه المنهجيةِ أعملَ العقلَ في النصِّ الدينيِّ، وانتهجَ التأويلَ في مضامينه الفكريةِ ليكشفَ الأبعادَ الإنسانيةَ والروحيةَ في هذا الدينِ الحنيفِ.

والعقلانيةُ التي انتهجها حبشٌ لم تكن عقلانيةً أداتيَّةً كما هو شأنُ العقلانيةِ السائدةِ اليومَ في المجتمعاتِ الرأسماليةِ، بل هي عقلانيةٌ إنسانيةٌ ترتبطُ بالمقاصدِ الأخلاقيةِ والتَّسامحيةِ. وهذا يعني أنَّ العقلانيةَ التي أرسى حبشٌ دعائمها تقومُ على كرامةِ الإنسانِ، وقيمِ التَّسامحِ والمحبَّةِ والإخاءِ الإنسانيِّ. وكلُّ عقلانيةٍ تخرجُ عن هذا المسارِ هي عقلانيةٌ فجَّةٌ مريضةٌ لا تستحقُّ الحضورَ في الدينِ أو في التاريخِ؛ فالعقلُ وُجدَ لخدمةِ الإنسانِ لا للهيمنةِ عليه وتحويله إلى مادةٍ أوليةٍ للفتكِ والتدميرِ.

ويرى الدكتورُ حبشُ أنَّ أيَّ نصٍّ مُقدَّسٍ لا يُفكِّكُ عقلانياً ونقدياً سيظلُّ مُنتجاً للأصنامِ والهوسِ الدينيِّ والخرافاتِ والأوهامِ. وإذا كانَ اللهُ موجوداً - وهو الحق - فإنه ليس بحاجةٍ إلى مَنْ يدعي الدِّفاعَ عنه أو التحدُّثَ باسمه جلَّ جلاله.

ولم يخفَ محمدٌ حبشٌ يوماً من النِّقدِ والمواجهةِ الفكريةِ؛ فقد كان يحملُ سيفه ويُقارعُ أئمةَ الجَهلِ والتَّخلفِ. وخيرُ تعبيرٍ عن هذه المواجهةِ ما جاءَ في حوارٍ بينه وبينَ الشيخِ الجليلِ راتبِ النابلسي، الذي بدا متضامناً من الحسِّ النقديِّ عند حبش. وقد جاءَ هذا الحوارُ على لسانِ الدكتورِ محمدِ حبش، حيث يقول:

«قال لي ذاتَ مرَّةٍ الصديقُ الشيخُ راتبِ النابلسي: يا شيخَ محمد، أنا أعطيك ألفَ عنوانٍ تتحدَّثُ فيه ولا تُثيرُ غضبَ الناسِ.

قلتُ له: هذا صحيحٌ أيُّها الأستاذُ الجليل، وكثيرٌ من الشيوخِ يقومون بذلك ويرتاحون من سخطِ الناسِ... ولكن رسالتي في مكانٍ آخر... هناك جيلٌ يتلقَّى ثقافةَ الكراهيةِ باسمِ الدينِ،

ولديهم أسانيدُ موصولةٌ وعمائمُ مجدولة... ومسؤوليتي أمامَ الله أن أدافعَ عن طهرِ دينه، وأنشرَ المحبةَ بين عبادِهِ، وأقاومَ كلَّ إكراهٍ في الدِّين... ولا بأسَ بكلامِ الناس... ومستقبلي ورائي... والموعدُ الله..»

وهنا تتجلى واحدةٌ من مآثرِ حبشِ الكبرى: شجاعتهُ في مقارعةِ شيوخِ الجهلِ من أجلِ الحقِّ والحقيقةِ فقط.

وفي السياقِ نفسه يقول حبشٌ موضِّحاً سببَ اختياره للموقفِ النقديِّ: «يتساءلون: ما الذي يدفعُ رجلاً تَخَصَّصَ في الشريعةِ، وخَبِرَ مجالسَ الودِّ والصفاءِ مع المشايخِ والمريدين، إلى أن يقفَ في الجانبِ النقديِّ الحادِّ فيستمطرَ غضبَ المشايخِ كلِّ يومٍ، ويخسرَ رصيذاً من محبيه؟

وجوابي: والله لو أنَّ المشايخَ قادونا إلى مجتمعٍ يعيشُ المحبةَ في وسطه، ويتبادلُ الاحترامَ مع محيطه، ويمنحُ الجيلَ الجديدَ اليقين... لكان الواجبُ أن نحافظَ على الصمتِ والهدوءِ ولا نشوشَ الناسَ عن نجاحهم ووثامهم...». ويتابعُ قوله:

«ولكن تعالوا فانظروا أين وصلنا بتوجيهنا السَّقيم: يمكنني القولُ إنَّ هذه ثقافةُ ٨٠٪ من مشايخنا اليوم». ويضيفُ «داخلياً: لقد تمَّ تشطِّي المجتمعِ بشكلٍ مدمِّرٍ بين سنَّةٍ وشيعةٍ وصوفيَّةٍ وسلفيَّةٍ وأصوليَّةٍ وعلمانيَّةٍ، وبات مشايخنا يتعبَّدون اللهَ بنارِ الكراهيةِ ضدَّ الرِّوافضِ والعلمانيِّين والموالين والمعارضين، ولم نعد نعرفُ للحبِّ درجاً بين هذه المسارب...

خارجياً: لقد نمت نزعَةُ الكراهيةِ بشكلٍ مُفجِع، وبتنا لا نرى في الحضارةِ الإنسانيَّةِ إلَّا مؤامرةً دينيَّةً ضدَّ الإسلامِ والمسلمين، وصارت عقيدةُ المُسلم أنَّ الأديانَ كفرٌ، وأنَّ الفلسفةَ ضلالٌ، وأنَّ النِّجاةَ فقط شأنُ المُسلمِ الملتزمِ وحدَه دونَ العالمين، أمَّا الخلقُ كلُّهم ففي نارِ جهنمِ خالدين فيها ما دامت السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ!

أمَّا الجيلُ الجديدُ فقد بات اليومَ في أسوأِ أيامِ بعدهِ عن التدينِ واقتراهِه من الإلحادِ، كلما قدَّمنا له أجوبةً تُناقِضُ العقولَ وتفرضُ الرِّهقَ وتحاربُ الفنَّ والجمالَ.

ليست قدرتي ولا طاقتي أن أُغيِّرَ العالمَ، ولكنني مسؤولٌ أمامَ الله أن أُطفِئَ نارَ الكراهيةِ بنورِ الحبِّ، وأن أواجهَ خطابَ الخرافةِ والجهلِ مهما كان معتصماً بظاهرِ النُّصوصِ. فالنُّصوصُ جاءت لخدمةِ الإنسان، ولم تطلب من الإنسان أن يمضي القرونَ وهو يبحثُ في عجائبها وإعجازها ويُعاندُ بها تقدُّمَ الحياةِ ونورَ العلمِ.»

وفي مقابلة ثرية محملة بالمعاني يقول محمد حبش:

«إنَّ خطابَ التجديدِ الإسلاميِّ عموماً يُعاني من قيودِ اللاهوتِ التي تمنعُ العقلَ من أداءِ دوره، وتفرضُ نفسها سُلطةً على العقل، ترسمُ له حدودَ التفكير، وتمنعه من التفكير خارجَ الصندوق. وتكرّرُ القاعدةَ القمعيةَ المستمرة: قِفْ على ما وقفَ عليه الأولون، فإنهم عن علم وقفوا؛ وكلُّ خيرٍ في اتباعِ مَنْ سلف، وكلُّ شرٍ في ابتداعِ مَنْ خلف؛ وكلُّ إبداعٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.» وهذا الفهمُ القاصرُ للشريعةِ كان يقفُ تاريخياً ضدَّ كلِّ تنويرٍ وضدَّ كلِّ تجديدٍ. ولذلك رأينا رجالَ الدينِ يُحرِّمون كلَّ جديدٍ بحجةِ أنَّه لم يأخذ به السَّلفُ. ولعلَّ من أوضح هذه المفارقاتِ موقفهم من الديمقراطيةِ التي اعتبرها المتشدّدون شرّاً وكفراً. وقد شاهد الجميعُ اللافِتاتِ الكبيرة التي رفعها المتشدّدون في بعض المحافظاتِ السوريّة تحت شعار: «الديمقراطيةُ كفرٌ.»

وقد واجهَ الدكتورُ حبشُ هجوماً عنيفاً من قبل المتشدّدين ودراوشة الدين حين أصدرَ كتابه «النبيُّ الديمقراطيُّ». وعلى الرغم من أنَّ غالبيةَ المنتقدين لم يقرأوا حرفاً واحداً من الكتاب؛ فإنهم اعتبروه بدعةً وشرّاً وإهانةً، في حين أن الكتاب في الحقيقة يقدّم ٤٨ موقفاً نبوياً تخلّى فيها الرسول ﷺ عن رأيه الخاصِّ، واستجابَ لرأي الجمهورِ ومصلحة الناسِ.

ولم تقتصر ذهنيّةُ التحريم على السياسةِ فقط، بل طالت كلَّ جديدٍ تقريباً؛ ومن أوضح الأمثلة: عند ظهورِ الطباعةِ في القرن الخامس عشر، حُرِّمت طباعةُ القرآن. وعند طباعةِ المصحفِ في روما سنة ١٥٠٧، أفتى مشايخُ الأزهرِ والأستانةِ بتحريمِ النظرِ فيه وتمّ إتلافه. واستمرَّ التحريمُ قروناً. ولم يُطبع المصحفُ رسمياً إلّا في مصر سنة ١٩٢٤ على يد الملكِ فؤاد. وهذا كلّهُ — من تحريمِ الطباعةِ إلى تحريمِ الهاتفِ والتلفازِ والبنوكِ وتعليمِ المرأةِ — يُثبت أنَّ التشدّدَ لم يكن نصّاً إلهياً، بل ثقافة خوفٍ من الجديد.

والأمرُ نفسه في تحريمِ التلفزيون والهاتفِ والبنوكِ والتأمينِ وسُفورِ وجهِ المرأةِ وحَقّها ومساواتها في العملِ والكفالةِ والشهادةِ والوكالةِ، وكثيرٌ من هذه القضايا لا يزالُ — إلى اليوم — محلَّ جدلٍ في أوساطِ التياراتِ المتشدّدة. ولا تزالُ المناطقُ التي سيطرَ عليها التشدّدُ الدينيُّ في سوريا تُقدّم نماذجَ من التطرّفِ لا يمكنُ تفسيرها، ولا تُعبّرُ إلّا عن غيابِ تامٍّ للوعيِ بروحِ الشريعةِ القائمة على التسامحِ.

إنَّ مواجهةَ التشدّدِ الدينيِّ لا تتمُّ بالتشدّدِ العلمانيِّ واستفزازِ المجتمع، بل تتمُّ بدعمِ التياراتِ المتنوّرة في الشريعة؛ أولئك الذين يؤمنون بالدين رسالةً محبّةً ورحمةً لا مشروعَ قسرٍ أو سلطة. هذا هو محمد حبش؛ المُفكّرُ الذي فكّك التاريخُ الإسلاميَّ بالنقدِ، واستخرجَ أجملَ ما فيه من

جواهر الروح ونفائس الرؤية الإنسانية. نعم، هو محمد حبش الذي رَسَخَ عقلانيّة التفكير وجعل من النّقد العقلانيّ الموضوعي سبيلاً لتحرير الدّين من أوهام العتالة والجمود، منهجاً نحو تحرير الإنسانية من عبوديّة القهر الأيديولوجي الذي أحكم قبضته على العقول والأفئدة.

خاتمة

يقول محمد الغزالي:

«هجر المسلمون القرآن إلى الأحاديث، ثم هجروا الأحاديث إلى أقوال الأئمة، ثم هجروا أقوال الأئمة إلى أقوال المُقلّدين، ثم هجروا أقوال المُقلّدين وتزمتهم إلى الجُهل وتخبطهم.»

لم يقف حبش يوماً عند حدود الإبداع النظري، ولم يقبل بأن يبقى فكره في الأبراج العاجية؛ بل جعله سلاحاً يخوض به معارك الفكر والدعوة، في الميدان الفقهي وفي الساحة الشعبية. ويتسم فكره بالشمول والتداخل والتعدّد؛ إذ يتغذى من ينابيع العقلانيّة والتصوّف والتنوير والفلسفة، جامعاً بين نداء الروح ومنطق العقل معاً.

فمحمد حبش إمام وخطيب، ومفكّر تبوأ مكانته العظيمة في مقامات الفكر الإنساني، وأستاذ جامعي يحمل رسالته عبر العالم، ومؤسس لهيئات فكرية تُعنى بالتجديد، وكاتب باحث لا يُشَقُّ له غبار في استكشاف قضايا المجتمع وتحليلها، وسياسي مارس العمل البرلماني بشجاعة ورفض الاستبداد. وهو الذي واجه جيوش الفتاوى السلطانية، ودراويش الخرافة، وخطابات التكفير والتخويف، وظلّ ثابتاً في قول الحق، لا يخشى لومة لائم. رفض التكفير ودعا إلى التسامح. دافع عن حقوق المرأة، ورفض فتاوى السّبي والإذلال. وأكد أن تحرير المرأة جزء من تحرير الإنسان كلّهُ. نادى بالتجديد، وجعل من العقلانيّة منهجاً، ومن النقد سبيلاً، ومن السلام شعاراً. رفع من شأن الفنّ والجمال، ورأى فيهما قوة روحية للتحرّر. ومما لا شك فيه أن محمد حبش كرّس حياته في مواجهة التدين المتوحش الذي يُدمر الحياة الاجتماعيّة، ويمنع الأمم من النموّ والتقدم. وهو في مشروعه الإنسانيّ يؤكّد أن: الإنسانية غاية الدّين، وأنّ العدل صمام الأمان، وأنّ التسامح لمسة إلهية في قلب الإنسان. وقد كرس في مشروعه مآلات الكشف عن صورة الله الجميلة التي غيّبتها ثقافاتُ الخوف والقهر. وهو إذ ذاك لم يقف عند التوصيف، بل بحث في جذور التخلف، وبين آليات تحويل الدّين إلى أيديولوجيا سلطانية تُبرّر العنف والسّبي والقتل.

وأودُّ أن أختتم هذه الومضة بأبيات شعرية للشاعر حليم دُموس تعبر عن جوهر الفكر الإنساني النبيل للدكتور محمد حبش:

وأقسم لو يدري الوری کنه دینهم
وما أطلقوا یومًا قنابل مدفع
فأنت أخي ما دامت الأرض
أمنًا لعمرک ما الأديان إلا نوافذ
أرى فی القرآن عیسی بن مریم
لما فرّقوا ما بین عیسی وأحمد
ولا صقلوا للحرب حدّ مُهند
وأنت أخي بالروح قبل التجسّد
ترى الله منها مقلّة المتعبّد
وألّمس فی الإنجیل روح محمّد

وأخيرًا:

هذا هو محمد حبش:

صوتُ الرحمة في زمن الغضب،
صوتُ السلام في زمن الحرب،
صوتُ الإنسان في عالم ينسى إنسانيته،
صوت المرأة في عالم يضج بالقهر،
صوت الشعوب المقهورة في عالم التوحش الرأسمالي.
والسلام عليكم ورحمة الله

علي أسعد وطفة

الكويت 8/11/2025



أحمد الرمح

أحمد الرمح كاتب ومفكر إسلامي، بدأ نشاطه من خلال منبر الجمعة حيث عمل خطيباً ومرشداً دينياً في محافظة دير الزور السورية، ومع قيام الثورة السورية ٢٠١١ واجه بقوة موقف السلطات السورية الاستبدادي، وتعرض للاعتقال، ثم خرج من السجن، ونجح في مغادرة البلاد حيث أقام في النمسا.

في النمسا يطلق أحمد الرمح مشروعاً تنويرياً عبر مؤسسة مركز الشرق الأوسط للدراسات التي يشرف عليها في فيينا وتضم مجموعة كبيرة من الكتاب والباحثين والمفكرين.

يتبنى أحمد الرمح اتجاهاً تنويرياً ثورياً، ويشتبك باستمرار مع المؤسسة الدينية التقليدية ويتبنى منهج العودة إلى القرآن ومواجهة الواقع الفقهي الذي أفرزه العصر العباسي ويسميه الدين الموازي ويدعو إلى إحيائية عميقة تستلهم من القرآن الكريم المصدر الوحيد للإسلام بعيداً عن التفسيرات والشروح والحواشي التي ألقاها عليه فقهاء السلاطين خلال التاريخ. يحظى أحمد الرمح بحضور واسع في الفضاء العربي وتنتشر محاضراته التنويرية المباشرة في سائر البلدان العربية، حيث يصدر بانتظام حديثاً أسبوعياً نقدياً، يتبنى طروحات المذهب الإنساني، ويسجل عليها مشاهدات بالملايين.

المذهب الإنساني إسلامياً؛
محمد حبش أنموذجاً

المدخل

تتوجه المجتمعات المتدينة اليوم بفهمها لرسالات السماء المتعددة باتجاه إنساني؛ بعد أن سيطرت العنصرية الدينية والطائفية على العقل المتدين لعقود طويلة؛ كان الخاسر الأكبر فيها سمعة الرسالات السماوية؛ حتى أصبحت متهمة بالتطرف والعنف والطائفية.

لكنّ انفتاح العالم ما بعد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي من جهة؛ وتبنى رجال فكر متدينين المذهب الإنساني؛ ومحاولاتهم الراقية لتفسير الإيمان تفسيراً إنسانياً من جهة أخرى؛ دفع الأفكار الإنسانية من كل الاتجاهات لتتلاقح؛ وتتلاقى على القيم الإنسانية، وهذا ما يتناسب تماماً مع جوهر مقاصد الرسالات السماوية؛ حتى أخذ المذهب الإنساني والدعاة إليه يأخذون حقهم على مسرح التواصل الاجتماعي ومراكز الدراسات ووسائل الإعلام المرئية؛ وبدأ جمهور هذا المذهب يتسع أكثر فأكثر نتيجة جهود أعلام هذا الفكر الإنساني الإيماني.

ما وظيفة الدين؟

إنّ القارئ لرسالات السماء يتدبر وعقلانية وحكمة؛ سينتهي إلى خلاصة تقول: إنّ الدين في خدمة الإنسان؛ والعكس خاطئة! وكل فهم لرسالة الدين بعيداً عن المقاصد الإنسانية؛ هو قراءة شائهة له؛ فالإله الذي نعبد إله غفور رحيم، وشديد العقاب على من يؤذي مخلوقاته. ولو تدبرنا رسالات السماء كلّها؛ لوجدناها في خدمة الإنسان والمجتمع ولحمايتهما؛ حتى العقيدة التي يطرحها القرآن الكريم؛ نلاحظ أنّ تطبيقاتها ومقاصدها تفيض بالإنسانية. فالقرآن لا يطرح العقيدة لاهوتاً منفصلاً عن الفعل الإنساني، كما تفعل بعض كتب العقيدة التي قرأناها، إنما يتحدث عن العقيدة بوصفها سلوكاً إنسانياً، خادماً للمستضعفين في الأرض خصوصاً؛ وللإنسان بشكل عام عموماً. فمثلاً العقيدة العملية قرآناً تختلف تماماً عما في كتب العقيدة التي قرأناها:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابَ وَالنَّبِيِّينَ (لاحظوا سماها براً لأن البر فعل إنساني، بدليل؛ لتتابع الآية) وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ (ثم تأتي الشعائر) وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ (ثم السلوك الأخلاقي مع الآخر) وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. (البقرة: ١٧٧).

اليوم نحن بأمس الحاجة لنقرأ ديننا قراءة إنسانية: ومن الأمثلة على القراءة الإنسانية: قوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا. (النساء: ٩٢)

هذه الآية كما قرأها السابقون جاءت بعيدة عن القراءة الإنسانية، وقامت بتصوير الإسلام ديناً عنصرياً وأن الله متحيز للمسلمين.
لماذا نقول هذا؟

لأن السابقين قالوا إن المقصود بالمؤمن هنا؛ المتبع لرسالة محمد ﷺ، وهذا فهم ظالم وعنصرية دينية؟

ففي مفهوم المخالفة؛ هل الذي يقتل غير المسلم لا يغضب الله عليه؟ بالتأكيد لا؟ وبسبب القراءة الخاطئة للآية، قال الشافعية والمالكية والحنابلة؛ لو قتل مسلم غير مسلم؛ عليه الدية فقط، فجاء في فتوى رسمية على موقع الإسلام ويب:

المسلم إذا قتل كافراً ذمياً عمداً (انتبهوا إل التعبير التكفيري) هل يقتل به أم لا؟ أجابوا: جمهور أهل العلم أن المسلم لا يقتل بالكافر، وإنما عليه الدية إذا لم يكن محارباً! وتغولوا بالعنصرية ضد غير المسلم في موضوع الدية؛ حتى قال الحنابلة والمالكية: دِيَتُهُ نصفُ ديةِ المسلم. بمعنى مسلم وآخر يعيشون في بلد واحد، جيران، شركاء، أصدقاء، وقتله، لا شيء عليه إلا الدية! أليست هذه فتوى غير إنسانية؟

على ماذا استندوا في فتواهم هذه؟ على حديث في البخاري يقول: لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ. في القراءة الإنسانية؛ هذا الحديث يخالف القرآن لأن الله يقول: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ. (المائدة: ٤٥) وبذلك قال أبو حنيفة.

إذن كيف نفهم الآية إنسانياً وتنويرياً؟ ومن هو المؤمن فيها؟
الآية تقول: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا. (النساء: ٩٢)

عندنا تاويلان لها:

التأويل الأول: إذ ذهبنا مع الأولين بأن مؤمناً هنا مفعول به، فيكون معنى مؤمناً هو المستأمن، وليس المسلم المحمدي! بمعنى أنا لاجئ في أوروبا أي مستأمن فيها، فإن قتلني أوروبي فقد غضب الله عليه؛ وأعد له عذاباً عظيماً؛ وكذلك عندما يقتل مواطن مواطناً آخر استأمنه على نفسه (مهما كانت ملته أو طائفته أو قوميته)؛ فقد غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً. إذن: الآية لا يقصد بها المسلم المحمدي! إنما كل من استأمنك فإن غدرت به، تكن من المغضوب عليهم والملعونين ومن أصحاب النار.

والآية الأخرى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا. (النساء: ٩٤)
هناك قراءة أخرى لها، بفتح الميم الثانية لكلمة (مُؤْمِنًا) لا بكسرهما، وهي قراءة ابن وردان. أي لست مستأمنًا.

التأويل الثاني: الآن نقرأ الآية نحويًا بغير ما أعربها السابقون: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا. السابقون أعربوا مؤمناً مفعولاً به، ولكن قراءتنا تقول مؤمناً هي حال القتال؛ وبالتالي تعرب حالاً؛ لا مفعولاً به، وبذا نقلب الطاولة على مفهوم السابقين. فالقاتل عند جريمة القتل كان مؤمناً بصوابية جريمته، ومتعمداً لفعلها.

مثال: الذين قاموا بأحداث ١١ أيلول/ سبتمبر؛ قاموا بها؛ وحالهم مؤمناً بأن القتل عقاب للأمرىكان؛ فهم تعمدوا القتل وآمنوا به.

كيف آمنوا به: عندما أقنعهم سدة الدين الموازي، بأن قتل الأمريكان قربى إلى الله؛ فأجروا دورات تدريبية على قيادة الطائرة؛ فهم قتلة مؤمنون بالقتل ومتعمدون له؛ ويشابههم من يقتل الآخر لأن عقيدته مخالفة له، أو جرائم الشرف؛ هذا قاتل مؤمن بأن القتل حل؛ ومتعمد له.

إذن؛ نحن أمام احتمالين جديدين مخالفين لتأويل السابقين؛ إما أن يكون معنى مؤمناً أي مستأمنًا؛ لأن هناك قراءة أخرى؛ تدعم رأينا، وإما أن نعرب مؤمناً حال؛ وعموم القرآن يقول النفس بالنفس. ولا يُمنح المحمدي رخصة بقتل الآخر. وهذا ما ينسجم مع إنسانية القرآن، لكون الله رب العالمين؛ وليس رباً للمسلمين فقط.

قد يقول قائل هل تنضي أن في القرآن آيات قتال؟

أقول كل شيء في الكون لديه ما يدافع فيه عن نفسه، الورد أرق المخلوقات؛ فيه أشواك ليدافع عن نفسه؛ إن تعرض للقطف غصباً. والتوراة فيه آيات كثيرة تقول بالقتل ففي سفر التكوين واللاويين؛ ومنها في سفر التثنية: (إن دعاك أخوك أو ابنك أو ابنتك إلى دين غير دينك فاقتله)!

والإنجيل رغم أنه دعوة محبة وسلام فيه آيات مقاتلة؛ جاء في انجيل متى ١٠: ٣٤ «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَلْقِي سَلاَمًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَلْقِي سَلاَمًا بَلْ سَيفًا!» لذلك نقول: القرآن فيه آيات مقاتلة لا قتال، أي جهاد دفع لا طلب، وهو ما تقول به كل الشرائع السماوية والأرضية، لكن لا وجود لجهاد الطلب فيه. وهو كذبة كبيرة اخترعها سدنة الدين الموازي من أجل الفتوحات الإمبراطورية.

إذن: لإحياء الإنسانية يجب أن نعلم أن في دائرة الأخوة الآدمية المكرومة ربانياً، ما يسعنا جميعاً، وكذلك دائرة الإيمان بإله واحد؛ وكذا دائرة المتعاطفين مع قضايانا العادلة؛ والأولى من هؤلاء جميعاً العلمانيون والقوميون واليساريون الذين لا يُنكرُ إخلاصهم وتفانيهم ووطنيتهم. فلماذا نصرُّ كمسلمين على الاستعداد المجاني للآخر؛ بفهم وفتاوى غير إنسانية؟

المذهب الإنساني إسلامياً؛ محمد حبش أنموذجاً

في باب المذهب الإنساني؛ لا يمكن لمنصف أن يتجاهل الجهود الجبارة التي يقوم بها الدكتور محمد حبش؛ حيث إنَّ المذهب الإنساني عند د. محمد حبش؛ يقوم على رؤية فلسفية إسلامية تؤكد على كرامة الإنسان وقيمه، رافضةً احتكار الخلاص من قبل رسالة محددة، ويعتمد في رؤيته هذه على عظمة شأن الإنسان كـ«خليفة الله في الأرض»، ويذهب الدكتور حبش إلى إعطاء العقلانية دوراً كبيراً بفهم النص الديني؛ ولا نقيده بأقوال قيلت في عصر الحروب الإمبراطورية؛ وهذا ما يجعله مؤمناً بقيم الإخاء الإنساني بين الرسالات والمجتمعات المعاصرة.

كما يذهب الدكتور حبش إلى أن الإنسان هو «سر الله في الأرض» وأن الملائكة؛ سجدت له؛ كما أن المخلوقات الأخرى سُخِّرَت لخدمته، تأكيداً لقيمه العظيمة، ويستند إلى الآية: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ».

لذا يرفض الدكتور حبش الرأي الذي يُبْعَد دور العقل في فهم الدين، ولا يرى أي تعارض بين النص والعقل؛ بل يتكاملان.

وحينما يطرح الدكتور حبش رؤيته بالإخاء الإنساني؛ فهو يرفض تماماً صدام الرسائل؛ وتناحر الطائفيات؛ لي طرح ما هو مهم جداً؛ ويتمثل برفض فكرة احتكار الخلاص لرسالة محددة! فالناس يتفاضلون بعملهم الإنساني؛ لا بعرقهم؛ أو انتمائهم الديني.

ومن هنا كتب مشروعه من خلال مؤلفه (المذهب الإنساني في الإسلام) وضح فيه أفكاره بالموضوع، وشرح كيف يمكن بناء مجتمع ودولة على أساس إنساني ينطلق من داخل الثقافة الإسلامية.

وختاماً نقول: أما أن الأوان لنقرأ القرآن إنسانياً؟



إنصاف ديب الزعيم

إنصاف ديب الزعيم، معلمة متقاعدة من مدينة السلمية وسط سوريا. تشارك إنصاف الزعيم بقوة في جهود الوعي بالمذهب الإنساني، وتنطلق من خبرة عشرين عاماً في التدريس حيث حددت بدقة ملامح القوة والضعف في بناء الجيل الجديد، ودعت بصراحة إلى إحياء المذهب الإنساني في الإسلام ورفعت صوتها في التحذير من المخاطر التي تعصف بالجيل القادم إذا نحن لم نقم بإصلاح جذري في بناء الوعي الإنساني لدى الجيل ومقاومة الإقصاء والتجهيل والغرور الذي يمارسه الخطاب التمييزي ويستخدم لأجل ذلك منصات ومنابر مؤثرة في المجتمع، ويعمد إلى إنتاج جيل منفصل عن الواقع لا يثق بالإنسان ولا يؤمن بالإنسانية.

وتدعو إنصاف الزعيم بصراحة إلى نشر المذهب الإنساني فكراً وممارسة، حيث هو جوهر الديانات جميعها، ولا يتعارض مع الطرق والطقوس التي يتبعها البشر للوصول الى مرضاة الله تعالى طالما هذا الكائن يحمل في قلبه المودة والرحمة لأخيه الإنسان في هذا الكوكب. لسنا وحدنا نحن المسلمين في هذا الكوكب، الله هو الخالق وهو رحيم بخلقه، وعلينا نشر التسامح والغفران.

قراءة تحليلية
في كتاب المذهب الإنساني
للدكتور محمد حبش

مقدمة:

قبل البدء أود أن أشكر أستاذي الكريم على إتاحة الفرصة لي لتقديم قراءتي في كتابك الممتع والقيم المذهب الإنساني. والحقيقة أنا أشعر بما حدث للشاعرة سعاد الصباح عندما ألقت قصيدة أمام الشاعر الكبير نزار قباني وتلعثمت، فهزأ منها الشاعر نزار، فقالت قصيدتها المغناة الجميلة أنا بسيطة وأنت الخبير. وها أنا أقول لك ما قالت قبل أن تقرأ دراستي المتواضعة. لكن أكثر ما دفعني لذلك هو عنوان الكتاب لكاتب محترم قرأته وسأقرأه مرة ثانية وثالثة، فنحن أحوج لما ورد فيه في زمن التشردم الديني والطائفي والسياسي، وقد انعكس ذلك على السلوك وأخلاق المجتمع. هذا الكتاب بمجمله يوحد الإنسان مع ذاته ومع أخيه الإنسان في الكرة الأرضية عامة وفي البلاد الإسلامية خاصة. تحية كبيرة لحضرتك مع احترامي اللامحدود.

العنوان: المذهب الإنساني في الإسلام

في البداية قدم لنا الدكتور كتابه الذي يتضمن مقاربات في بناء الدولة والمجتمع بمعتقد المذهب الإنساني، وفيه يكون الإنسان هو محور الكتاب بما يضمن كرامته وحرية، واعتناق هذا المذهب يساهم في بناء الدولة والمجتمع. دعم مقدمته بنصوص ذكرت في الديانات السماوية، وجميعها كان الإنسان هو جوهرها، واختص بذكر الدين الإسلامي، وألقى الضوء على التناقض الذي ساد بين الفقه الإسلامي السائد وبين القيم الإنسانية. وقد أسهب الكاتب في التوضيح من خلال تكرار الفكرة لتبيان الجوانب السلبية والإيجابية في الفقه المتشدد وتفسير النصوص.

الكتب والمراجع التي استند إليها الكاتب

وذكر الكاتب مجموعة من الدراسات التي تحمل عناوين تحدث كتابها عن الإنسان وحقوقه، مستندا في أغلب تلك الدراسات على مفكرين عرب ومفكرين غربيين تناولوا اهتمام الإسلام بالجوانب الإنسانية في التشريع والسلوك. ولابد هنا من ذكر أسماء الكتب التي ورد ذكرها في الكتاب لأهميتها. كتاب الشيخ محمد زهرة بعنوان المجتمع الإنساني

في ظل الإسلام، وأيضا كتاب موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام للكاتبة خديجة النبراوي، وكتب غربية مثل كتاب الباحثة الترويجية أن ماري شميل بعنوان الإسلام في الإنسانية والتي اعتنقت الإسلام، وكتاب بعنوان إنسانية الإسلام للكاتب مارسيل بوازار، وكتب أخرى كثيرة ذكرها الكاتب وجميعها رصدت إنسانية الإسلام في العقيدة والفقه والأخلاق ودعمت مفهوم الأنسنة لتكون أحد الأسس لبناء دولة ديمقراطية. والكاتب ألقى الضوء على أهم كتاب يتوافق مع فكرة الكاتب محمد حبش في كتابه المذهب الإنساني، وهو كتاب الإسلام والنزعة الإنسانية للكاتب صادق جلال العظم، والذي حدد دراسته في خمس نقاط رئيسية تدعم فكرة الدكتور محمد حبش.

النقاط الأساسية للمذهب الإنساني كما عرضها الدكتور محمد حبش

انتقل الدكتور محمد حبش لكتاب يتمحور حول الإنسان والقيم الإنسانية والدعوة لمواجهة السلبيات التي تتناقض مع هذه القيم، وحددها في سبع نقاط، وأنا هنا لابد من إعادة ذكرها لما لها من أهمية لدارس أو باحث:

١. التعريف بمصطلح الإنسانية وتطورها التاريخي
٢. التعريف بالانجاءات الإنسانية في الفقه الإسلامي
٣. الترويج لمحورية الإنسان في التشريع والحكم
٤. تحديد القيم الإنسانية المتفق عليها على مستوى الأسرة الإنسانية
٥. الدعوة لاعتبار القيم الإنسانية أحد مصادر التشريع
٦. الدعوة لمواجهة ظواهر الإسلاموفوبيا واتهام الإسلام بلا إنسانية
٧. مراجعة كل الأحكام الدينية التي تناقض القيم الإنسانية

القضايا الدينية التي دعا الكاتب إلى مراجعتها

أيضا لابد من ذكرها كما وردت في الكتاب:

- عقيدة الولاء والبراء وضرورة ربطها بالسياسة وليس بالدين
- أحكام الجهاد وضرورة ربطها بالأمن الوطني وليس بالدين
- عقيدة الجحيم وضرورة تحويلها إلى نصوص أدب ومجاز
- التمييز ضد المرأة وفرض قيود عليها في العمل والحياة

- التمييز ضد المختلف دينياً
- العقاب الجسدي وتحويله إلى عقاب إصلاحي

مراجعة نقدية للكتاب:

هنا لم أجد سلبية مما ورد أدناه لذكرها، فقد أوفى الكاتب فكرته ومضمونها بشكل واف وغير ممل. وقد تناول الكاتب دراسة ما ذكر من أسس المذهب الإنساني في فصول، الفصل الأول عن المصطلح والتأسيس للمذهب الإنساني، بدأها بتوضيح المفهوم الإنساني والإنسانية عند المفكرين العرب من سقراط وكانط إلى عصر النهضة وصولاً إلى القيم الإنسانية في القانون الدولي الحديث. وما أراد الكاتب هو نقلنا في مفهوم الإنسان والإنسانية بالمعنى الفلسفي قبل إدخالها في إطارها الإسلامي. وكان من الممكن للكاتب أن يذكر الفلسفة ويقارنها بالمعنى الإسلامي والقيم الإنسانية حتى لا نبتعد عن العنوان الرئيسي وهو المذهب الإنساني في الإسلام.

الفصل الثاني بعنوان تأصيل المذهب الإنساني في الإسلام، وركز الكاتب على نصوص قرآنية محورية في تكريم بني آدم والناس أجمعين بدون التمييز بين الأديان وشمولية الرحمة في الإسلام ورفض الاقصاء، مستنداً على مصادر الشريعة في الإجماع، والعرف، والاستحسان والاستصلاح. وركز على أن المذهب الإنساني هو توجه سماوي، فالخلق عيال الله. وركز على فكرة المرونة في التشريع مع التأكيد على جوهر الإنسان وكماله الفطري في الرؤى الإسلامية. واعتمد الكاتب على تصنيف المذاهب، وكان المذهب الاستنباطي هو الأقرب للمذهب الإنساني الذي أراد تبنيه وجعله قاعدة لبناء الدولة والمجتمع، مع عدم إهمال باقي المذاهب، لكن بدون تقديم منهج لتحويل المقاصد إلى أحكام ضابطة عند تعارضها مع النص الظاهر. وأظهر الكاتب نقده الواضح للمذهب السلفي الذي يعتبر الإنسان مخطئاً منذ خروجه من الجنة وسقوطه إلى الأرض. وهنا أغفل الكاتب ذكر مذهب خامس في الإسلام هو المذهب الجعفري، فلم يذكر قيمة الإنسان في هذا المذهب وهو جزء مهم من الإسلام وربما كان رافداً مهماً للمذهب الإنساني الذي يدعو إليه. وغفل أيضاً مذاهب أخرى مثل الإباضية واليزيدية. ثم انتقل الكاتب إلى أهم التحديات التي تواجه قيام المذهب الإنساني، وحددها في ثمانية بنود، منها ثقافة الكراهية، والولاء والبراء، والتمييز ضد غير المسلم، والجهد في سبيل الله وإعلاء كلمته، والتمييز ضد المرأة، وتحقير الدنيا، والاستبداد الذي هو ضد الإنسان وما نتج عنه

من مقاطعة الإسلام والدول الإسلامية عند الغرب. وكان الكاتب واضحاً في رأيه من خلال نقده لهذه التحديات وكيفية معالجتها مدعوماً بنصوص قرآنية، أهمها أن القرآن بدأ برب العالمين واختتم برب الناس، وليس رب الإسلام ولا اله الإسلام. ولم يخف الكاتب موقفه من السلفيين الجدد الدواعش، حتى لو تعرض للتكفير، لكنه قال كلمته الحرة، بإيمان أن الإنسان حر والإنسان أخ الإنسان أينما كان على وجه الأرض، وهو محور فكرة الكاتب وجوهر المذهب الإنساني.

وانتقل الكاتب إلى نقده لتمجيد الفتوحات دون النظر لما كانت عليه البلدان التي فُتحت، وقارن ذلك بالغرب وسبب تقدمهم، إذ يقفون على السلبيات التي مروا بها مما دفعهم لمراجعتها وتصحيح الأخطاء وبناء حضارتهم على أسس متينة، بينما الإسلام كان يظهر البلاد التي فُتحت بمظهر الجاهلية والتخلف والإنسان البدائي، وهذا سبب عدم تقدمهم، بل اكتفوا بالجمود واخذ الاختراعات والإبداعات من الغرب بحجة أن الغرب الكافر سخره الله لأجل الإسلام.

وتناول الكاتب برؤية تنويرية وضع المرأة، فهي مساوية للرجل في الحقوق والواجبات وفي تكريم الله لها وفي عقابها، واستشهد بمريم أم المسيح وأم موسى عليهما السلام إذ ارتقى القرآن بهما إلى مستوى النبوة. وأضاف مساواتها بالعقاب كما ورد عن زوجة نوح وزوجة لوط أنهما كانتا من الغابرين. وأكد استهجانه لنظرة السلفيين بأن المرأة عورة وعليها الحجاب والنقاب ولزوم البيت. لكن الكاتب لم يعط رأيه في وجوب الحجاب أو النقاب أو العمل، وربما ورد ذلك في كتابه المرأة في الشريعة والحياة.

وفي النهاية، كان الفصل الأخير هو جوهر الكتاب، وقد ورد فيه كل ما أراد الكاتب دعمه في فكرة المذهب الإنساني في الإسلام. الفصول الأربعة تشكل مرجعاً للباحثين والدارسين، أما الفصل الأخير فيدعم فكرة الكتاب للقارئ.

الخاتمة

وهنا أود أن أعطي رأيي المتواضع أمام كاتب له أبحاثه وكتبه الغنية بالفكر الإنساني وله جمهوره المؤيد والمعارض، لكنهم يجتمعون على احترامه عند العامة والخاصة من المثقفين والدارسين. كتاب المذهب الإنساني في الإسلام يصلح أن يعتنقه المسلمون وكافة الأديان السماوية. وأنا أدعو الجميع لاعتناقه، فالمذهب الإنساني هو جوهر الديانات جميعها، ولا يتعارض مع الطرق والطقوس التي يتبعها البشر للوصول إلى مرضاة الله تعالى طالما هذا الكائن يحمل في قلبه المودة والرحمة لأخيه الإنسان في هذا الكوكب. وكما ذكر الكاتب، نحن

لسنا وحدنا نحن المسلمين في هذا الكوكب، الله هو الخالق وهو رحيم بخلقه، ونحن فقط علينا بالتسامح والغفران.

واستشهد الكاتب بدول إسلامية غير عربية تقدمت وتطورت بسبب تقديرها للإنسان أينما كان، ومنها استراليا وماليزيا واندونيسيا.

الكتاب جدير بقراءته لمن يحبون المطالعة، وجدير بأن يكون مرجعاً مهماً للدارسين والباحثين.

ملاحظة: أرجو المعذرة من الكاتب، ربما أهملت ذكر جوانب مهمة في الكتاب، وهذا غير مقصود، ربما غفلة أو تكرار الفكرة في مواقع كثيرة من الكتاب.



حمزة رستناوي

مؤلف وشاعر سوري من مواليد مورك - حماة ١٩٧٤، طبيب اختصاصي في طب الأعصاب مقيم في كندا من كلية أكسفورد -ميساغا- كندا
اشتغل رستناوي بالبحث في الأصول المؤسسة للوعي الإسلامي المعاصر، واجتهد لإضاءة الخيارات الإنسانية في الوعي، وتأصيل مواردها الشرعية والعقلية.
عرف رستناوي في الوسط الفكري الإسلامي بصفته باحثاً وناقداً يتبنى الخيارات الإنسانية في الإسلام، ويمارس النقد المنهجي للخطاب الشعبي الذي يكرس الجهل والتخلف، ويعتبر رستناوي من الأصوات الأدبية والفكرية السورية التي جمعت بين الإبداع الشعري والنقد الفكري الجريء، حيث يوازن بين الحس الفني والاشتغال النقدي على قضايا الدين والسياسة والمجتمع، ومن أبحاثه:

- نقد الخطاب الديني والإعجاز العلمي والعدي في القرآن.
- دراسة العلاقة بين الدين والسياسة في العالم العربي.
- مقاربات فلسفية حول المنطق الحيوي والأنسنة.
- مساهمات في قصيدة النثر العربية، وشارك في ملتقيات أدبية مثل الملتقى العربي الأول لقصيدة النثر بالقاهرة عام ٢٠١٣.

صدر له عدة كتب معظمها في الفكر السياسي والإسلاميات التطبيقية منها:

- ١ - تهافت الإعجاز العددي في القرآن الكريم ٢٠١٤
- ٢ - الإعجاز العلمي القرآن الكريم تحت المجهر ٢٠١٥
- ٣ - في البحث عن منطق الحياة (لماذا الأم تحب أولادها وتكره الفلاسفة) ٢٠١٨
- ٤ - حيادية الدولة تجاه العقائد الدينية للسوريين، المركز العربي للدراسات السورية ٢٠٢٥

النبي الديمقراطي بين
الخطاب التنويري
والإسقاط الرغبوي
(المذهب الإنساني
عند محمد حبش)

أولاً - حدود المذهب الإنساني في ضوء النص القرآني والتقليد الإسلامي

ضمن كل فتوى دينية توجد اتجاهات انغلاقية تمثل قوى الشَّخصنة، تؤكد على مفاهيم الهوية وتميزات هذه الفتوى عن غيرها، ويمكن تلمس تعبيراتها في مقولات من قبيل: «شعب الله المختار الفرقة الناجية، أتباع الدين الصحيح، إني فضلتكم على العالمين» وفي المقابل، ضمن كل فتوى دينية توجد اتجاهات انفتاحية تمثل القوى الحيوية الإنسانية التي تعبر عن مصالح انفتاحية على الآخر المختلف، وتؤكد على مقولات التنوع المفيد والوحدة في الاختلاف. إنَّ طروحات التيار التنويري المعاصر وضمنها طروحات الدكتور محمد حبش، تؤكد عموماً على البعد الإنساني الانفتاحي للإسلام. يكتسب هذا الطرح أهمية إضافية لكونه يظهر في مناخ إسلامي انغلاقي ترافق مع ما يُسمَّى بالصحوَّة الإسلامية وانتشار تيارات الإسلام الجهادي المتشدد.

يؤكد حبش على مفهوم إخاء الأديان مقابل مبدأ حوار الأديان أو مقارنة الأديان «فلا أحد في الأديان يستطيع تغيير جوهر دينه، وكذلك فإن مصطلح وحدة الأديان أو توحيد الأديان عبث لن يقبله أحد، ولكنني اخترت إخاء الأديان، وهو سلوك اجتماعي محض في مواجهة ثقافة الكراهية⁽¹⁾ كما يدرك حبش ضعف حضور ثقافة إخاء الأديان في المجتمعات العربية المسلمة وصعوبة تجاوز الإرث الثقافي السائد «إذ إن السواد الأعظم من الناس لا يزال خاضعاً لفكرة الآخر الكافر، والجحيم الذي ينتظره، ووجوب بغضه في الله الذي تعبداً يبغض الكافرين⁽²⁾».

رغم التقدير لنبيل الفكرة التي يطرحها حبش، فإن الرؤية التقليدية الشائعة التي تميز حديثاً بين المؤمنين والكافرين، والتي تبني في منطلقاتها منظوراً صراعياً ينحاز فيه الله سبحانه وتعالى

(1) حوار مع الكاتب والمفكر الدكتور محمد حبش - موقع مؤمنون بلا حدود- يونيو 2024

<https://www.mominoun.com/articles>

(2) نفس المرجع.

بقوة لصالح المؤمنين ضد الكافرين هي رؤية تستند إلى مُرتكزات بارزة لا يمكن تجاهلها من النص القرآني نفسه ونصوص الأحاديث النبوية كذلك.

يمكن المُحاجة بالقول إنَّ صورة الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم لا تقدم منظورًا لإله حيادي يساوي بين البشر بناءً على الاشتمال في الجنس الإنساني، كما أن الاعتبار الأخلاقي-السلوكي، رغم أهميته اللافتة في النص القرآني، ربّما لا يشكل الهاجس أو القضية القرآنية الأكثر حضورًا. الإسلام - كغيره من الأديان - يؤكد على مصالح الولاء بين جماعة المؤمنين ومُحبة الله سبحانه لهم في مقابل الانفصال النفسي عن جماعة الكافرين، وبما يصل إلى درجة البغض والعداء الصريح، تحديدًا لفئة المشركين والمُعتدين منهم.

عمليًا، لا يمكن فهم النص القرآني خارج ثنائية المؤمنين والكافرين، والتي يتم عرضها في النصوص المقدسة الإسلامية الأساسية (القرآن الكريم والأحاديث النبوية) غالبًا من منظور صراعي، حيث تتماهى صفة الإيمان بالخير.. وتتماهى صفة الكفر بالشر.

وردت كلمة المشركين في القرآن الكريم 180 مرة، وأما كلمة الكفار فوردت 160 مرة، وجلّها جاءت في سياق مصالح صراعية لا تؤكد على الإخاء والمُشترك الإنساني العام. لتتوقف مثلًا عند الآيات القرآنية الثلاث التالية على سبيل المثال:

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ (الممتحنة: 4)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (المائدة: 51)

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (آل عمران: 28)

ما قصده أن القرآن الكريم، ككتاب عقائدي من المُتوقع أن يخاطب الناس بناءً على ثنائية الفرز بين الإيمان والكفر، حيث يدعوهم إلى الهداية واعتناق الدين الجديد، في مقابل تنفيرهم وتهديدهم بعذاب أخروي وأحيانًا دنيوي في حال الرفض وعدم الاستجابة.

من غير المُتوقع في أي كتاب عقائدي ديني تقديم طرح إنساني مُحايد عابر للعقائد والأديان، لتتذكر أن المذهب الإنساني (الأنسنة) هو طرح فلسفي حديث نسبيًا يؤكد على قدرة الإنسان على الفهم والحكم بمعزل عن أي اشتراطات ميتافيزيقية أو سلطة دينية - زمنية.

بداية ظهرت طروحات الأنسنة من داخل التراث المسيحي في عصر النهضة مع جيوفاني بيكو ديلا ميراندول، المتوفى 1494 حيث كتب «خطاب في كرامة الإنسان»⁽³⁾ ومن ثم تطورت في سياق علماني حقوقي قانوني، وصولاً إلى إقرار الميثاق العالمي لحقوق الإنسان من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1948.

إن المحاولات التي يقدمها حبش في دعوته إلى المذهب الإنساني وتأصيله إسلامياً هي محاولات جديرة بالثناء، بغض النظر عن الانتقادات التي تم عرضها أعلاه، فصالح الأديان يكون في صالح المؤمنين بها، وهذا الصالح يجب أن يكون بمقياس يقبله ويطلبه عموم الناس عبر العصور والمجتمعات. عموم الناس لا يقبلون أن يُميزَ ضدهم أو يُضطهدوا بسبب الاختلاف العقدي أو الديني، وبالتالي فإن المذهب الإنساني يدخل في باب المصلحة والعمل الصالح الذي تستفيد منه مجتمعات المسلمين لكونها مشمولة في الإنسانية، وليس العكس. إن تغليب منطق ولغة وثقافة الحوار، والبحث عن البعد الإنساني بين المُختلفين عقدياً، هو بحد ذاته منظور حيوي للمُقاربة وسط ما نشاهده من تنامي الخطابات العنصرية والدعوات إلى التكتل على أساس ديني أو طائفي. إن الطرح الذي يقدمه حبش ينطلق من مركزية الإنسان، ومن ضرورة تحريره من الانقسامات والصراعات المذهبية «لم أقصد بإخاء الأديان بناء جبهة من المؤمنين ضد الملحدين، لقد قصدت إلى بناء إخاء إنساني؛ فالغاية الإنسان وليس الأديان، ولا أريد أن أخرج من الاصطفاف المذهبي إلى الاصطفاف الديني فكلاهما مشروع كراهية، لقد قصدت إلى الفضاء الأرحب، حيث يكون الإنسان أخاً للإنسان، يحبه ويحسن إليه على الرغم من موقفه الاعتقادي»⁽⁴⁾.

إن المذهب الإنساني ينطلق من مرجعية الإنسان في تفسير وفهم وتأويل النصوص المقدسة، وهذا ممكن لوجود مُركّزات مناسبة وهكذا قراءات من داخل النص الديني المؤسّس والتراث الديني اللاحق. هذا يحتاج إلى قراءة انتقائية، والانتقائية في هذا السياق ليست عيباً بل هي ضرورة ومصلحة، فالمُقاربة الدينية يجب أن تكون بدلالة الأهداف والنتائج التي يمكن مُعابنتها عبر استقرار وتنمية مجتمعات المسلمين. إن الفهوم التقليدية السائدة حالياً للإسلام تؤكد على

(3) Pico della Mirandola, Giovanni. *Oration on the Dignity of Man.* Translated by A. Robert Caponigri, Regnery Publishing, 1956.

http://www.andallthat.co.uk/uploads/2/3/8/9/2389220/pico_-_oration_on_the_dignity_of_man.pdf

(4) حوار مع الكاتب والمفكر الدكتور محمد حبش - مرجع سابق.

مركزية مفهوم الله سبحانه والتوحيد الربوبي، كما تؤكد على الفارق الجوهراني اللانهائي بين الله سبحانه والإنسان. فالإنسان في المنظور التقليدي هو موضوع لإظهار قدرات الله، وهو موضوع لتنفيذ رغبات وإرادة الله سبحانه وتعالى، كل ذلك في مقابل التعهد الإلهي بالفلاح والنجاة للمؤمنين. في المقابل، يقدم التفسير الإنساني للإسلام مقارنةً مختلفةً تؤكد على مفهوم الاتصال والتكامل بدلاً من الانفصال والاتصال.

ثانياً - الديمقراطية في سياق السيرة النبوية: إمكانات وحدود

نشر محمد حبش كتاب «النبى الديمقراطي: دراسات في الملامح الديمقراطية في كفاح الرسول»⁽⁵⁾ عام 2019، وفي مُسوّغات اختيار العنوان لقد اخترنا هذا العنوان قناعةً بالبرنامج الديمقراطي الذي قاده رسول الله في كفاحه السلمي النبيل وأردناه عنواناً صادماً يحفز العقل ويفتح آفاق الحوار إلى الغاية بهدف رسم الحدود الواضحة بين الديمقراطية والاستبداد⁽⁶⁾ ويضيف أن هذه الدراسة تضيء جوانباً مجيدة من كفاح الرسول الكريم، بوصفه قائداً ديمقراطياً حقيقياً عمل بصدق وشجاعة من أجل خدمة الإنسان، وناضل ضد الاستبداد والثيوقراطية والأوتوقراطية، وكافح من أجل مجتمع العدالة والحرية والديمقراطية، يؤمن بأخاء الأديان وكرامة الإنسان.⁽⁷⁾

الديمقراطية هي نظام إدارة مُحدّد ونظام مؤسسات تبلور تاريخياً في سياق التجربة الإنسانية المترامية، وصولاً إلى تجارب الدول الديمقراطية المعاصرة. ومن المُجمّع عليه، وفقاً للروايات الإسلامية المُختلفة، عدم وجود نظام إدارة مؤسساتي مُحدد للشورى واتخاذ القرارات في دولة النبى محمد، وحتى عقب وفاته لم يتم وضع آلية ديمقراطية أو غير ديمقراطية لانتخاب حاكم جديد للدولة النبى ومجتمع المسلمين..

قبل الحديث عن الديمقراطية، ينبغي التأكيد على المفاهيم المؤسسة لها، وهي المساواة بين الناس، وكذلك استقلالية الفرد وحرية الرأي والانتخاب بمعزل عن انتمائه القبلي أو الطبقي أو الديني، بالإضافة إلى نبذ العنف كوسيلة لحل الخلافات.

(5) الموقع الرسمي للدكتور محمد حبش - كتاب النبى الديمقراطي - نسخة الكترونية متوفرة على الموقع https://mohammadhabash.org/?page_id=24950

(6) نفس المرجع - ص 9

(7) نفس المرجع - ص 10

لقد كان المجتمع العربي في عهد النبوة مُنقسمًا تفاضليًا على أساس قبلي وطبقي (سادة وموالي وعبيد)، وكذلك على أساس ديني (مؤمنون - يهود - نصارى - كفار - مشركون)، بما يتماشى مع التطور التاريخي والاجتماعي والسياسي لعصر النبوة آنذاك. ومن التعسف بمكان إسقاط مفاهيم سياسية معاصرة على التاريخ، فهذا يدخل في باب التفكير الرغبوي واللا تاريخي.

وفي هذا السياق نستحضر كتاب الدكتور مصطفى السباعي «اشتراكية الإسلام» 1959، الذي حاول فيه تأصيل المبادئ الاشتراكية استنادًا إلى نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين.⁽⁸⁾

إذًا، فالديمقراطية هي صفة لنظام إدارة سياسية، وبالمقابل يمكن، مجازًا، وصف شخصية معينة بكونها ديمقراطية، أي بمعنى أنها تتقبل الاختلاف وغير مُستبدة. بهذا المعنى يمكن انتقاء حوادث معينة من السيرة النبوية تدعم هذا الاعتبار، ولكن بالمقابل توجد حوادث أخرى قد تتعارض معه. فالتجربة النبوية عمومًا هي تجربة ثورة عقائدية سياسية في مجتمع قبلي شبه صحراوي في القرن السابع الميلادي، والحديث عن الديمقراطية و«النبي الديمقراطي» أراه خارج السياق التاريخي وممكنات التجربة النبوية، فالنبوة خصوصًا، والإسلام عمومًا، حدثٌ في التاريخ وليس خارجًا عنه، والسياق النبوي الإسلامي هو سياق اجتماعي ثقافي بامتياز، لا يمكن فهمه أو إدراكه خارج حقل العلوم اللغوية والإنسانية والاجتماعية.

يؤكد حبش على وثيقة المدينة باعتبارها علامة فارقة في سيرة الديمقراطية النبوية: إن وثيقة المدينة كانت حدثًا غير عادي، فقد نصّت بوضوح على حقوق الجميع، وكانت بمثابة عقد اجتماعي جديد يمنع احتكار الحياة واحتكار السلطة، وكان يهود المدينة قد أعلنوا تمسكهم بدينهم ورفضوا الدخول في الدين الجديد، ومع ذلك فقد نصّت وثيقة المدينة بوضوح: إن المسلمين ويهود بني عوف أمة واحدة من دون الناس. ويفسر حبش تهجير القبائل اليهودية ومقتلة بني قريظة بسبب نكث العهد والخيانة: ولولا الغدر الذي وقع فيه أفراد أساسيون من قينقاع والنضير لاستمرّ هؤلاء في المدينة، وفي واقع اقتصادي قوي، ولكن من المؤسف أن قبائل اليهود في المدينة المنورة لم تلتزم بالعقد الذي أبرمه معها رسول الله، ونقضت العهد ثلاث مرات متتالية، وانتهى ذلك كلّ يومٍ مريّر لبني قريظة بعد أن قام أشرارهم بخيانة فاجعة يوم الخندق. كما يضيف بأن الرسول الكريم كان يخوض

حرباً لحماية الأقليات وإنصافهم، وربما كان من أوضح الأمثلة على ذلك فتح مكة، حيث لا يختلف اثنان على أن سبب الفتح الأعظم كان الانتصار لخزاعة بعد أن هاجمها سفهاء قريش.⁽⁸⁾

إن السردية التي يقدمها حبش في تفسير غزوات دولة النبي وحروب المسلمين مع العرب المشركين والقبائل اليهودية تنطلق من مفهوم الاضطراب والحروب الدفاعية، أي إن الأصل هو السلام وقبول التعدد العقائدي، ولكن حروب دولة النبي كانت ضرورية لبقاء وترسيخ دولة الإسلام الوليدة. في الحقيقة، هذه السردية تتماشى مع مقولة «النبي الديمقراطي»، وهي سردية مفيدة للمسلمين اليوم في استلهم التجربة النبوية بشكل إيجابي يؤسس لبناء دول ديمقراطية عصرية تقوم على مبدأ المواطنة المتساوية.

بالمقابل، ثمة سرديات أخرى تفسر الدعوات السلمية وخطابات الاخاء الانساني في الطور المبكر وبدايات الطور المدني، بما يشمل وثيقة المدينة، على أنها كانت نتيجة ضعف دولة النبي وعدم قدرتها على خوض صراع مسلح مع خصوم أقوى، وأنها سعت للتمكين الاجتماعي والسياسي تدريجياً تزامناً مع اتساع رقعة ونفوذ الدولة الوليدة. وهذه السرديات يتبناها في العموم طرفان متناقضان تماماً، هما:

أولاً- الحركات الإسلامية السلفية الجهادية

ثانياً- الحركات المعادية للإسلام من منطلق أيديولوجي ديني أو مادي - إلحادي.

في الحقيقة، لا توجد لدينا وثائق كافية من تلك المرحلة النبوية تتيح للمؤرخين بناء سردية علمية متماسكة، كما أن السردية الإسلامية التقليدية المروية في كتب السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي لا تتوافق كثيراً مع سردية «النبي الديمقراطي»، ويمكننا تفسير ذلك بأن عصر التدوين في القرن الثالث الهجري لم تكن فيه العلوم الإنسانية قد استقلت عن الدين، وكانت الحضارة الإسلامية في أوج انتصارها السياسي والحضاري، ولم تكن الديمقراطية من ملامح ثقافة ذلك العصر.

وفقاً لمصادر إسلامية⁽⁹⁾ يتراوح عدد غزوات النبي بين 19 و 29 غزوة، وعدد السرايا بين 40 و 70 سرية وذلك على مدى عشر سنوات تمثل الطور المدني من السيرة النبوية. ثمة غزوات

(8) قراءة في حقوق الأقليات في مجتمع المدينة - محمد حبش - مركز نقد و تنوير - تاريخ مارس 2016

<https://tanwair.com/archives/4276>

(9) موقع اسلام ويب، عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه .

<https://isla.mw/a2ciur>

يمكن تفسيرها كحروب دفاعية اضطرابية كغزوة أحد وغزوة الخندق، وبالمقابل من الصعوبة بمكان تفسير غزوة بدر أو غزوة مؤتة على أساس مبدأ الحرب الدفاعية. كذلك تجهيز الجيوش لقتال الفرس والروم قبيل وفاة النبي بفترة قصيرة لا يدخل في سياق الحروب الدفاعية.

وفي ذلك يمكن القول إن الإسلام النبوي كدعوة عقائدية سياسية، وضمن منطق إنشاء دول في ذلك العصر، كان يستلزم استخدام وسائل السياسة المتاحة في ذلك الطرف، بما يشمل توظيف القوة بكل أشكالها المادية والمعنوية بشكل متناسب، وبما يخدم الأهداف.

فيما يخص غزوة بني قريظة، يعرض حبش: قصة بني قريظة تعرّضت للمبالغة خلال التاريخ، وبلغ عددهم في بعض الروايات 900 قتيل، والصحيح في البخاري أن النبي قتل منهم المُقاتلة، ولا نحفظ من أسماء الذين قُتلوا من بني قريظة إلا خمسة أفراد. ورواية ابن زنجويه في كتابه «الأموال» حديث رقم 359 أن عدد من قُتل منهم 38 رجلاً.⁽¹⁰⁾

لا يمكن نفي ما عرضه حبش ولكن بالمقابل لا يمكن الاطمئنان له بالمقابل. ما الذي يجعلني أقبل الرواية الفلانية وأرفض الرواية الأخرى؟ ما هو المعيار الذي على المؤرخ أو الباحث الرجوع له، خاصة في ظل غياب روايات مقابلة من طرف بني قريظة وعدم توفر وثائق وروايات تاريخية مُعاصرة للحدث.

لنرجع مثلاً إلى كتاب سيرة ابن هشام المتوفى 2018 للهجرة والذي يتضمن تنقيح سيرة ابن اسحاق، وهو كتاب السيرة الأقدم المتوفر بين أيدينا «حاصر النبي محمد بني قريظة حتى استسلموا، فأرسل إليهم سعد بن معاذ ليحكم بينهم، فحكم بأن يُقتل المُقاتلة، وتسبي النساء والأطفال، واستُخلف على المدينة من بقي من الرجال. وكان عدد الذين قُتلوا نحو ستمائة أو سبعمائة رجل.⁽¹¹⁾

أما رواية الطبري المتوفى 310 للهجرة في (تاريخ الرسل والملوك) فلم تؤكد رقماً محدداً للقتلى ولكنها تحدّثت عن سبي النساء والأطفال والممتلكات «حاصر النبي ﷺ بني قريظة بعد الأحزاب، ثم أرسل إليهم سعد بن معاذ، فحكم بأن يُقتل الذين حملوا السلاح ضد المسلمين، ويؤخذ النساء والأطفال رهائن، ويسبي ممتلكاتهم.⁽¹²⁾

(10) قراءة في حقوق الأقليات في مجتمع المدينة - مرجع سابق -

كتاب سيرة ابن هشام - ت سقا ورفاقه، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة، ج 2 ص 623

(11) https://shamela.ws/book/23833?utm_source=chatgpt.com

<https://shamela.ws/book/9783>

(12) كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة، ج 6 ص 85.

من وجهة نظر علمية تاريخية لا يوجد لدينا وثائق كافية لتأكيد أو نفي هكذا أحداث تتعلق ببني قريظة ذات طبيعة اشكالية والتي قد ينبني عليها تصورات أو أحكام قد تكون مُتناقضة.

عندما ننظر إلى مقولة «النبى الديمقراطي» التي يسوق لها الدكتور محمد حبش بعين المسلم المُعاصر، نجدُها سيرةً مُلهمة تساعد المسلمين على الدخول في العصر والمساهمة في بناء دول ديمقراطية تحترم التنوع العقائدي، وهذا هدف نبيل بلا شك.

بالمقابل، عندما ننظر إلى مقولة «النبى الديمقراطي» بعين المثقف الباحث، عندئذٍ يختلف المشهد تمامًا فالديمقراطية، فيما تعنيه، هي حكم الأغلبية بشروط. ولكن كيف يمكن المواءمة بين الوحي الإلهي (الواجب الطاعة) الذي يتنزل على النبى محمد ﷺ، والمُلزم لجماعة المؤمنين، وبين الديمقراطية التي ترفض المُسبقات والمُطلقات وتشمل جماعة الناس من المؤمنين وغيرهم؟

في الحقيقة، لا يمكن الحديث عن تعارضٍ جوهري بين الإسلام والديمقراطية، إذ إنَّ الإسلام يتجلى في صيغ وتطبيقات متعددة، وكذلك الحال في الديمقراطية التي تتنوع بتنوع البيئات والتجارب الإنسانية. ومع ذلك، يمكن القول إنَّ من الممكن والضروري بلورة رؤية ديمقراطية تعبّر عنها تيارات وأحزاب ذات مرجعية إسلامية، من دون اللجوء إلى محاولات التآصيل المباشر لمفاهيم الديمقراطية في السيرة النبوية أو في شخصية النبى.

إنَّ تأكيد محمد حبش، ومعه عدد من رموز التيار التنويري في سوريا، أمثال جودت سعيد، ومحمد شحرور، وسامر إسلامبولي، وأحمد الرمح، وغيرهم، على المذهب الإنساني في الإسلام، يسهم في نقل الخطاب الإسلامي نحو أفق وطني وإنساني رحب، بعيداً عن انغلاق الطوائف وضيق العقائد الدينية التي تراكم عليها صداد السياسة والتعصب. كما يمكن هذا التوجه من استعادة الإنسان مكانته المركزية بوصفه محور التكليف والتكريم الإلهي، ويعزز تحرّره من ثقافة الخوف، ويفتح أمامه سبل اللقاء والتفاهم مع الآخر في فضاء إنساني مشترك..



خلف الجراد

باحث وكاتب سوري حائز درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لينينغراد، عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية، وعضو الجمعية العربية للعلوم السياسية. تميز الدكتور خلف بعقل نقدي متزن يسعى إلى فهم العلاقة بين الفكر والدين والثقافة والإنسان، وقد جمع بين الفكر الفلسفي والروح الإنسانية، مؤكداً أن الحوار هو السبيل الأمثل للمعرفة.

تعزز دراسات الدكتور خلف الاتجاه الإنساني في بناء المجتمع، وكتب مراراً في رفض كل أشكال التمييز الطبقي أو الديني أو المذهبي، معزّزاً من محورية الإنسان في أي قراءة مجتمعية أو فكرية، وخاض حواراً معمقاً لتوضيح الديانة اليزيدية الموجودة في شرق سوريا، وتغيير الصورة النمطية التي أدت إلى موجات الاضطهاد التي مارسها التطرف الديني.

- عمل باحثاً متفرغاً في جامعة دمشق، وفي المجال الإعلامي والدبلوماسي.
- نشر عشرات الدراسات، في المجلات والدوريات العربية والصحف السورية.
- شغل عضوية هيئة تحرير أكثر من دورية ثقافية - فكرية.
- حاز جائزة الدولة التقديرية (في سورية) لعام ٢٠٢٣ في الدراسات والنقد والترجمة.

- من أعماله المنشورة:

- العنف والإيديولوجيا
- الفن والدين
- ثقافة السريان في القرون الوسطى
- الفلسفة اليابانية المعاصرة
- اليزيدية واليزيديون
- الإسلام والمسيحية (ترجمة عن الروسية)
- الأبعاد الفكرية والعلمية للصراع العربي الصهيوني

رؤية المفكر الإسلامي

الأستاذ الدكتور

محمد حبش

للمذهب الإنساني

في الإسلام

تمهيد

من المعروف أنّ التاريخ الإسلامي حافلٌ بالمقالات والفرق والتيارات والمذاهب الفكرية المختلفة، التي إن دلّت كثرتها وتفرّعاتها على شيء، فإنّما تدلّ على سماحة الإسلام وسعة آفاقه وتنوّع أطرافه ورؤاه، وقدرته الحيويّة على استيعاب الاختلافات والفرقات والآراء الاجتهاديّة والقراءات المتعددة والتفسيرات والتأويلات المختلفة المتنوّعة.

لا يدخل في نطاق ومطلب بحثنا هذا استعراض المؤلفات العربية - الإسلامية الصادرة على مدى قرون عديدة، فالمكتبات تغصّ بها لمن يهّمه الاطلاع على مضامينها ومراجعة موضوعاتها ومسائلها. أمّا هدف بحثنا فيتمحور حول نقطة مركزية أساسية، تتمثل برؤية المفكر الإسلامي المجتهد المجدّد الأستاذ الدكتور محمّد حبش للمذهب الإنساني في الإسلام، وهو الذي أغنى المكتبة العربية - الإسلامية والعالمية بعشرات المؤلفات والأبحاث والدراسات في قضايا شديدة الأهميّة ولاسيّما في عصرنا الراهن، وأذكر منها على سبيل المثال: سيرة رسول الله (ص)، النبي الديمقراطي، إسلام بلا عنف، نبيّ من أجل الإنسان، المسلمون وعلوم الحضارة، المرأة بين الشريعة والحياة، المعتمد في أصول الفقه، المصارف والربا، المشترك أكثر مما تعتمد، القراءات المتواترة واثرها في الحكم الشرعي، الشامل في القراءات، منهج التجديد والإصلاح، الدبلوماسية بدل الحرب، العقوبات الجسدية وكرامة الإنسان، في بيت رسول الله، جيران على كوكب واحد، وغيرها من الكتب المهمة، والتي صدر عدد منها لغات أجنبية كالإنكليزية والألمانية والرومانية. وما يزال - أطال الله عمره وكلّله بالصحة والعافية - في قمة نشاطه العلمي والتدريسي والبحثي، لا يكَلّ ولا يملّ في دعوته للانفتاح والمحبة والتسامح وتغليب روح الإنسانية والإخاء والتعاون. فلا تكاد تخلو ندوة علمية - فكرية لها علاقة بالإسلام والعصر من مشاركتة الفعّالة، التي يهدف منها توصيل رسالته الإخائية الجامعة والتي هي أحسن وفي أبسط أسلوب ولغة وعبر مختلف المحافل والتجمعات الثقافية - الفكرية العربية والإسلامية والعالمية في الشرق والغرب. وهو محاور من الطراز الرفيع الذي يستقطب في لقاءاته أعداداً كبيرة من الناس، مسلّطاً الأضواء على الصفحات المشرقة التي كرّمت بني آدم وإنسانيته في الأديان

والعقائد والفلسفات والتيارات الفكرية في العالم، وفي مقدمتها الإسلام، الذي نذر د. حبش حياته وفكره ونشاطاته لتبليغ رسالته الإخائية للعالم بأسلوب عصري ذكي ومن خلال وسائل التواصل المتقدمة التي أتاحها التكنولوجيا الحديثة. فكيف قارب مفكرنا المجدد هذه المسألة المهمة جداً، وما رؤيته لمرتكزات المذهب الإنساني في الإسلام؟

أولاً: نظرة تحليلية فلسفية لمفهوم المذهب.

لغويّاً: ذهب إلى قول فلان: أخذ به. وذهب مذهب فلان: قَصَدَ قَصْدَهُ وطريقَهُ. وذهب في الدّين مذهباً: رأى فيه رأياً.

والمذهب يعني الطريقة، والمعتقد الذي تذهب إليه. جاء في ((المعجم الفلسفي))⁽¹⁾ الذي وضعه عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الدكتور جميل صليبا، أنّ ((المذهب عند الفلاسفة مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت ببعض ارتباطاً منطقيّاً حتى صارت ذات وحدة عضوية منسّقة ومتماسكة. والمذهب أعمّ من النظريّة، ويغلب على أصحاب المذاهب أن يرجعوا نظرياتهم وآراؤهم إلى عدد محدود من المبادئ من غير أن يطابقوا بينها وبين شروط الواقع مطابقة تامّة))⁽²⁾.

بينما ترى (الموسوعة العربيّة)⁽³⁾، أنّ المذهب doctrine. ولغةً هو المعتقد والطريقة والاصل، واصطلاحاً هو مجموعة من المفاهيم ومن الأفكار والقواعد الموجهة التي تخصّ ميداناً بعينه من ميادين المعرفة أو النشاط، وتكون ذات اتّساق وتجانس فيما بينها، غالباً ما يعود جميعها إلى عدد محدود جداً من المبادئ العامّة الموجهة، التي تسري على كلّ مواقف المذهب وقواعده.

وبهذا يدلّ المذهب على المضمون وعلى المنهج معاً، وهو بخلاف النسق (أو النظام) -sys- الذي هو تجميع للمعرفة في كلّ عضوي هو أقرب إلى النظرية (theory)، فالمذهب إذاً أعمّ من النظرية.

(1) الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1973)، ج2.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص361.

(3) الموسوعة العربية، تأليف وإعداد مجموعة من الأكاديميين المتخصصين والأساتذة الباحثين في مختلف ميادين العلم والمعرفة، ج22، ط1 (دمشق: وزارة الثقافة - هيئة الموسوعة العربية، 2007)، ج18، ص293-292.

وقد تختلط كلمة ((مذهب)) بكلمات أخرى وتتداخل معها أحياناً في انحاء متفاوتة، ومنها: عقيدة dogma، نظرية، مدرسة، اتجاه، وأحياناً تتداخل مع كلمة (الفلسفة) ذاتها، كأن يقال (فلسفة أرسطو) و(مذهب أرسطو) و(الفلسفة التجريبية) و(المذهب التجريبي).

وإذا كان الاستخدام المشار إليه جائزاً، إلا أنه غير متطابق ومتساو في معناه، انطلاقاً من أنَّ المذهب عند الفلاسفة هو مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً حتى صارت وحدة عضوية منسقة ومتماسكة، فالمذهب الفلسفي هو تطبيق جزئي لفلسفة عامة، كأن يقال الفلسفة الأفلاطونية وليس المذهب الأفلاطوني، فإذا ما استُخدم اصطلاح مذهب، يقال عندئذ المذهب الأفلاطوني مثلاً في (المعرفة) وفي (الوجود) أو في (الأخلاق)⁽⁴⁾.

وقياساً على ما تقدم، فإنه لا يصح القول -مثلاً- ((المذهب الإسلامي)) ولكن يقال: الإسلام ومذاهبه، كما لا يقال ((المذهب المسيحي)) بل المسيحية ومذاهب المسيحية.

إذاً فإن، المذهب الإنساني في الإسلام يمكن أن يكون مجموعة من المبادئ والمنطلقات والآراء الإسلامية العلمية الفقهية التي تكوّنت لدى مجموعة من المفكرين الإسلاميين، الذين أضاف كل منهم أفكاراً وأطروحات جديدة، لتشكل معاً مبادئ مشتركة هي المذهب الإنساني في الإسلام، أو القراءة الإنسانية للإسلام بنصه القرآني وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسترشاداً بأراء عدد من العلماء والخلفاء الراشدين والصحابة المعروفين.

وإذا كان بعض الفقهاء لا يرون مسوغاً أو حاجة حقيقية إلى تكوين وتشكل المذاهب، غير أن عدداً متزايداً من مفكري الإسلام وعلمائه كما سيمرّ معنا لاحقاً ينطلقون من أن المذهب يؤدي وظيفة جوهرية في الفكر والعمل، تتمثل بتنظيم شتات الأفكار والمفاهيم والتجارب التاريخية، بحيث تنتظم الكثرة إلى نوع من الوحدة والنسق المتكامل، لاسيما أنَّ شرط الفكر الإنساني والحياة الإنسانية تتجه إلى توحيد الرؤى نحو التقريب الحقيقي بين الأديان والعقائد والمفاهيم، التي يأتي في مقدمتها وعلى رأسها التركيز على تكريم الإنسان وإعلاء شأن إنسانيته، عبر الحوار الحضاري المتمدن، دون أي شكل من أشكال القسر والعنف والإكراه.

(4) المصدر نفسه، ص 292.

ثانياً: مكانة الإنسان والإنسانية في فكر الدكتور محمد حبش

بتواضع العلماء والمفكرين الكبار يشير الدكتور حبش إلى المساهمات المتميزة للدراسات العربية السابقة التي حملت عناوين الإنسانية وحقوق الإنسان والمذهب الإنساني، ويقدم عرضاً دقيقاً لأسماء العلماء والكتاب والمفكرين والباحثين الذين قاموا بجهود طيبة ريادية في تسليط الضوء على هذا الجانب المهم في الإسلام⁽⁵⁾.

وانطلاقاً من الضرورة المنهجية البحثية الأكاديمية الرصينة، ولأنّ د. حبش يعرف مدى أهمية التعريف العلمي بالمصطلح المحوري الذي يدور الحوار والنقاش والاستئالة بشأنه، يبادر إلى إعطاء قارئيه وجمهوره المتابع فكرة عن مفهوم ((مصطلح المذهب الإنساني))، (الدين الإنساني، أو الإنسانية Humanism)، الذي يؤكد أنه ظهر في نهاية العصور الوسطى كنوع من التمرّد على المواقف الكهنوتية المتشددة في الفكر والاعتقاد والسلوك، فكان نشوء الحركة الإنسانية ردّاً مضادّاً بالعودة إلى القيم العليا المذكورة في الفطرة الإنسانية الأولى. وبهذا يُعبّر بالمذهب الإنساني عن الاتجاهات الفكرية والسلوكية التي تجعل الإنسان محوراً، وتكرّس مفاهيمها وأدبياتها وتشريعاتها وفق القيم الإنسانية المشتركة بغض النظر عن الدين أو الفكر أو الممارسة الشعائرية. فالإنسانية ليست إيديولوجية، ولا هي حزب سياسي ولا منظمة اجتماعية، الإنسانية تفكير حرّ وتوجه نحو الإنسان وبديل عن العصبية الإيديولوجية⁽⁶⁾.

ويرى د. حبش أن الإنسانية هي تيار في الأديان وفي السياسة وفي النضال الاجتماعي، لافتاً إلى أنه من أوضح مزايا هذا التيار أنّ الجميع يدّعيه، ويختاره عنواناً وشعاراً، ولكنّ التيارات التي تتبنى اتجاهها إنسانياً بالفعل يتجاوز الانتماء الديني أو القومي أو العرقي أو الأسري هي تيارات محدودة للغاية.

وإذ يعيد د. حبش فكرة المذهب الإنساني إلى حال الإنسان منذ بدء حياته على هذا الكوكب، وهو بكل تأكيد أوضح ما يكون في العائلة الإنسانية الأولى. فسواء أقرأنا العالم نسق آدم وحواء أم إيزانا جي وإيزانامي أم أهورامزدا وأهرمان أم إنسان نياندرتال أم التفسير الدارويني للحياة

(5) للاطلاع على الأعمال السابقة والمساهمات الريادية التي ثمنها د. حبش وأشار إلى أهميتها في تبلور المذهب الإنساني في الإسلام، أنظر: د. محمد حبش، المذهب الإنساني في الإسلام، ط 1 (الشارقة: مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة، 2011) ص 11-17.

(6) المصدر نفسه، ص 19.

(فلا شك في أنّ الإنسان كان واعياً لطبيعة تشاركه في العائلة الإنسانية بوجه ما، ولا شك في أنه كان يرتد في لحظات من التأمل والنظر إلى معنى الأسرة الإنسانية الواحدة، فالناس من جهة الأحساب أكفأ أبوهم آدم والأم حواء)⁽⁷⁾.

ويتقاطع رأي الدكتور محمد حبش في هذه النقطة الجوهرية مع التعريف الفلسفي للإنسانية (Humanity) الذي يعني أنها (تدلّ على ما اختصّ به الإنسان من الصفات، وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية، إنما هو للمحامد، نحو الجود، والكرم، وغيرها)⁽⁸⁾.

والإنسانية عند الفلاسفة القدماء هي المعنى الكلّي المجرّد الدالّ على ما تقوم به ماهية الإنسان. والإنسان في فلسفة إخوان الصفا مثلاً، «لا تكتمل إنسانيته إلا بإخراج ما فيه من قوة فكر ورؤية إلى الفعل، وما في حكم العدم إلى حكم الوجود من استكمال الفضائل الإنسانية. فهو إذاً بالحكمة، وتعلم العلم، وإخراج ما في القوة إلى الفعل، تكتمل صورته الإنسانية، والأخلاق الأدمية، ويصر على صراط مستقيم، وطريق قويم، وينتقل من أدون المنازل إلى أشرفها، ومن أسفلها إلى أعلاها...»⁽⁹⁾.

أما فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة أبو حيان التوحيدي، فيقول: «الإنسانية أفق، والإنسان متحرّك إلى أفقه بالطبع، ودائر على مركزه، إلا أنّ يكون موقوفاً بطبيعته مخلوطاً بأخلاق بهيمية. ومن رفع عصاه عن نفسه، وألقى حملة على غاربه، وشتّت هواه في مرعاه، ولم يضبط نفسه عمّا تدعو إليه بطبعه وكان لئين العريكة لاتباع الشهوات الرديّة، فقد خرج عن أفقه، وصار أرذل من البهيمية، بسوء إثاره»⁽¹⁰⁾.

وللإنسانية (Humanity) في الفلسفة الحديثة مقاربات وتجليات ومعاني عديدة، أبرزها ثلاثة:

- 1- الإنسانية هي المعنى الكلّي الدالّ على الخصائص المشتركة بين جميع الناس، كالحياة، والحيوانية، والنطق، وغيرها. وهذا المعنى شبيه بالمعنى القديم الذي نجده عند الفلاسفة العرب.
- 2- الإنسانية هي مجموع خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي التي تميزه عن

(7) المصدر نفسه، ص 20.

(8) الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 158.

(9) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، إعداد وتحقيق الدكتور عارف تامر، ج 5، ط 1 (منشورات عويدات: بيروت - باريس، ج 5، رسالة الجامعة وجامعة الجامعة، ص 31-31).

(10) أبو حيان التوحيدي، المقابسات، حققه وقدمه محمد توفيق حسين، ط 2 (بيروت: دار الآداب 1989)، المقابلة السابعة والثلاثون، ص 139.

غيره من الأنواع القريبة. مثال ذلك، قول ((أوغوست كونت)): (إن المثال الأساسي للتطور الإنساني فريداً كان أو اجتماعياً يقوم في علم الاجتماع الوضعي على تغلب إنسانيتنا على حيوانيتنا).

3 - مجموع أفراد النوع الإنساني من حيث انهم يؤلفون موجوداً اجتماعياً، قال ((أوغوست كونت)) (كومت): ((إن الفلسفة العامة المستنتجة من الدراسات الوضعية تعدّ الإنسان - أو الإنسانية - أول الكائنات المعلومة). وهو يقيّد هذا اللفظ أحياناً، فيطلقه على مجموع أفراد الجنس البشري الذين أسهموا في تنمية الصفات الإنسانية إسهاماً فعلياً. وهذا المعنى الأخير هو المعنى المقصود بقوله: الإنسانية هي الموجود الأعظم⁽¹¹⁾.

ويهمنا أن نشير هنا إلى مصادر د. حبش ومراجعته الفكرية الواسعة في مقاربتة لمفهوم (الدين الإنساني)، وهي التي نحسب أنها شكّلت المدماك القوي لانطلاقة القوية في إطروحته عن (المذهب الإنساني في الإسلام).

فقد أضاء بداية على أبرز المحاولات الفلسفية والدينية التي جرت في الغرب والشرق (الأقصى) «الترتيب قيم الدين المختلفة على محورية الإنسان، بحيث تكون الشرائع في خدمة الإنسان وليس الإنسان في خدمة الشريعة. وهو ينطلق أساساً من كون هذه القيمة مركزية وأساسية في القرآن الكريم، ويمكن فهمها بوضوح من خلال متابعة قصة الخلق ومكانة الإنسان فيها»⁽¹²⁾.

ولدى دخول د. حبش في بحثه المُعمّق «للمذهب الإنساني في الإسلام» يعترف بشجاعة العالم ومسؤولية المفكر وموضوعيته أنّ القيم التي يتمّ التأكيد عليها وتبينها بهذا الاتجاه ليست خياراً اتفاقياً بين الفقهاء، وإنما هي تيار إسلامي حقيقي يعتمد الإنسان محوراً التشريع ولا يقبل المساس بكرامته ولا إنسانيته ويرفض التمييز بصورة كلّها الممارسة ضده، وبخاصة ضد المرأة وضد المختلف في الدين، كما يرفض التعذيب بصورة كلّها في نظم العقاب، كما يعدّ القيم الإنسانية أولى بالاعتبار من النصّ الديني، إذ هي في العمق جوهر الدين ورسالته، والنصّ نفسه حمّال أوجه، يحتاج باستمرار إلى قراءة تأويلية، ما دام أن الأحكام تتغيّر بتغيّر الأزمان. وبناءً على

(11) الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص159-158؛ وانظر: الموسوعة العربية، ج3، ص883-881؛ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط5 (القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007)، ص107-105؛ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج3، تعريب خليل أحمد خليل، ط2 (منشورات عويدات: بيروت-باريس، 2011)، ج2، ص572-566.

(12) د. محمد حبش، المذهب الإنساني في الإسلام، ص36.

ما تقدّم فإنّ على النصّ الديني أن يحتكم إلى القيم الإنسانية وأن يتمّ تأويله بما ينسجم مع هذا القيم، وليس أن يتمّ تغيير القيم لتناسب مع ظاهر النصوص⁽¹³⁾.

ثالثاً: الإسلام ومصادر المذهب الإنساني وملامحه العامة.

عن السؤال المركزي: أين نجد المذهب الإنساني في المصادر التشريعية في الإسلام؟ يغوص الدكتور محبّ حبش بعمد ودراية وقناعة بتفاصيل الشريعة الإسلامية وقيمتها وغاياتها ومقاصدها مستعرضاً ما يدعم رأيه في أنّ النصوص المتصلة بالإخاء الإنساني كثيرة جداً، ليصل منها إلى التأكيد على «أنّ حفظ النفس مقدّم على حفظ الدين، وأنّ الدين في خدمة الإنسان وليس الإنسان في خدمة الدين»⁽¹⁴⁾. وهي الفكرة المحورية في المذهب الإنساني في الإسلام.

ولأنّ الباحث د. حبش وهو الذي اعتاد خوض عشرات المناقشات والحوارات في الندوات واللقاءات والتجمعات والمعاهد العلمية والجامعات، يعرف حجم المعارضة الناتجة عن حرفية وقراءات حفظية جامدة لنصوص القرآن والسنة؛ فقد انطلق في تأصل آرائه الإنسانية هذه من نصوص القرآن نفسه ومن السنّة الشريفة، ليؤكد -مثلاً- على أنّ «الجهاد» المشروع هو فقط ذلك الجهاد الذي يهدف إلى حماية الإنسان وتحقيق أمنه وكرامته، وعلى هذا يجب تأويل كلّ نصّ في القرآن الكريم، وهو المقصود بعموم الآية: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (سورة البقرة: 190).

في قراءته التحليلية المعمقة لسورة الفاتحة ولمواقف الرسول محمّد (ص) وهدية الكريم، يصل د. حبش على الاستنتاج بإمكانية تأويل بعض النصوص وفق مصالح الناس وحاجاتهم. ويؤكد مجدداً على أنّ المذهب الإنساني في الإسلام يشكل جوهر الإسلام، وأنّ القرآن الكريم هو الذي أسس للأسرة الإنسانية وما ينشأ عنها من الإخاء الإنساني⁽¹⁵⁾.

وبشأن الملامح العامة أو المنطلقات الأساسية للمذهب الإنساني في الإسلام، يرى الدكتور محمد حبش أنه يمكن تحديدها في المحاور التالية:

- 1 - التأكيد على أنّ الإنسان سيّد الكون، وهو خليفة الله على الأرض.
- 2 - التأكيد على أنّ الكون مسخّر للإنسان، وأنّ الإنسان مدعوّ لتسخير الكون.

(13) المصدر نفسه، ص 41.

(14) المصدر نفسه، ص 50 وما بعد.

(15) المصدر نفسه، ص 67.

3- النظر إلى حقوق الإنسان التي أقرتها الشريعة بوصفها نصّاً مؤسساً للقيم الإنسانية.

4 - النظر للكرامة الإنسانية بحسبانها غاية نهائية في كلّ تشريع.

5 - تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يحقق محورية الإنسان وكرامته.

6 - رفض كلّ تشريع ينطوي على إهانة الإنسان أو التمييز بين الناس.

7 - تعزيز المشترك الإنساني بين البشر على اختلاف أديانهم وألوانهم ومذاهبهم.

مع معرفة د. حبش التامة أنّ «الوصول لهذه الغايات لن يتم دون مواجهة مباشرة مع كثير من المسلمات، التي من المؤسف أنها صُنّفت في باب الثوابت. وبات الحوار فيها يستلزم حتماً صراعاً مع الكهنوت الديني الذي يصّر على أنّ النصّ الديني غيب لا يمكن تعقله...»⁽¹⁶⁾.

في سعيه الحثيث ومتابعته الواسعة لكل ما من شأنه إيصال رسالته الإسلامية المتسامحة لأخوته في الدين أولاً ولمعتنقي الأديان والمعتقدات والقيم الأخرى، يقدم الدكتور محمّد حبش أكثر من إحصائية ومقارنة للجوانب الإنسانية الأساسية التي تلتزمها الدول المتقدمة إزاء حقوق الإنسان والمعايير المعتمدة فيها لتوفير الحياة الكريمة والأمن لكبار السن والعناية بهم، واحترام اللاجئين وتوفير أمنهم وحقوقهم في الحياة بغض النظر عن موقفهم السياسي في مواجهة حكوماتهم الظالمة⁽¹⁷⁾.

وفي هذا السياق يشير د. حبش إلى دراسة علمية لافتة صدرت عن جامعة جورج واشنطن قدمها باحثان مسلمان في عام 2010 (هما: حسين عسكري وشهناز رحمن) عن واقع تطبيق قيم الإسلام الإنسانية في العالم، وهي القيم التي جاء الإسلام مبشراً بها، ودعا الدولة والمجتمع إلى التزامها، ووصل الباحثان إلى تحديد إثني عشر بنداً، تُعدّ على رأس أولويات الإسلام في بناء الحياة السعيدة؛ وهي تشتمل على حقّ الإنسان في الحرية والحياة والطعام والشراب والصحة والتعليم والحرية والنظام، ومسؤولية المجتمع في الإنتاج والعدالة في التوزيع والحماية للبيئة، وجاءت كلّ قيمة منها معززة بآية أو بحديث.

وبعد تحديد البنود الإثني عشر وضع الباحثان مؤشرات معيارية لقياس تطبيق هذه القيم، ثم ذهبوا إلى الإحصائيات الرسمية المعتمدة في الأمم المتحدة لما حقته دول العالم في هذه الحقوق، وتم رصد 208 دولة شملت الدراسة آنذاك، وجاءت النتيجة أنّ أكثر الدول في العالم تطبيقاً لهذه القيم الإسلامية العليا كالآتي:

(16) المصدر نفسه، ص 43.

(17) المصدر نفسه، ص 251.

- 1 - نيوزيلاندا
- 2 - لوكسمبورغ
- 3 - إيرلندا
- 4 - إيسلندا
- 5 - فنلندا
- 6 - الدنمارك
- 7 - كندا
- 8 - بريطانيا
- 9 - أستراليا
- 10 - هولندا

وأول دولة إسلامية دخلت التصنيف كانت ماليزيا في المرتبة 33 والكويت 48، أما السعودية فكان تصنيفها 91 وإيران 139 وسورية 168 والسودان 190.

ويقول د. حبش إن الدراسة كانت تعتمد على الجانب الموضوعي بدقة كبيرة، وقد طبقت فيها شروط المعرفة الصارمة؛ فاعتمدتها جامعة جورج واشنطن في العام 2010 ونال بها الباحثان المذكوران ترقية أكاديمية. وتزايد الاهتمام بالمؤشرات التي طرحتها الدراسة فتطورت في ما بعد وصارت مؤشراً سنوياً.

يصدر وفق المعايير إياها تحت عنوان: ((المؤشر الإسلامي العالمي)) (Islamicist indices) وبات بالإمكان متابعة التقرير السنوي المستمر منذ عام 2015 حتى تاريخه⁽¹⁸⁾، الذي أصبح مُتضمناً أربعة حقول أساسية:

1- الأداء الاقتصادي.

2- التشريع والحوكمة.

3- حقوق الإنسان.

4- العلاقات الدولية.

«وسيتظهر في الموقع تطور واقع حقوق الإنسان في البلاد الإسلامية، ولكن بات من المؤكد أن واقع البلاد الإسلامية في حقوق الإنسان لا يزال متدنياً، في ما صعدت بلاد إسلامية عدة إلى مراتب متقدمة في الاقتصاد والحوكمة والعلاقات الدولية»⁽¹⁹⁾.

(18) يمكن متابعة التقارير السنوية على الموقع التالي:

<http://islamicity-index.org/wp/indices2015>

(19) د. محمد حبش، المذهب الإنساني في الإسلام، ص 254.

خلاصة:

حاولنا في هذه الدراسة الإضاءة على أبرز الملامح والمنطلقات والمقاصد والمحاور النازمة للمذهب الإنساني في الإسلام، تبعاً لرؤية المفكر الإسلامي المجدد الأستاذ الدكتور محمد حبش، الذي يشير مرّات عديدة إلى أنّ التأويلات المنسجمة مع القيم الإنسانية في هذا المذهب والاتجاه، لا تحظى بقبول من جمهور ورجال الدين، وكذلك من فريق كبير من رجال الإسلام السياسي، بموازاة قناعاته بحضور هذا الوعي بشكل عفوي وسلس في الإسلام الشعبي أو في المجتمعات الإسلامية ذات الانتماء الذي البسيط للإسلام، ذلك الانتماء الذي لم يتأسس على دراسة العلوم الشرعية عن طريق رجال الدين في المدارس الدينيّة⁽²⁰⁾.

وهو في سياق بحوثه الكثيرة المخصّصة لمناقشة المواقف التمييزيّة بناء على الدّين أو العرق أو الجنس، وجد نصوصاً تدعو إلى ذلك؛ وبالمقابل وجد نصوصاً أخرى تنهى عنه. ولذلك يؤكّد مفكرنا بكلّ مسؤوليّة: أنّه «لا من وجهة الانتقاء والاختيار، فنحن لا نؤوب إلى نصوص حاسمة، وإنّما حمّالة أوجه، وهذه طبيعة النصوص التربويّة والأدبيّة بخلاف النصّ الحقوقي والقانوني الذي طبيعته الحسم والحزم»⁽²¹⁾.

وأمام العقبات التقليدية المعروفة والمواقف الفقهية المتزمتة والانتقادات التي تواجه أي اتجاه أو رأي أو تيار جديد - حتى ولو كان هذا الاتجاه ينبثق من صلب العقيدة ويتغذى من معينها الأصلي - فإنه لا بدّ من «الاعتراف بأنّ هذا الاتجاه المتطور في التعامل مع الشريعة في شقّها الإنساني لا يزيد عن كونه مذهباً في الإسلام، وهو ليس مخوّلاً بالحديث عن جمهور الفقهاء، كما أنّ جمهور الفقهاء ليس مخوّلاً بالتحدّث نيابة عنه»⁽²²⁾.

إنسانية هذا الاتجاه والمذهب وقوته، تتمثل برأينا المتفق تماماً مع أطروحات المفكر د. حبش، بأنّه يعدّ القيم الإنسانية أولى بالاعتبار من النصّ الديني، إذ هي تشكّل في العمق جوهر الدين ورسالته. وبالتالي فإنّ هذا الاتجاه والمذهب يسعى إلى قراءات تأويلية متجدّدة للنصوص والأحكام، تبعاً لتغيّر الأزمان والظروف والأحوال.

(20) المصدر نفسه، ص 42-41.

(21) المصدر نفسه.

(22) المصدر نفسه، ص 42.

وبغية إعطاء الإسلام قوة وطاقة ذاتية دافعة، فإن المطلوب الاحتكام إلى القيم الإنسانية، وتأويل نصوصه بما يواءم وينسجم مع هذه القيم «وليس أن يتم تغيير القيم لتناسب مع ظاهر النصوص».

ومن قراءة عدد من مؤلفات د. حبش وغيره من مناصري هذا الاتجاه، نجد أنه يشكل في الواقع دعوة حضارية هادئة بأسلوب حوارى راق، لبناء فهم مختلف للإنسان محرّر من مفهوم ((الخطيئة وثقافة السقوط))، قائم على حقّ الإنسان في الحرية والاختيار، وحقه كذلك في الخطأ والتجربة، واحترام إرادته، والاعتماد على ما أودع الله في ذات هذا الإنسان من قيم ومثل وفضائل، والتأكيد أنها قادرة على بناء الإنسان السويّ دون الحاجة لثقافة التهديد والوعيد، والترهيب بسوء المصير، وبناء مسيرته في الأرض على أساس الفضيلة والعقل والوعي والضمير والإرادة الحرة المسؤولة، وليس على أساس الخوف والذعر، والعقاب والعذاب.

وللأمانة يجب التأكيد بأنّ المذهب الإنساني في الإسلام، يستند بالدرجة الأولى إلى القرآن الكريم، الذي ركّز على ذكر الإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض، مشيراً في هذا السياق إلى مئات المواضع التي ورد فيها ذكر الإنسان والناس وابن آدم وآدم في منتهى الاحترام والرعاية والتكريم. وفي القرآن الكريم علاوة على ذلك سورة باسم «سورة الإنسان» وأخرى باسم «سورة الناس».

باعتقادنا وللحقيقة، فإنّ قوّة هذه الدعوة (للمذهب الإنساني في الإسلام)، تكمن في إعطاء الدور المحوري للإنسان، سواء في الغايات أو التشريع أو تفسير النصوص وتأويلها؛ وتأكيدها على أنّ الشريعة لا تكمل إلاّ بدور أساسي للإنسان.

والمقصود في القرآن هو الإنسان وليس العبادات والشعائر بحد ذاتها، لأنّ الإنسان هو جوهر الحياة وغايتها ومركزها، وهذا ما تؤكده نصوص قرآنية ونبوية عديدة، تقرّر بحسم ووضوح وقوّة على حرمة دم الإنسان وحرمة روحه. والمذهب الإنساني في الإسلام يقوم عليها وينطلق منها للوصول إلى أفهام الناس ووعيهم ومساراتهم في الحياة.

وبرأينا المتواضع، فإنّ الجوانب المهمّة في هذا المذهب المنفتح المتسامح كثيرة وعظيمة، مثل التأكيد على أنّ حفظ النفس مقدّم على حفظ الدين، وأنّ الدين في خدمة الإنسان وليس الإنسان في خدمة الدين. وغير ذلك من نقاط استنادية جديرة بالقراءة والتأمل والإعجاب.

في الخلاصة نقول: إنّ المذهب الإنساني في الإسلام، الذي ينشط في سبيله المفكر الإسلامي المُجَدِّد الأستاذ الدكتور محمد حبش وكوكبة متميزة من الباحثين والعلماء المجتهدين

الإسلاميين في منطقتنا ومناطق عالمية أخرى، إنما يشكل لغة جديدة متطورة، مفهومة، محترمة وبناءة.

فالمذهب الإنساني في الإسلام، يمثل إنجازاً في الخطاب الإسلامي، الذي يطمح للوصول إلى العالم بأجمعه، ومن شأنه إرساء قواسم جديدة للتفاهم ليس مع الأديان والعقائد الأخرى وحسب، بل مع ثقافات الشعوب وقيمها الإنسانية في سبيل الإخاء والمحبة والسلام.

ولهذا فإنّ بوسعنا القول إنّ المذهب الإنساني في الإسلام، يمثل قوة تجديدية لروح الإسلام وقيمة السماء، وتطويراً لمنظومته المفاهيمية لتتواءم معها روح العصر بلغة مفهومة مقبولة على المستوى العالمي، وتوسيعاً لحوار الحضارات المطلوب اليوم رداً على مقولات ((الصدّام الحضاري)) التي تعبّر عن تعصب مقيت وضيق الرؤية وقصور فطّيع في مخاطر الاستقطابات بجميع أشكالها ومسمّياتها وتجلياتها.

إنّ نجاح المذهب الإنساني في الإسلام بالوصول إلى أكبر عدد من المسلمين ومعتنقي الأديان والعقائد والأفكار الأخرى، وتجذّر أطروحاته وانتشارها، إنّما يعني إتقان الإسلام اللّغة الحضارية الراقية السلسلة، وقدرته على توصل قيم الإسلام المّمحمدي ومثله السامية للعالم، وذلك بالحكمة ولغة العقل والعصر والحوارات الحضارية؛ استناداً إلى سموّ منزلة الإنسان ومركزيته في القرآن والسنة، والفهم المنفتح للنصوص والأحكام والواقع.



رياض درار

رياض درار مفكر إسلامي معروف، بدأ حياته العملية في محافظة دير الزور شرق سوريا كخطيب ومرشد إسلامي، وسرعان ما خرج على قواعد النازمة لعمل أرباب الشعائر الدينية في سوريا والتي تقضي بتأييد السلطة والتماس رضاها، ووقف إلى جانب المظلومين، الأمر الذي أدى إلى اعتقاله في سجن صيدنايا خمس سنين.

بعد خروجه من السجن كرر الشيخ رياض موقفه الرسمي الراض لأي دور للعنف في الحياة الدينية والسياسية، واختار مدرسة [ودت سعيد تعبيراً عن فكر السلم والحوار واللاعنف].

خاض الحياة السياسية إلى جانب النشاط الفكري، وتولى رئاسة مجلس سوريا الديمقراطية في الشمال السوري كما أسهم في كتلة الإسلام الديمقراطي التي تأسست برعاية الشيخ جودت سعيد في استانبول، كما كان له دور رائد في تأسيس كلية الإسلام الديمقراطي في جامعة روجافا. يقدم الشيخ رياض درار نفسه كإسلامي علماني، مؤكداً أن العلمانية هي جوهر الحرية الدينية في الإسلام، وأن البيئة الصحيحة للقيام الإسلامي لا تتم إلا في بيئة علمانية، وليس في بيئة كهنوتية.

نشر الشيخ رياض عدداً من البحوث العلمية والنقدية من أهمها:

العلمانية والتجديد نشر في مدلة الآداب 2012

سوريا - الإسلام والعلمنة، نشر أيضاً في دار الآداب

المذهب الانساني
في الإسلام
رؤية لعصر جديد

الدكتور محمد حبش فقيه وإمام سوري، له حضور مستمر و متميز، فهو صاحب رؤية لم تتوقف منذ سمعت عنه، يوم حدثني صديق عنه لأتعرّف عليه وشبهه بالشيخ محمد عبده، بعدها ومن يومها أتابع خطابه الواسع في تجديد الخطاب الإسلامي، وفي قضايا الحوار بين الأديان وحقوق الإنسان.

وكتابه «المذهب الإنساني في الإسلام» من آخر إصداراته جعل الإنسان بكرامته، وحرية، واعتباره، محوراً للتشريع والقيم، في مركز التأمل الفقهي والشرعي. وسبق ذلك مشروع «الإخاء الديني» أو «إخاء الأديان» الذي يرى أن الأديان يجب أن تُعنى بالعيش المشترك، بالاحترام المتبادل، والتعايش فوق التنافس أو الصدام. وهذا مشروع متقدم ومبشر لعرض الإسلام بثوب جديد وبشكل عالمي يجدد التواصل والتفاهم والتقدم نحو السلام.

في كتابه المذهب الإنساني في الإسلام، يعرض الدكتور حبش رؤيته بأن: «الإنسان» ليس مجرد موضوع في الإسلام، بل هو غاية التشريع، والمعيّار لصحة التدين والصواب الشرعي. أن التاريخ الإسلامي، والنصوص الشرعية، في كثير من الأحيان لم يعكس هذا التقدير للإنسان كما ينبغي (من حيث حقوق المرأة، أو العقوبات، أو حرية الاعتقاد).

وإن تجديد الفقه الإسلامي يعني إعادة قراءة النصوص، ضمن مقاصد كرامة الإنسان، والمساواة، والرحمة وليس الانكفاء خلف نصوص سابقة دون سياقها.

ويشدّد على أن القيم الإنسانية التي اتفقت عليها البشرية (العدالة، المساواة، الكرامة) يمكن أن تكون مصدراً أساسياً للتشريع، وليس فقط النقل أو النص التقليدي.

كما أن خطاب «إخاء الأديان» ليس مجرد حوار فكري، بل سلوك اجتماعي وسياسي، يريد أن يُحدث تغييراً في المنابر، والقوانين، والممارسات اليومية بحيث لا تكون الأديان أداة للعداوة أو التحقير.

وأن من شروط الإخاء الديني أن تكون هناك إرادة سياسية واجتماعية تؤمن بالتعدد، وتمنح فرصاً متساوية للأفراد من كل الديانات، وأن تسن قوانين تحمي المخالف، وتحترم الاختلاف.

لماذا هذا المشروع مهم؟

في عصر العولمة والتعدد الديني، تتصاعد التوترات بين الأديان والمذاهب والبلدان؛ فمشروع الإخاء الديني يقدم إطاراً للتعايش وليس للصراع. أما من جهة الفقه والتشريع، فإن اعتبار الإنسان محوراً يجعل الخطاب الديني مواكباً لحقوق الإنسان والتحديات الحديثة. المشروع يشكّل جسراً بين الفكر الإسلامي التقليدي وقراءات العصر (العلوم الإنسانية، القوانين الدولية، قضايا النوع والمواطنة، وغيرها).

وهذا المشروع قد يُعتبر طموحاً، ويتطلب تغييرات كبيرة في البنى الفقهية والتشريعية والممارسات الاجتماعية؛ التحدي ليس فقط نظرياً، بل هو تحد عملي. ويتطلب ترجمة هذا المشروع إلى سياسات تعليمية، قانونية، اجتماعية، أي مناهج وقوانين ومدارس.

وهكذا يبدأ الدكتور محمد بتأكيد أن «الإنسان» ليس مجرد موضوع في الدين، بل غاية التشريع، وغاية السياسة، وغاية الأخلاق.

ويرى أن هناك فجوة قائمة بين ما تدّعيه النصوص الدينية التي تشيد بكرامة الإنسان، وبين ما يفعل الواقع الفقهي / التشريعي / الممارسة الاجتماعية من حيث دور المرأة، التمييز الديني أو العرقي، العقوبات البدنية، وغيرها. فكان الهدف أن يُقدّم الدكتور حبش «مذهباً إنسانياً» داخل الإسلام، بمعنى: قراءة / فقهية تُرجّح مركزية الإنسان، وتعيد صياغة الفقه بحيث يتوافق مع كرامة الإنسان، لا أن يُقمع الإنسان باسم الفقه.

ومن خلال الفصول بين في الفصل الأول: «الإنسان في النصّ الإسلامي كمحور وغاية» يُخلق بيد الله، يُكرّم، ويُكلّف، ويُعتبر خليفة في الأرض. لكن التراث الإسلامي - أو بعض التيارات فيه - وإن أجمعت على تكريم الإنسان في النصّ، لم تترجم ذلك في الأحكام والمعاملات بنفس الشفافية. مثلاً رؤية الإنسان «ضعيفاً / جهولاً» أو «مذنباً» أو تحت وصاية المجتمع والدين.

وفي الفصل الثاني: «ظهور المذهب الإنساني في التاريخ الإسلامي» يناقش «الأنسنة» في الإسلام: أي إحياء النصّ ضمن مقاصد إنسانية، وليس تحجير الإنسان تحت النصّ بلا اجتهاد ولا سياق.

وفي الفصل الثالث: «مظاهر الانحراف عن المذهب الإنساني: التمييز، العقاب، التهميش» يعالج حالات الفقه / التشريع التي يُنظر إليها باعتبارها مخالفة لكرامة الإنسان، عقوبات جسدية قائمة على نمط قديم، تمييز ضد المرأة، تمييز بسبب الدين أو العرق، عدم المساواة في الحقوق.

وأن هذه الممارسات ليست «فقط أخطاء تاريخية» بل أنها عمليات نشوء داخل بعض الحقول الفقهية التي لم تستجب لتغير الزمن والمجتمع.

أما الفصل الرابع: «الفقه الإنساني: مقوماته وتحدياته وتجديده» يقترح وضع الإنسان في مركز التشريع، وترجيح القيم الإنسانية المتفق عليها (العدالة، المساواة، الرحمة) كمصدر تشريع أو مقياس له

وفي الفصل الخامس: «تطبيقات المذهب الإنساني في بناء الدولة والمجتمع» بالاستناد إلى تشريعات وممارسات تُمكن الإنسان وتحقق مساواة بين الجنسين، حرية الاعتقاد، حقوق الأقليات الدينية، إصلاح نظام العقوبات، العدالة الدولية، التعايش الديني. وهذا يعرض رؤية مؤسسية: كيف يكون الإسلام «قيمة مضافة» داخل الدولة والمجتمع، وليس وسيلة للتمييز أو لإعادة إنتاج عصور ما قبل الحداثة.

في النتيجة يقرر «الإنسان محور وغاية، وتحقيق سعادته معيار لصحة التدين وصحة التوجه السياسي.» ويؤكد «إن رسالتي هي الثقة بالإنسان، والثقة بالشرائع... وحاشا لله أن يهينا عقولاً مميز بها الحقائق ثم ينزل شرائع تخالف هذه العقول.»

أن القيم الإنسانية التي اتفقت عليها البشرية - مثل العدالة والمساواة والكرامة - يمكن أن تكون مصدراً للتشريع وليس فقط النقل أو النص التقليدي.

إلا أن التطبيق العملي يتطلب تغييرات كبيرة في المفاهيم الفقهية والاجتماعية، وهو ما يعترف به الدكتور محمد حبش، فكيف يتم تحقيق هذا المذهب في الواقع التشريعي (قوانين، مؤسسات، تعليم) وليس فقط في الخطاب الفكري؟ لقد أحسنت الدكتور وهو يُشير إلى هذه الفجوة.

لقد أيد الدكتور حبش موقفه بآيات وأحاديث ومواقف الرجال، في حوار معه، يقول إنه صَنَّف من تبنوا فكرة الإخاء في الإسلام إلى أربع مجموعات: (1) الصوفية، (2) فلاسفة الإسلام، (3) فقهاء «إنسانيون» جعلوا احترام الإنسان غاية، (4) فقهاء التشريع المعاصرين الذين صاغوا نصوصاً تشريعية في الدول الإسلامية الحديثة. لكنه من حيث منهج الفقهاء يرى أن هناك تراثاً فقهياً وإنسانياً يدعم رؤيته، لكنه أيضاً ينتقد بعض التيارات التقليدية التي بقيت «تجمد النص» دون مراعاة الإنسان في مركزية التشريع.

في الواقع مشروع الدكتور محمد ليس مبنياً على فلسفة نسقية مغلقة (كما هو الحال عند المفكرين الفلاسفة مثل محمد عابد الجابري أو طه عبد الرحمن)، بل يقوم على اجتهاد أخلاقي

مقاصدي يستند إلى روح الشريعة ومقاصدها العامة، أكثر مما يستند إلى بناء فلسفي أو منهج معرفي صارم.

هو منهج أخلاقي - مقاصدي، ينطلق من القيم العليا التي يعتبرها جوهر الدين: الكرامة، الحرية، العدالة، الرحمة. وبالتالي فهو لا يؤسس مذهباً فلسفياً جديداً بقدر ما يقدم قراءة إنسانية للنصوص في ضوء تلك القيم. يستنبط من المقاصد العليا روح الإسلام ويدعو إلى جعلها معياراً لتأويل النصوص، وليس العكس. ويركّز على ما يسميه «التخريج الأخلاقي للأحكام»، أي إعادة النظر في الحكم الشرعي بما ينسجم مع العدالة والكرامة الإنسانية، ولو خالف الفهم التراثي له. إنها «الوجدانية الأخلاقية» التي تتغذى من النصوص القرآنية والسنة وروح العصر. لذلك تراه يكثر من استخدام مصطلحات مثل «الضمير الإنساني»، «القيم المشتركة»، «الكرامة»، و«التكليف الإلهي للإنسان»، وهي مفاهيم قريبة من اللاهوت الأخلاقي أكثر منها من الفلسفة النظرية.

لذلك يمكن القول إنه إصلاحي أخلاقي أكثر منه فيلسوف ديني. يستلهم من مقاصد الشريعة (الشاطبي، ابن عاشور)، ومن النزعة الإنسانية في التصوف (الرومي، ابن عربي)، ومن العقلانية الإسلامية (ابن رشد). لكنه لا يتبنى منظومتهم الفكرية كاملة، بل يستخدمهم ك«شواهد» أو «دعامات تأييد». في كثير من نصوصه، يقدم الإنسان بوصفه «خليفة الله في الأرض»، وهو تصور أخلاقي توجيهي أكثر منه تصوراً ميتافيزيقياً.

هو مشروع مفتوح على الجميع، مسلمين وغير مسلمين، لأنه لا ينطلق من عقيدة مذهبية أو فلسفة لاهوتية خاصة، بل من مشترك إنساني. لذلك فإن «المذهب الإنساني» عنده ليس مذهباً فكرياً بالمعنى الفلسفي، بل تيار إصلاحي أخلاقي يهدف إلى إعادة توجيه الفقه والتشريع والسياسة الدينية نحو الإنسان كغاية.

الحديث عن الإسلام الديمقراطي وكتاب «النبي الديمقراطي» يُكمل تمامًا الصورة الفكرية للدكتور محمد حبش ويكشف البعد السياسي - القيمي في مشروعه الإنساني.

أما فكرته عن «الإسلام الديمقراطي» وكتاب النبي الديمقراطي، فهو يعني عند الدكتور محمد جيش أن الإسلام ليس ديناً طقوسياً أو سلطوياً، بل هو مشروع تحرير للإنسان



ريمون جرجي

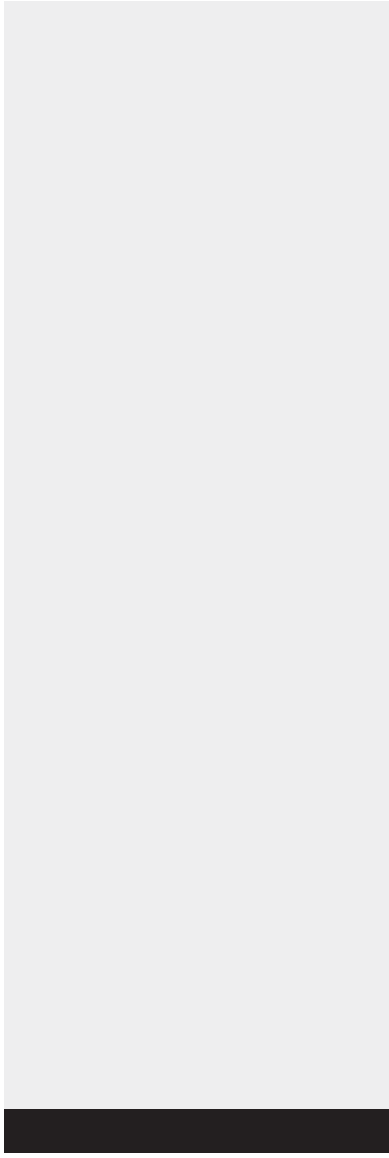
ريمون جرجي باحث في الحضارة العربية والحوار الإسلامي المسيحي
كاتب سوري من حلب، تخصصت مقالاته المنشورة في قضايا وطنية واجتماعية وثقافية
تركز على سوريا والإنسانية.

تميزت كتابات ريمون جرجي بالبحث عن المشترك، والبحث عن الروح الإنسانية في تراث
الأديان، وهو يتبنى المعنى الإنساني في كل القيم الدينية التي بشرت بها الأنبياء.
يؤمن ريمون بالحاجة إلى خطاب علماديني يجمع بين مبادئ الدين وقيم العلمانية، التي يرى
فيها حامياً للأديان وليس نقيضاً لها.

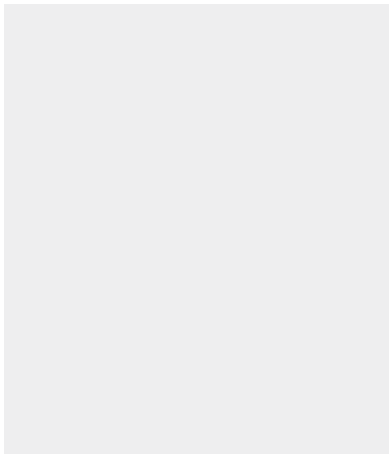
ويناقش ريمون ما يتناقله خصوم حبش من الذين رأوا في فكره تفريطاً بالنصوص، ويتحدث
كقارئ من خارج الدائرة بأن مشروع حبش يستند بقوة إلى الأصول المؤسسة للشريعة الإسلامية،
ويراه رجلاً إصلاحياً شجاعاً نقل مركز الثقل في الفقه من النص إلى المقصد، ومن «الحدود» إلى
«الكرامة»، ومن «الهوية» إلى «الإنسانية».

يحمل شهادة بكالوريوس في الاقتصاد، كان له نشاط بارز ضمن الأوساط الكنسية
والاجتماعية في حلب، عضو في لجنة متابعة قضية اختطاف المطران مار غريغوريوس يوحنا
إبراهيم.

مقيم في فيينا/ النمسا منذ ٢٠١٥



رسالة الإخاء الإنساني
لدى الدكتور محمد حبش



يُعد الشيخ الدكتور محمد حبش واحداً من أبرز الأصوات في التجديد الإسلامي، ليس فقط في الفقه والبحوث، بل أيضاً في تطبيق المبادئ الدينية على حياة الناس. لطالما رأى حبش أن الإخاء الإنساني هو الأساس الذي يجب أن تُبنى عليه العلاقات بين البشر، ليس بين المسلمين فقط، بل بين كل البشر، بغض النظر عن الدين أو الثقافة. ومن هذا المنطلق، يرى أن «إخاء الأديان» هو امتداد طبيعي لهذا الفكر الإنساني الشامل، وليس حالة منفصلة أو متعارضة معه، وهو القائل في حوار معه: «نحن بحاجة إلى إخاء إنساني على قاعدة «لكم دينكم ولي دين».

في فكره وممارساته، منح الدكتور حبش المرأة مكانة محورية في نشر قيم الإخاء، مؤكداً أن نهضة المجتمعات لا تكتمل إلا بمشاركتها الفاعلة في التعليم والدعوة والعمل العام. ولعله من القلائل بين رجال الدين السوريين الذين حرصوا على الظهور في المؤتمرات والندوات إلى جانب زوجته السيدة أسماء كفتارو، لتجسد مشاركتها المشتركة رسالة فكرية وإنسانية في الميدان نفسه، تنقل القيم من القول إلى الفعل.

لقاء حلب: التجربة الإنسانية الأولى

كان أول لقاء لي مع الدكتور محمد حبش في مدينة حلب عام ٢٠٠٩، خلال ندوة مسيحية إسلامية بعنوان «سورية عاصمة روحية للأديان»، شارك فيها إلى جانب المطران المغيب قسرياً بولس يازجي، ضمن فعاليات مهرجان النور السنوي في كاتدرائية النبي إلياس. في تلك الأمسية، اختتم حبش حديثه بتلاوة آيات من سورة مريم تصف ميلاد السيد المسيح، بصوته المرهف الذي غمر القاعة بالسكينة، فصفق له الحضور طويلاً حين ختم بتلاوته: «صدق الله العظيم».

منذ تلك اللحظة، بدا واضحاً أن فضيلته لا يخاطب الجمهور بالكلمات الجاهزة، بل بالعقل والفكر، مستنداً إلى قناعات صادقة، وأنه يحمل رسالة تتميز عن زملائه، وحين سألته أمام الحضور: «ألسنا أتباع دين واحد وشرائع متعددة؟» وفق ما كان قد صرح به المفتي العام للجمهورية آنذاك الدكتور أحمد بدر الدين حسون، أجاب بهدوء وحسم: لست مع فكرة الدين الواحد، فذلك جدل لا هو تي طويل، وقد نكون كاذبين إن قلنا إننا متطابقون في كل قضايا الاعتقاد.

منذ تلك الإجابة أدركتُ أنني أمام فقيه لا يطلب التصفيق، بل يسعى إلى الحقيقة، يناقش العقول لا العواطف، ويؤمن بأن الإخاء لا يفرض بالخطابة، بل يُبنى بالوعي والفهم. بعد أسابيع من تلك الندوة، أجريتُ معه حواراً نُشر تحت عنوان «حوار علماديني بين علماني ورجل دين». كان حواراً فريداً في الإعلام السوري آنذاك، لأنه لم يكن جدالاً بين متقابلين، بل نقاشاً بين مؤمنين يختلفان في الطريق ويتفقان في الغاية. ومن خلاله بدأت تتبلور معالم ما أصبح لاحقاً يُعرف بفكر «الإخاء الإنساني» عند الدكتور محمد حبش، وهو نهج استمرّ في تطويره إلى يومنا هذا.

الإمارات منصة لتجديد الفكر: من دمشق إلى أبو ظبي والشارقة

من دمشق إلى أبو ظبي والشارقة، شهدت مسيرة الدكتور محمد حبش تحولاً واضحاً في موضوعات دراساته وكتاباته وأفقه الفكري. في مرحلته السورية، كانت مؤلفاته مركزة على التجديد الفقهي ونقد الفكر التقليدي، مع تحليل دقيق للنصوص ومناقشة موضوعات مثل الحدود الشرعية والجهاد والاجتهاد، موجهة في المقام الأول للعلماء وطلبة العلم ضمن إطار أكاديمي، إضافة لمشاركتة الندوة البرلمانية وتمثيله للعلماء المسلمين والرأي العلمي الشرعي فيه حيث مارس دوراً مؤثراً.

مع انتقاله للإمارات، توسّعت رؤيته لتشمل بعداً إنسانياً وعالمياً، حيث درّس في جامعة أبو ظبي وثم أسس مركز دراسات الإخاء الإنساني في الشارقة، ليكون منصة تجمع البحث والتطبيق، وتنشر قيم الحوار والتعايش وتمكين المرأة وصون الكرامة الإنسانية. وتحوّل نشاطه الفكري إلى مشروع عملي حيّ، تُرجم عبر مؤتمرات دولية وورش عمل ومبادرات مجتمعية شارك فيها مثقفون وطلاب وناشطون من ثقافات متعددة، أسهمت في مد جسور التعاون والتقارب بين الأديان لخدمة الإنسان.

صدرت عن المركز كتب بارزة تعكس هذا التحول، وتحوّل نشاطه الفكري إلى دمج البحث العلمي مع التطبيق الميداني. الإمارات لم تكن مجرد مكان إقامة، بل حاضنة لإنتاجه الفكري، حيث وفرت له بيئة مثالية لإطلاق مؤتمرات وورش عمل دولية، والتفاعل مع المجتمع المدني والشباب والنساء، ونشر كتبه مثل إخاء الأديان ونحو إسلام حضاري وإخاء إنساني. ساهم المركز في مبادرات عالمية، أبرزها وثيقة الأخوة الإنسانية ٢٠١٩، وأصبح مرجعاً للباحثين والمبادرات الأكاديمية حول التسامح والحوار بين الأديان.

رؤية فكرية تتجاوز المألوف

تميّزت مواقف الدكتور محمد حبش بجرأة غير مألوفة في تحرير الفقه من الجمود، والدعوة إلى إسلام بلا حروب، وإلى قراءة النص القرآني بعيون إنسانية رحبة. آمن بأن مقاصد الدين أسمى من ظواهر النصوص، وأن الكرامة الإنسانية أصل من أصول الشريعة.

واجه حبش انتقادات من خصومه الذين رأوا في فكره تفريطاً بالنصوص، فيما اعتبره أنصاره إصلاحياً شجاعاً نقل مركز الثقل في الفقه من النص إلى المقصد، ومن «الحدود» إلى «الكرامة»، ومن «الهوية» إلى «الإنسانية».

تجربة الدكتور محمد حبش تمثل نموذجاً نادراً يجمع بين الفكر والعمل، وبين الاجتهاد النظري والممارسة الواقعية. ومن خلال نشاطه في الإمارات ومساهماته الدولية، يقدم حبش رؤية تجعل من الإخاء الإنساني طريق حياة لا شعاراً، وتذكّر بأن الفكر الديني لا يزدهر إلا حين يكون إنسانياً، متفتحاً، ومسكوناً بالرحمة التي خُلق لأجلها الإنسان.



سامر سعد

سامر سعد كاتب فلسطيني يحمل إجازة في الشريعة من مجمع كفتارو الإسلامي، وقد مارس التعليم الديني في معاهد دمشق ومساجدها قبل أن يتحول إلى مصر حيث عمل في الحقل الصناعي، وبات ويدير مؤسسة صناعية مهمة في مصر وسوريا.

شارك سامر في التوجيه الديني حيث عمل في المؤسسة الدينية لمجمع كفتارو الإسلامي في سوريا، وارتكز على المبادرات الانفتاحية التي أطلقها الشيخ كفتارو في رحلته الفكرية في سياق إحياء الأديان والتقارب بين الفكر الإسلامي والحركات اليسارية التي تعزز قيم الاشتراكية والمساواة الإنسانية.

صحب سامر الدكتور حبش في رحلته الفكرية، وشارك في نقدها وتوجيهها، انطلاقاً من الثقافة الشرعية التي نشأ عليها، وهو شديد الإيمان بالمذهب الإنساني في الإسلام، ويدعو إلى جعل القيم الإنسانية بمثابة ميزان معياري لكل ما يقدم في الفكر الإسلامي.

يكتب سامر سعد باستمرار في تعزيز المذهب الإنساني في الإسلام ويمارس نقداً جاداً على مناهج التعليم الشرعي التي غيبت القيم الإنسانية وبررت ممارسات جاهلية شديدة الوطأة على الإنسان تحت اسم الفتوح، وهو يكالب بإعادة قراءة التاريخ الإسلامي قراءة ناقدة بصيرة بحيث لا نقدم لأجيالنا الآتية صوراً من تشويه الإنسان بناء على نصوص موروثة، وهو يدعو إلى جعل قيم الإسلام في الرحمة والتسامح والمساواة حاکمة على كل قيمة أخرى.

في سبيل التتوير.. دوماً

في عالم تمزّقه الانقسامات الدينية والسياسية، يبرز الدكتور محمد حبش بوصفه واحداً من أبرز الدعاة إلى مذهب إنساني يؤمن بأن الإنسان هو القيمة العليا في الكون، وأن جوهر الأديان جميعها يتمحور حول الرحمة والعدل والكرامة.

«المذهب الإنساني» الذي يتبناه الحبش ليس اتجاهاً فلسفياً مجرداً، بل هو دعوة لإعادة قراءة التراث الديني بعيونٍ معاصرة تُقدّم الإنسان على الانتماء، والمقاصد على الشكليات، والمحبة على الإقصاء. ومن خلال كتاباته وخطابه الفكري، يسعى الحبش إلى بناء جسرٍ بين الإيمان والعقل، وبين الدين والحرية، ليؤكد أن رسالة الإسلام الحقيقية ليست في الصراع مع الآخر، بل في تعظيم إنسانيته.

في عام ٢٠٠٥ كتب الدكتور محمد حبش مقالته بعنوان: في سبيل التنوير. ولأنّ التنوير هدف رئيسٌ من أهداف هذا المفكر الإصلاحيّ ولأنّ التنوير هو الركيزة الأساسية لمذهب الحبش الانساني.

يُعَدُّ فضيلة الشيخ الدكتور محمد حبش واحداً من أبرز الإصلاحيين المستهدفين من قبل تيارات التطرّف والتشدد والجمود، وتبيّن متابعة أبحاثه ومقالاته أنّ اتخاذه هذا الموقف المكلف لم يكن وليد الصدفة، بل هو نتيجة حتمية لاتخاذه مبكراً مواقف التنوير والوسطية والنزعة الإنسانية.

الإسلام رسالة مصالحة ووثام مع العالم، ولكنها في الوقت عينه رسالة مواجهة مع التخلف والجهل أياً كانت منابته ومنابعه، وإذا جبت الرسالة عن مواجهة التخلف والجهل فلن يكون بإمكانها أن تقدم على الإطلاق رسالتها للناس. (الدكتور محمد حبش)

والحقيقة أيضاً هي أن تيارات التطرّف والجمود لا تستهدف الدكتور حبش ولا بقية التنويريين-الوسطيين استهدافاً شخصياً، بل إن تيار التشدد والجمود بطبيعته يحمل حاجة ملحة إلى توكيد استثنائيته (أمة فوق الأمم) وتوكيد صحة اتجاهاه توكيداً مطلقاً، كما يحمل رغبة عارمة في تخطيء الآخرين تقوم على لا-منطق يقول: يجب أن يكون الآخرون على خطأ، إذ لو كان

محتملاً صوابهم فهذا يعني احتمال أننا نحن على خطأ. هكذا يُولدُ التطرف وينمو... وهكذا يبدأ من طرف واحد عداءً: للتنوير، والوسطية، والنزعة الإنسانية.

إن المتطرفين المذعورين من كل إصلاح وإصلاحٍ مصيبون كل الصواب في إدراك خطر ثنائية التنوير -الوسطية عليهم وعلى تطرفهم، ولكنهم مخطئون كل الخطأ في إعلان السبب. فالوسطية الملازمة للتنوير ليست عجزاً عن الاختيار، بل هي موقف قوي، ذكي، باهظ الكلفة وضروري. الوسطية تطرف ضد التطرف. والتنوير ليس إبعاداً للناس عن الدين وإنما هو إبعاد الدين عن المستثمرين، وعن الوكلاء الحصريين.

ولو فكر تيار جمود وتطرف في التحالف مع أحد فلربما يفكر في التحالف مع تيار آخر متطرف ولكنه لن يفكر في التحالف مع التنويريين! ولماذا؟ لأن التطرف لا يهدد تطرفاً آخر بالإلغاء. بالعكس، كثيراً ما يوجد بين الاتجاهات المتطرفة علاقة اعتماد تبادلية، إذ تبرر مقاومة أحدها وجود الآخر.

لكن التنويريين الوسطيين فضاء آخر!

هم قومٌ يفهمون أنه لا يمكنك التخلص من منظومة سيئة بالمحو، أو بالمهادنة أو بإغماض عينيك. الوسيلة الوحيدة لإلغاء منظومة سيئة هي إنشاء منظومة قيم وتفكير وحياة تجعل المنظومة السيئة غير قابلة للوجود.

إنهم قوم يؤمنون بأن حرصهم على عقائدهم ورسالاتهم حية مزدهرة لا يكمن في إحاطتها بالأسوار بل في الانطلاق نحو الآخر وليس مجرد قبوله، والانطلاق إلى المراجعة والتصحيح والتغيير بدلاً من الاضطرار إليه.

وبصر الحيش دوماً على التأكيد بأن رسالة التنوير التي يتبناها ليست إلا رحيقاً من نبع الرسالة الأولى، وعلى الرغم من لغة الإقصاء والتخوين والتكفير التي يمارسها حراس التراث

● ولأمانة التاريخ فإنه يجب القول إن مشروع التنوير انطلق مع الرسالة الأولى التي جاء بها النبي الكريم عندما أطلق ندائه في وجه من قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون.

● كيف سيكون شكل الجزيرة العربية لو أن النبي الكريم أجاب قريشاً إلى ما طلبوه من أمر، واكتفى بمجد عاجل مع راحة في البال وتركهم يمارسون أوهامهم؟ إنها الرسالة. ومن عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوماً، ولا يمكن لرسالة جاءت

لتغيير وجه العالم أن ترضى بهمود الناس وهوانهم في مواجهة الحقيقة. (الدكتور محمد حبش)

ماذا يقدم تنوير ووسطية الدكتور محمد حبش للبشرية، وللإسلام والمسلمين؟

يبقى الحبُّ مجرد كلمة إلى أن يأتي أحد ويمنحها المعنى. (باولو كويلو)

١. تفكيك خطاب القطيعة والعداء:

يسعى الدكتور حبش من خلال عمله الأكاديمي والدعوي ومن خلال كل مؤلفاته وكلماته إلى تفكيك ثنائية «نحن وهم» التي تزرعها تيارات الجمود والتطرّف. فهو يؤكد بشعاره (أمة بين الأمم لا فوق الأمم) على قيم التعايش مع غير المسلمين، والتعاون في القضايا الإنسانية والمجتمعية المشتركة، ويحاول توضيح مفهوم موالاة المسلم للمسلم بما لا يتناقض مع المواطنة والانتماء للوطن.

٢. تمحيص الروايات الإشكالية، ودحض الباطل منها، وتفسيرها ضمن سياقها:

إنّ هذا العمل الشائك المضني واجب لا بد منه حتّى يسحب البساط من تحت أقدام من يستخدمون النصوص بشكل حرفي مجتزأ لتبرير العنف أو التكفير أو الجمود.

٣. ربط الإسلام بالقيم الإنسانية العالمية وبالحوار مع الجميع:

يسعى الدكتور حبش إلى تقديم الإسلام تقديمًا متكاملًا، لا يقتصر على منظومة شعائر، بل كمصدر لقيم العدالة والرحمة والأخلاق والعقلانية التي يتفق عليها البشر جميعاً. إنّ هذا يجعل الخطاب الديني أكثر قبولاً لدى الشباب المتردد بين الهوية الدينية والانفتاح على العالم.

.. كما أنني حريص أن أثير المقصود بفكرة الحوار، فليس التبشير الديني في

غايات هذه المبادرة ولا في معانيها، بل التواصل والتكامل ونشر المحبة، والفرح بتبادل المعرفة واعتبار الخلاف غنى وثراء وليس مشكلة وشقاقاً.

الدكتور محمد حبش في مقالاته (حوار مع الديانة الطاوية)

٤. ممارسة الوسطية كقيمة عدل والدعوة إلى الأخوة الإنسانية باعتبارها

رسالة سماوية وحكمة عملية:

هناك فرق بين أن تكون وسطياً لأنك تتبنى قيمة «العدل» التي تتطلب النظر في كل حالة بظروفها، وبين أن تكون وسطياً لأنك تريد أن تقف في المنتصف بين كل رأيين فقط. الوسطية

الثانية تجعل الخطاب مائعاً حقاً، وغير قادر على اتخاذ موقف واضح عندما تتطلب القضية ذلك (مثل قضايا الظلم والعدوان الصريح في فلسطين وأي مكان آخر في العالم). الوسطية الحقيقية قد تتطلب انجيازاً حازماً للقيم، وليست مجرد مسافة متساوية من جميع الأطراف.

إن ربط الولاء والبراء بمسألة الاعتقاد وحدها يبدو لي أمراً مناقضاً لصريح القرآن الكريم الذي يجعل مسألة الولاء والبراء مرتبطة بالسلوك والموقف السياسي أكثر مما يرتبط باللاهوت، وهو ما دلت عليه الآية الكريمة: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون).

العلم رحم بين أهلها، والمقاومة أيضاً رحم بين أهلها، والثورة رحم بين أهلها، ولا يمكن أن يكون المسلم إلا في صف الثائرين على الظلم الرافضين للاستبداد. (الدكتور محمد حبش)

٥. تقديم نموذج عملي للدعوة وتشجيع بناء مشروعات مجتمعية:

إن استطلاعاً شاملاً لمواقع الدكتور حبش الالكترونية على مدى سنوات لن يرجع إليك باستفزاز، ولا بتملق للجماهير، ولا بشرارة حرب واحدة، لا تجاه المخالفين من المسلمين ولا تجاه الأجانب من الديانات والثقافات الأخرى. يقدم الدكتور حبش النموذج الحقيقي لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى جنة الأرض المؤدية إلى جنة السماء، كما يقدم نموذجاً متسامحاً ومتفهماً، يركز على التدرج في الدعوة ومراعاة الظروف النفسية والاجتماعية للمخاطبين، بعيداً عن أسلوب التوبيخ والتخويف..

لقد كانت صيحات رواد التنوير في الواقع أكثر ما أقنع العالم بأن الإسلام رسالة حضارة وخير ونور، وأنه موقف ونام مع العالمين، يصدق ما بين يديه، ويتمم مكارم الأخلاق ويؤمن بالآخر ولا يلغيه، ولا يحتكر الخلاص ولا الجنة ولا الحقيقة، ولكن نجاحهم في تقديم صورة مشرقة للإسلام في العالم لم يمدون عناء ومواجهة مع تيارات الجمود والرفض في الداخل المسكونة بأوهام المطلق والرافضة لكل تنوير. (الدكتور محمد حبش)

وهكذا، فإن المذهب الإنساني الذي يدعو إليه الدكتور محمد حبش ليس خروجاً عن الدين، بل عودة إلى جوهره النقي الذي يجعل من الإنسان محور الرسالة الإلهية. إنه دعوة إلى الإيمان

المتجدد، لا الإيمان الموروث على غير وعي، وإلى قراءة التراث بروح الباحث عن الضوء لا الحارس على الرماد. وكما يقول الحبش: «علينا أن نأخذ من تراث الآباء الجزوة لا الرماد» — أي أن نستمد منه حرارة الإلهام والتجديد لا برودة الجمود والتكرار، وأن نجعل من الماضي منارةً تهدينا إلى المستقبل، لا قيداً يعيق خطانا نحوه. بهذه الرؤية، تتحول الرسالة الإنسانية إلى مشروع نهضةٍ روحية وفكرية، يؤمن بأن الدين للإنسان، وأن كرامة الإنسان هي أقدس العبادات



سامر شنواني

سامر شنواني باحث سوري نشأ في مجمع الشيخ كفتارو الإسلامي وحصل على الإجازة في الشريعة، وتولى تدريس المناهج الشرعية، ثم انتقل إلى الإمارات وعمل خطيباً وإماماً، ثم تحول إلى العمل الحر.

يتبنى الشنواني توجهاً إنسانياً واضحاً، ويطالب بمراجعات عميقة للتراث الإسلامي لتمييز ما هو إنساني مما غلبت عليه نوازع الغريزة والانتقام.

كتب سامر عدة دراسات حول الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال كما تولى نشر أعماله النثرية والشعرية، وقام بتحقيق ديوانين اثنين ونشرهما للشاعر إقبال نظمهما الشاعر زهير ظاظا، وهما جناح جبريل وأرمغان حجاز، ونظم عدة لقاءات فكرية في المنصات الوطنية في سوريا للتعريف بالعلامة إقبال ومشروعه التنويري.

صحب سامر شنواني الدكتور حبش منذ طفولته وقد أسهم في تعزيز التوجه الإنساني في فكر الدكتور حبش ومدرسته الإصلاحية، كما تولى نشر عدة أعمال للدكتور حبش والتعريف بفكره في المجتمع الأكاديمي والفكري في سوريا والخليج العربي.

(الضوء يزعج
من اعتاد الظلام)
جبران خليل جبران

لقد أزعج الدكتور الحبش الكثيرين وأثار الجدل ببديهات فكرية كان الأولى ان يرهاها رجال الدين قبل غيرهم .. فمن العار ان يجعلوا كتب الله أغلالاً تقيد حياة البشر .. أو أن يجعلوا رسالات الانبياء دعوات فتوية وسلطوية، حتى خُيل لمسلمين أن الله لم يهد أحداً سواهم وانهم فوق البشر ..

وعلى الرغم من طبيعته الوفاقية والتصالحية ورغبته المستمرة بالحوار والتصالح وتدوير الزوايا فقد وجد الدكتور حبش نفسه في مواجهة شرسة مع سدنة الهيكل الذين يعتبرون التراث معصوماً مقدساً ويعتبرون النقد فيه ردة وتآمراً وكيداً، وهكذا فقد تم النظر إلى مشروعه من قبل الهيئات الدينية التقليدية على أنه عمل هدام، خارج على الثوابت في حين انه كان يتحدث بمنطق نصوص الشريعة المؤسسة في القرآن والسنة.

لقد رفض بشجاعة الفكرة القائلة بأن الرسول جاء ليهدم عقائد الناس ويلغي طوائفهم، والأسوأ من ذلك ما تتناقله كتب الرواية من أن الرسول قادم ليزهق ما جاء بين يديه ومن خلفه، وأنه ناسخ لكل الديانات والحكمة والفلسفة، وأن علينا إحراق الكتب الأولى وإتلافها ومنه التهوك فيها، واختار الحبش موقفاً واضحاً في شرح علاقة الإسلام بالاديان الأولى فهو ليس ناسفاً ولا ناسخاً ولا مدمراً ولا محطماً، بل هو مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وهي الكلمة التي تكررت في القرآن الكريم أربع عشرة مرة بصيغة واحدة: مصداقاً لما بين يديه.

وفي السياق نفسه خاض مواجهات أكثر حدة مع الروايات التي كرسّت موقفاً تمييزياً لثيماً حيث يقوم الله بنقل حسنات الكافرين إلى صحائف المؤمنين، وسيئات المؤمنين إلى صحائف الكافرين! ويقول هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي، وهي روايات قتلت كل ما يجب أن يكون في الدين من روح وأمل، وبدلاً من روح المساواة والعدالة والرحمة التي بشر بها القرآن تم تصوير النبي الكريم على أنه يختص أمته بين الأمم فيشفع لمجرميها والمذنبين من أشياعها! وتكون الشفاعة شاملة لكل الجرائم باستثناء الشرك، ويتكون الأمم الأخرى زاهقة الأعمال ملعونة المصير مهما عملت من عمل صالح وأخلاق نبيلة، في مشهد يجعل العدل والإنصاف آخر مقاصد الآخرة، ويحول يوم الحساب إلى يوم تصفية الحساب بين المختلفين

في العقائد وليس يوم الإنصاف والرحمة والعدالة، وكأنه يكرر ما قالته الأمم الأولى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانهم، وهكذا يريدنا الفقه التقليدي أن تتبع سنن الأمم البائدة شبراً بشبر وذراعاً بذراع...!!

وقد تعرض المذهب الإنساني خلال التاريخ الإسلامي إلى تغييب وإقصاء شديدين، وفي غمار ذلك تسللت روايات لا إنسانية إلى كتب التراث الشهيرة، تعكس غياباً تاماً في الوعي الإنساني، وحتى لا أتوسع في الأمر أكتفي برواية ما جاء في صحيح مسلم:

(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ) (لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَذْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا)

وفي سياق هذا الإقصاء مارس الفقهاء تمييزاً لا إنسانياً مدهشاً، ومن ذلك قال صاحب المجموع شرح المذهب ج ١٧ ص ٤١٤ (ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم. ودية الوثني ثلثا عشر دية المسلم لما روى سعيد بن المسيب أن عمر - رضي الله عنه - جعل دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم ودية المجوسي ثمانمائة درهم. وأما الوثني إذا دخل بأمان وعقدت له هدنة، فديته ثلثا عشر دية المسلم) ..

وكذلك فإنهم جعلوا دية المرأة نصف دية الرجل رغم أنها ترث نصف ما فرض للرجال!! لقد تحولت دعوة الرسول من رسالة سماوية تصنع السلام وتدعو للتي هي أحسن وأقوم، وأكثر رحمة وعدلاً بين الناس.. إلى أداة سلطوية تصارع أقرانها، وتكيد خصومها وتبطش بمعارضها وتقتل الخارجين عليها!. وهذا ما أوقعنا في صدام مع الحضارات وظلمات لم نخرج منها حتى هذا اليوم..!

لقد وقف الدكتور حبش بشجاعة في وجه هذه الروايات التمييزية الظالمة، وأعلن أن الإخاء بين البشر ليس مجرد اجتهد فردي بل هو عقد اجتماعي يفترض أن يؤكد الدين، وتأمر به الشريعة وليس العكس، فمن بديهي القول أن يكون رسول الله رحمة للناس أولاً وقبل أي تكليف وتشريع، وما جدوى الأديان ان لم تكن سبباً في إخاء البشر وتحريم العبودية والعدوان على الناس والحقوق والمستضعفين..

مع الشيخ جودت سعيد

لقد صحبت الدكتور الحبش في مجالس الشيخ جودت سعيد، ورأيت تأثيره البالغ برسالة الرحمة واللاعنف التي يحملها جودت سعيد، وراقبت التحولات الفكرية التي طبعت حياة الدكتور حبش وفكره بعد اتصاله بجودت سعيد، وهو ما بات يطبع دراساته وكتبه وفكره باستمرار.

كتب جودت سعيد: إن سنن الكون حطمت أساطير ظن كثيرون انها مقاصد الهية وحكم نبوية، وخيل إليهم من سحرها أنها تسعى...!! فانقرضت أحكام الرق والسبي وقطع اليد والجلد والرجم ومن المؤسف أن رجال الشريعة عبر التاريخ كانوا حمايتها ورعاتها يجمعون لها الأدلة والنصوص وكأن قيامها انتصار لعدالة الله وشريعته وحكمته...!!

ليتهم تحدثوا عن الرحمة والسلام قدر ما تحدثوا عن أحكام الحيض، والنفاس والقتل والقتال...!! ليتهم بحثوا سبل إسعاد البشر قدر مسائل عذاب القبر ولباس المرأة والختان...!!! ولم ينج الشيخ جودت نفسه من غضب المتشددین من الوعاظ ورجال الدين، الذين يتنافسون بتكفير كل صاحب فكر وتسفيه كل ذي رأي ويحسبون كل صيحة للعقل والتنوير عليهم...!!

وقد قضى العلامة جودت سعيد نجه وهو يصرخ في وجوههم ليعودوا لمذهب ابن آدم الأول: لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين. وحين دعي جودت سعيد لاستلام جائزة الحسن بن علي الدولية للسلم اعتذر عن قبولها وقال (إن المفكرين والعلماء هم منشأ الأزمة سواء فيما كتبوه من كتب وخطبوه من خطب ونشروه من أفكار أو فيما سكتوا عنه... إن من الأجدر بالعلماء أن يحضروا كمتهمين، أن يحضروا للتوبة وللمراجعة الجذرية ونقد الذات وإعادة النظر...!!، وهم من قسم العالم إلى «دار الإسلام» و«دار الحرب»!! وهم من شغلوا الناس بتوافه الأمور واخرجوا الرسالة من مضمونها والنبوة من روحها والقرآن من نوره!! وهم من أدلجوا الإسلام ليصبح مشكاة للعنف والكرهية بعد ان كان نوراً وهدى للعالمين!!

بل إن الشيخ حبش دعا بوضوح إلى تصحيح البوصلة في اعتماد المقدس والمدنس، وكتب طويلاً في الدعوة إلى وقف الغلو في تقديس الماضي، وقال بوضوح إن النصارى وقعوا في الغلو في نبهم فعبدوه مع الله، وقد وقع المسلمون في الغلو في قرآنهم وتراثهم وسلفهم، فمنعوا كل نقد أو اجتهاد أو تأمل لم يمارسه السلف من قبل.

وفي عبارة مهمة للشيخ الحبش قال: (لماذا نناضل في إثبات أن الماضي هو المقدس، إن منطق الحياة أن يكون المستقبل هو المقدس، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون، وقال: المقدس المعصوم في الإسلام هو الله وحده وإن البشر جميعاً في اقوالهم وافعالهم محل للصواب والخطأ)

بهذه العبارة أسس الدكتور الحبش قراءته للتراث الإسلامي وخالف الأكثرية من دعاة التنوير في أدواته فبدل أن يحمل سيفاً أو رصاصاً فإنه اختار مجهراً ينشد اللائلي والدرر بعبارة الشهيرة (نأخذ من السلف الجدوة لا الرماد)

ولعل أدق تعبير لرسالة الشيخ حبش هي أنها جاءت امتداداً لرسالة الإصلاح الديني التي أطلقها الشيخ محمد عبده قبل قرن ونصف، وإذا شئت أن تشرح مقاصد مشروع الحبش وفكره فإنك لن تجدها أوضح من عبارة الأستاذ الامام حين قال: «لم أر كإسلام ديناً حفظ أصله، وخلط فيه اهله، ولا مثله سلطاناً تفرق عنه جنده، وخفر عهده، وكفر وعيده ووعدته، وخفي على الغافلين قصده، وإن وضح للناصحين رشده، اكل الدهر اهله الأولين، لاهم فهموه فأقاموه، ولاهم تركوه فرحموه، سواسية من الناس اتصلوا به، ووصلوا نسبهم بنسبه، وقالوا: نحن اهله وعشيرته، وحماته وعصبته، وماهم منه بشيء إلا كما يكون الجهل من العلم، والطيش من الحلم، وأفن الرأي من صحة الحكم».

ولعل أصح شعر يقوله الشيخ حبش اليوم هو أن يكرر ما قاله الشيخ محمد عبده من قبل:

ولست أبالي أن يقال محمد أبلّ أم اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم



عبد الرزاق الزيتون

عبد الرزاق الزيتون كاتب ومدرس سوري يحمل إجازة في الاقتصاد، وقد تخصص في منهجية التمويل الإسلامي ودوره في التنمية، ولكن اهتمامه العملي كان بتطوير الرياضة وقد تولى رئاسة الاتحاد الرياضي العام في محافظة حماه.

وفي اهتماماته الثقافية يكرس زيتون قدراً كبيراً من جهده لرصد التوجهات الإصلاحية، ورسم ملامحها واستلهاها، وقد كتب مراراً عن مشروع الدكتور حبش الإصلاحي، وآثاره في المجتمع.

وهو يرى أن مشروع الإخاء الإنساني عند الدكتور محمد حبش في جوهره، محاولة لإعادة الاعتبار للدين كوسيلة لتوحيد البشر، لا لتفرقتهم. وهو لا ينطلق من تنازلٍ عن الثوابت، بل من وثوقٍ أعمق بها فوحدة الخلق، وكرامة الإنسان، والعدل، والرحمة، ليست قيماً وافدة، بل هي جوهر الرسالة.

أما الحديث عن إخاء الأديان فهو يرى أن حبش لا ينكر وجود اختلافٍ عقدي، لكنه يرفض أن يتحوّل هذا الاختلاف إلى أساسٍ للكرهية أو التهميش، مؤكداً أن عقيدة الإيمان بالرسول والكتب وهي من أركان العقيدة ولا يمكن أن تُفهم على أنها فكرة هامشية، بل كمدخلٍ للاتلاف البشري.

مشروع الإخاء الإنساني عند
الدكتور محمد حبش
تأصيل قرآني وتجديد منهجي

لا يمكن فهم مشروع الإخاء الإنساني عند الدكتور محمد حبش خارج سياق مراجعة جوهرية للخطاب الديني السائد، ومحاولة جريئة لإعادة تأصيل العلاقة بين الإنسان والإيمان، وبين الأديان بعضها بعضاً. فالمشروع، في عمقه، ليس مبادرةً خطابيةً عابرة، بل محاولةً منهجية لاستعادة البعد الإنساني المركزي في الرسالة الإسلامية، عبر قراءة تجديدية تبدأ من النص القرآني، وتعيد ترتيب الأدوات الاستدلالية، وتفتح على التجربة الإنسانية وفكرها التسامحي.

أولاً: المنطلق القرآني والإنساني

يرى حبش أن الخطاب القرآني يُعلن، منذ السطر الأول، عن شموليته: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ويُختم بإشارة رمزية مماثلة في سورة النَّاس، حيث يُخاطَب الإنسان بوصفه إنساناً، لا بوصفه مسلماً أو غير مسلم. ويُكرّس القرآن فكرة وحدة الأصل البشري في أكثر من موضع، أبرزها افتتاح سورة النساء: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ». هذه الصيغة الخطابية لا تُخاطب الفئة أو الطائفة، بل الجنس البشري ككل مؤسساً بذلك لمعمار أخلاقي وإنساني مشترك.

ثانياً: نقد التدين الأحادي والدعوة إلى التمييز المنهجي

يشخص حبش جذور الخطاب المُستبعد للآخر في ما يسميه بـ«التدين»، لا في «الدين» ذاته. فالتدين، في تحليله، هو تجربة بشرية مُتغيرة، تتقاطع فيها المصالح الثقافية والتاريخية مع الفهم الديني، وقد أدى في كثير من محطاته إلى خطاب قائم على الإقصاء والتوحش الرمزي. ومن أبرز مظاهر هذا الخطاب، في رأيه، تعميم أحكام الخُسران أو النار على الغالبية العظمى من بني آدم بناءً على روايات ظنية السند أو مُجرّدة من سياقها. هنا، لا يُنكر حبش وجود اختلاف عقدي، لكنه يرفض أن يتحوّل هذا الاختلاف إلى أساس للكراهية أو التهميش، مؤكداً أن عقيدة الإيمان بالرسول والكتب — وهي من أركان العقيدة — لا يمكن أن تُفهم على أنها فكرة هامشية، بل كمدخلٍ للتألف البشري.

ثالثاً: التأصيل الفقهي عبر المصادر الاستدلالية العشرة

في مواجهة الانتقادات المُحافظة، لا يكفي حبش بالاستشهاد بالنص العام، بل يبني رؤيته على منظومة استدلالية موسّعة تشمل الكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصلحة المرسلة، والعرف، والذريعة، والاستصحاب، و«شرع من قبلنا» — وهو مبدأ فقهي معتمد عند كثير من المدارس، خصوصاً في المسائل غير التعبدية. ويُشير، على سبيل المثال، إلى تكرار عبارة «مُصدّقاً لما بين يديه» في القرآن أربعة عشر مرة، تأكيداً على وحدة المنظومة السماوية، واحترامها كمصادر تربوية وإرشادية، وليس كنصوص ملغاة أو منسوخة بالكامل.

رابعاً: من «حوار» الأديان إلى «إخاء» الأديان

هذا التحوّل المصطلحي ليس شكلياً، بل يُعبّر عن تحوّل جوهري في الغاية: فالحوار يفترض أطرافاً منفصلة تتقابل، بينما الإخاء يفترض وجود أسرة إنسانية واحدة، لا تُقسّمها الانتماءات الدينية. وينطلق حبش من أن الإنسانية غاية في ذاتها، لا وسيلة، وأن الإيمان بالله — لدى المؤمنين — يجب أن يُترجم إلى إيمان بكرامة الإنسان، أيّاً كانت انتماءاته. ولهذا، لا يُقضي المشروع اللاديني، بل يُوسع دائرة الإخاء لتشملهم، انطلاقاً من قيم العدل والرحمة والحرية المشتركة.

خامساً: التجذّر في التراث والانفتاح المؤسسي

لا يُقدّم حبش مشروعه كابتكار مُفاجئ، بل يُشير إلى جذوره في تراث إسلامي تسامحي، من أمثال ابن عربي، وعبد الكريم الجيلي، والبيروني، وابن سينا، والرومي — الذين اشتهروا بانفتاحهم المعرفي ومقارباتهم المقارنة للأديان. وعلى الصعيد المؤسسي، أسّس «مركز دراسات الإخاء الإنساني» في الإمارات كامتداد لمشروعه الفكري، منطلقاً من إيمانه بأن التجديد يحتاج إلى بيئة بحثية ومؤسسية تدعمه، وتنتج معرفة تُواجه التطرف بالاستدلال، لا بالشعارات.

سادساً: الأبعاد التطبيقية والفكرية

تجسّد رؤية حبش في سلسلة مؤلفات تُشكّل مرجعاً لمشروعه: ككتاب «إخاء الأديان» (٢٠٢١)، الذي قدّم فيه الأدلة الأصولية والفقهية على مفهوم الإخاء، و«نحو إسلام حضاري وإخاء إنساني»* (٢٠٢٤)، الذي وثّق حوارات مع مفكرين لبلورة مسلك التجديد. كما أصدر

سلسلةٌ تجديديةٌ تشمل: «عدالة لا انتقام»، «أحرار لا زنادقة»، «فقهاء لا كهنة»، و*«المذهب الإنساني في الإسلام»* — وهي عناوين تُعبّر عن مشروع متكامل لإعادة تأهيل الفهم الديني في ضوء القيم الإنسانية العليا.

خاتمة: رؤية للإصلاح الديني في زمن التفكّك

مشروع الإخاء الإنساني عند الدكتور محمد حبش هو، في جوهره، محاولةٌ لإعادة الاعتبار للدين كوسيلة لتوحيد البشر، لا لتفرقتهم. وهو لا ينطلق من تنازلٍ عن الثوابت، بل من وثوقٍ أعمق بها — فوحدة الخلق، وكرامة الإنسان، والعدل، والرحمة، ليست قيماً وافدة، بل هي جوهر الرسالة. وفي عالم يزداد تفكّكاً وانغلاقاً، تبرز هذه الرؤية كدعوة معرفية جريئة، تستحق النقاش والتأمل، لا الرفض المسبق. وهي، في كل الأحوال، إضافةٌ نوعية إلى الفكر الإسلامي المعاصر، تستند إلى منهجية علمية، ودقة لغوية، ورؤية إنسانية لا تقل أهمية عن الدقة الشرعية.



علاء تباب

علاء تباب كاتب إسلامي ومحرر إعلامي، من أبناء حي المزة في دمشق. حصل علاء على الدكتوراه في الإعلام من جامعة الخرطوم في السودان حيث أقام عدة سنوات، قبل أن يعود إلى سوريا ويشارك بفعالية في الثورة ثم ينتهي به الأمر لاجئاً في تركيا إلى أن تحقق انتصار الثورة السورية فعاد إلى دمشق، حيث يعمل في وزارة الثقافة السورية. يتولى تباب رصد الواقع الإسلامي بالتوجيه والنقد وقد كتب سلسلة مقالات عن التجديد الإسلامي.

صحب تباب الدكتور حبش منذ طفولته ونشأ في مدرسته الفكرية، ولكنه لم يكن نسخة عن أحد، وقد حافظ على استقلال رأيه باستمرار، كما يظهر لك في مقاله هذا الذي خصصه للتحذير من الغلو في المذهب الإنساني، ووجوب اعتماد معايير تجنب تذويب القيم الدينية في القيم الإنسانية.

المذهب الإنساني
دين لا نبي له!

استناداً إلى طبيعة المقام ومحدودية المقال وحساسية الاختصاص لا يمكن في مقال متواضع تحدّ المساحة أن أعرج أو أطوّف في تفاصيل النصوص القرآنية والأحكام الفقهية وكافة الأفكار المطروحة التي تعالج منظومة فكرية غاية في الضخامة والتفصيل، أطلق عليها الباحث الدكتور محمد حبش المذهب الإنساني في الإسلام، وعليه أرى أنّه يتوجب الاختصار في هذا المقال على معالجة مالات وخطورة فكرة المذهب الإنساني وأنواعه ومرجعياته وانعكاساته على تفعيل الدين وتوظيفه وتفكيك المجتمع والإنسان ذاته وتقويض الحضارة الإسلامية والعربية بل والإنسانية! يطرح عزّاب المذهب تساؤله الجوهرى: «هل الهدف في الإسلام الشريعة أم الإنسان؟ وهل من المفترض أن يبذل الإنسان حياته ودمه في سبيل عزة العقيدة! أم في سبيل خدمة الإنسان؟» الغريب بالأمر أن الكاتب يفترض وجود تناقض بين قوانين الشريعة ومصلحة الإنسان! وبين تحقيق عزة العقيدة وخدمة الإنسان! وكأن هذه المتغيرات تسير على خطوط متوازية لا تلتقي ألبتة! والحقيقة أن تمكين المنظومة الدينية ثقافياً للإنسان هو أصلاً يحقق سعادته ويخدمه! أما افتراض أن مصلحة الإنسان هو أن يكون سعيداً دوماً فكرة حالمة وغير منطقية! فهناك إنسان ظالم وآخر مظلوم ولا يمكن عقلاً إحداث توافق بين المتناقضات وتحقيق سعادة الجميع حتماً! لذلك إنّ السعي دوماً لإرضاء الإنسان بكل أشكاله هو سعي نحو سراب!

التشكيك الحضاري وهدم المرجعية

إنّ أوّل ما لفت نظري واستوقفني أن «المذهب الإنساني في الإسلام» وفق عزّابه وعنوانه يسعى إلى «إحداث مقاربات في بناء الدولة والمجتمع»! والسؤال الذي يطرح نفسه دون حياء أو خجل أو أدنى موارد، ما طبيعة الدولة المقصودة في عنوان هذا المشروع التشريعي، وما هي طبيعة المجتمع! إن كان المقصود منظومة تحالف السلطات السياسية الكبرى، فإنّه لا شك أنّ منهج ومنطق المذهب الإنساني عاماً كان أم إسلامياً يكرّس ثقافياً تلك المنظومة المتوحشة الكبرى! أما إن كان ما يقصده الباحث هو تلك الدولة المحلية التحررية المستقلة في قرارها عن محيطها السياسي الخارجي، فإن مثل هذا المشروع التشريعي المذهبي غير قادر على بنائها

حكماً! لأن أساس بنيانه يقوم على تفكيك واستئصال الرحم الثقافي والاجتماعي والمرجعي المسؤول بدوره عن إفراز الدول التحررية المستقرة والمستقلة عن منظومة الحضارات الصائلة والمتغلّبة والمؤمنة بمنطق الإذعان والقوة!

أما إذا تحرينا حول ماهية المجتمع في هذا «المذهب الإنساني» أرى أنّ عرابيه إذا كانوا يأملون تفعيل المجتمع الإسلامي وفق المقاصد والرؤية القرآنية والنبوية، فإنّي أزعّم يقيناً أنّ تحقيق المسعى في إطار هذا المنطق التفكيرى إن هو إلا أضغاث أحلام! لأنّ المنهج الانتقائي الذي يسوس المذهب الإنساني يقوم أصلاً على تفكيك المرجعية والتفاصيل! فكيف لهذا المنهج أن ينجح في هندسة مجتمع بلا مرجعية ولا تفاصيل ثقافية يتفرد بها عن غيره! وكيف له أن ينجح في هندسة مجتمع يقتات على التشكيك في كل الثوابت والمرجعات والتفاصيل الثقافية والدينية! ولا أبالغ إذا ما قلت أن الحضارات كالعبادات لا تبنى على شك بل على يقين! بل أزعّم أن بداية الانهيار الحضاري يكون باستنبات التشكيك المطلق في كل مرجعيات المنطق الحضاري!

لذا فإنّ الاعتماد على العموميات لا الجزئيات والتفاصيل في الهندسة المجتمعية! والاستناد إلى التشريعات الفضفاضة والمرجعية الهشة والمبالغة بالتشكيك الحضاري في الثوابت، وكذلك الارتكاز على المنهج المشترك مع الآخر بهدف صناعة مجتمع أو حضارة إنسانية هو سعي ليس في مكانه وهرولة فكرية لا معنى لها! إنّ كل هذه المتغيرات السابقة لن تكون قادرة حكماً على التأسيس لحضارة أو مجتمع بل لن تنجح في تأسيس أسرة واحدة! لكن مثل هذه الرؤى التنظيرية لهذا المشروع الديني، إذا توظّفت سياسياً وتم نقلها من حيز التنظير لحيز التطبيق، فعندها ستكون قادرة ليس على البناء كما يأمل مهندس الرؤية؛ بل على تفكيك المجتمع الثقافي العربي والإسلامي والإنساني وبناء حالة من الهلامية المجتمعية أو اللا مجتمع!

التوظيف الحضاري

إن خطورة مثل هذه المشاريع الثقافية في السياق المعاصر هو أن بإمكان الفاعل السياسي توظيف المرجعيات والتصورات الإسلامية لتمكين وتحقيق رؤيته ومسايعه، فإن السلطة المتوحشة العابرة للقارات تدرك يقيناً خطورة تقوية المجتمع المحلي! لأنها تدرك أنّ العلاقة بينها وبينه علاقة وجود أو عدم! فإنّ هناك علاقة طردية ما بين تمكين السلطة العابرة للقارات وتمكين المجتمع المحلي، فإذا تمكّن المجتمع تضعضعت السلطة، وإذا توغلت هذه السلطة تدجن المجتمع! في المقابل إن العلاقة المتوازنة بين السلطة المتحررة المحلية ومجتمعها

هي الكفيلة في تحقيق الاستقلال والاستقرار وخلق مناعة سياسية و مجتمعية وحضارية! لهذا نلاحظ دوماً إصرار السلطات العابرة للقارات على هندسة القوانين التشريعية والاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمعات الخاضعة لسلطتها! فهي تسعى بهذا السلوك السياسي إلى تفكيك المجتمعات لتسهل إدارتها وتسيطر على تدافعها وفق رؤية الفاعل السياسي المتوحش العابر للقارات! وإن كل هذه المساعي الإستراتيجية التي يسلكها هذا الفاعل يهدف من خلالها بطريقة أو بأخرى إلى عرقلة التدافع الاجتماعي والثقافي أملاً في إطالة العمر الزمني لمنظومته المتوحشة سياسياً واجتماعياً وحضارياً!

إن المرجعية الانتقائية والمنطق التفكيري لـ «المذهب الإنساني في الإسلام» في استقراء الفقه الإسلامي على أساس «عقلاني إنساني» واستبدال كل ما يرى الباحث عدم إنسانيته بحكم فقهي آخر يشعر هو بإنسانيته وفق قانون ومعياري «العقل وحقوق الإنسان»! هو منهج ومنطق تفكيري يؤدي تفعيله أو توظيفه سياسياً إلى تذويب الخصوصيات الثقافية وهدم آخر قلاع الفواعل الدينية والثقافية والمجتمعية التي تعيق حركة الصائل الحضاري العابر للقارات في المشرق العربي والدول الإسلامية! إن إشكالية المذهب الإنساني هو أنه يُخضع المنهج إلى الفكرة لا العكس! والأصل أن المنهج وظيفته تحصين العقل من الخضوع لهوى النفس! والصواب الذي يجب أن نعيه، بأن الإسلام هو الذي يجب أن يسعى لأسلمة الإنسان لا أن يزعم الإنسان بأنه هو الذي بإمكانه أنسنة الإسلام والشريعة وأوامر الله! العبودية الحققة أن ندخل الإنسان في الدين لا أن ندخل المشرع في المذهب الإنساني!

وثنية المصالح وهشاشة المعيار

لكن «المذهب الإنساني» هو على استعداد أن يتجاوز النص الصريح والمحكم إذا تعارض ظاهرياً مع المشترك الإنساني أو مع مصلحة الإنسان، ولا شك هنا أن المذهب سيقع دون دراية في فخ وثنية المصالح التي لا ينتشل الإنسان منها إلا المنهج التفكيري المتفق عليه بين أهل العلم! ولقد كان عراب المذهب الإنساني في الإسلام واضحاً لما قالها صراحة: «إن الموقف الفقهي السائد لا زال قاصراً عن مواجهة التحديات الرئيسية التي تتناقض مع حقوق الإنسان»! إن خطورة هذا المشروع التشريعي أنه يجعل حقوق الإنسان مرجعية ومعياري يحكم المسلم بواسطته على النص القرآني والنتاج الفكري الحضاري المحلي وواقع الفقه الإسلامي! لا شك أنه ليس عيباً أن نراجع الفقه الإسلامي ونحرك الأحكام الراكدة ولكن الجرأة هو أن نجعل العبوات

القانونية والثقافية والسياسية المستوردة هي المعيار للحكم على واقعية أو عدم شرعية الفقه الإسلامي! وبغض النظر عن النية الحسنة لبعض دعاة المذهب إلا أن الخطورة في تفعيله هو أن يوظف سياسياً بهدف إضفاء الطابع الثقافي والإنساني على التوحش السياسي وتقويض التدافع الحضاري، وأن يفكك المنظومة الإسلامية بالتوازي مع توغل التوحش السلطوي! ونتاج ذلك يتم الاستفراد بالسلطة السياسية وجعلها في أيدي حفنة بشرية متمكنة، لدى أشخاصها العديد من التقاطعات الاقتصادية والسياسية والثقافية وبعبارة أدق تقاطعات أسرية واسعة النطاق!

لذلك يتوجب حضارياً على دعاة المذهب الإنساني المطلق الداعي لدمج الأديان أو على دعاة المذهب الإنساني الإسلامي والذي يدعو لانتقاء الأحكام على أساس عقلاني يتقاطع مع حقوق الإنسان! يتوجب على هؤلاء المنظرين إعادة النظر في السياق الحضاري والتاريخي وعدم التوقع في عالم الورق والكتاب والمسائل الفقهية وعدم فقدان الأمل والخضوع لمتغيرات الواقع السياسي المؤقت، لأن التاريخ ببساطة يصاغ في دهايز الواقع السياسي والثقافي لا في المواقع والمدرجات والمقاهي! وإلا تحولت جهود هؤلاء المنظرين لفواعل عاطلة معطلة أو مشاريع لدى الفواعل السياسية القادرة على توظيف هذا النوع من التنظير وفق آلية توظيف الدين وفق مشاريع النقيض الثقافي بدلاً من تفعيل الدين على نطاق السلوك الحضاري الذاتي!

الاستغناء والطغيان الإنساني

أما في ظلال تمكين «المذهب الإنساني الإسلامي» غالباً ما يكون المنهج الإسلامي والمتغير الثقافي في مواجهة وصراع مباشر مع الطغيان الإنساني على الدين! بل وأمام الإرهاصات الإنسانية الأولى لاستنبات ثقافة الاستغناء عن الخالق (إن الإنسان ليطنى أن رآه استغنى)! وعندها لا شك تكون الحضارة الإسلامية في طور صناعة خطاب ديني ينافس الله في ملكوته! أي يتحول الإنسان وفق هذا المشروع التشريعي من كونه مستخلفاً إلى منافس ومن كونه عبداً إلى مشرع! وبهذا تكون المدرسة الاجتهادية أمام خطاب مضطرب يستبدل مرجعية الوحي والنص بمرجعية العقلانية والانتقاء وفق معيار حقوق الإنسان! وعليه فإن الخطورة الحضارية في مثل هذه الدعوات هو أنها تعبت بالمنهج والمنطق والمرجعية ولا تكتفي باستنطاق الأفكار! ولا شك أن العبث بالمنهج والمرجعية الإسلامية غالباً ما يأتي في سياق التسمم الفكري لا التدافع!

الإنسان ... بين الهوى والعقلانية

وما يلفت النظر أنَّ كثيراً من الباحثين يتعاطى مع حالة «المذهب الإنساني» كونها منظومة فكرية تخضع في مرجعيتها لعنصر العقلانية والحرية! والحقيقة أنَّ مرجعيتها مركبة بين الهوى والنفسانية والانتقائية والحرية المقنعة! فإنَّ الإنسان المفكر إسلامياً دون مرجعية ما يحكمه أصول النفس لا أصول الفهم أو العقل، فالنفس الإنسانية لا شك هي حقيقة الإنسان وعمقه لا عقله! وخطورة تعويم ثقافة المذهب الإنساني في المجتمع يكون نتاج قمع الحريات لا ازدهارها، وادعاء أرباب المذهب أنَّ الحرية تعتبر وكانت المناخ المناسب لهذه الأفكار غير دقيق! لأنَّه عندما يتفاعل الإنسان مرسلًا كان أو متفاعلاً أو متلقياً في ظل متغيرات البيئة الاجتماعية التي تتمثل في عالم السيولة الثقافية والإعلام الميسر ومواقع التواصل الاجتماعي ذات البيئة المضطربة والجمهور الغائب! وفي ظل سلوكيات الفاعل السياسي الساعية دوماً لاعتقال المنافس الديني لهذا الخطاب الديني المدعوم سياسياً، عندها لا يمكن ادعاء أنَّ المناخ الحر هو المناخ الذي تربو فيه هذه الأفكار بل على العكس! إنَّ الحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر أنه يتم بذلك تعطيل الحرية والتدافع ومصادره ليغرق الإنسان حينها مرسلًا أو متلقياً في تفاصيل وأمواج السيولة الثقافية واضطراب التواصل الاجتماعي والإرهاب الفكري!

توظيف المرجعية

من الغرابة بمكان أنَّ السلطات العابرة للقارات تدعو دوماً إلى تحكيم الحرية! لكن الواقع أنَّها تتعاطى بازدواجية مع هذا المتغير عندما يتعارض مع استراتيجيتها! ما يعني أنَّ هذه السلطات تقوم على توظيف الحرية لا على تحكيمها! بل لو حكمت هذه السلطات المتوحشة الحرية الاجتماعية جلاً لتحرَّرَ العقل الإنساني من القمقم السياسي ومتغيراته! وإنَّ من أمثلة ازدواجية سلوك السلطات العابرة في التعاطي مع الحرية داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية، هو كونها تتعاطى بقدسية مع الحريات الفردانية والشخصية في حين تتعاطى باستبداد مطلق مع الحريات المجتمعية والحضارية! وبهذا تقوم على مكافحة العقل الحضاري المجتمعي واستنابات العقل الفردي! وإنَّ تفسير دافع هذه الازدواجية ببساطة هو أنَّ تمكين الحرية على مستوى المجتمعات والحضارات يعتبر سلوكاً خطيراً لأنَّه ينافس ويهدد الصائل الحضاري والتوحش السياسي المتغلب! أما بالنسبة لإطلاق الحرية الفردية لا شك أنَّه يتم توظيفه في تمكين السلطة العابرة لأنَّه

من الممكن تطويع منتجات الحريات الشخصية، بل وتحويل الإنسان في ظلها إلى مستهلك حضاري وثقافي بل وأداة وظيفية مغفلة في هدم ثقافته الأصلية، وهذا من شأنه أن يعطل التدافع الحضاري والثقافي السليم بدل أن يفعله! في المقابل فإن الصواب الذي يجب أن تتبعه المؤسسة والسلطة المحلية هو تمجيد العقل المجتمعي والحرية على المستوى الحضاري والثقافي وعدم الاقتصار على تمجيد العقل الإنساني على المستوى الفردي والحريات الشخصية! وإلا نكون أمام تغييب الإنسان الإستراتيجي وتعويم الإنسان المؤقت!

تحكيم النفسانية وإدارة الهوى

إن كارثة هذا «المذهب الإنساني» ليست في الأفكار، بل بهدم المرجعية وأسر الإنسان خلف قضبان الهوى والانتقائية والتوظيف السياسي! فهذا النوع من المشاريع يفصل الإنسان عن خالقه ويلغي الدين، ولكن بنكهة الدين! في ظل فلسفة ودأواها بالتي كانت هي الداء! وبهذا المنهج والمنطق يتحول الإنسان وهواه ومصالحه لغاية ومرجعية في ذاتها! ليتم تعطيل العقلانية وتدجين الحرية وتفعيل النفسانية كأحد أهم مصادر التشريع لمنظومة المبادئ والأخلاق والقيم في الإسلام! وبهذا تتحول النفس البشرية التي حذرنا الإسلام من رعونتها لمرجعية منظومة القيم لدى العنصر الإنساني! وبذلك تتحول النفس الإنسانية بذاتها لمشروع وحكم؛ لتصبح الإله والعبد معا!

مع الأسف يتجاهل دعاة المذهب الإنساني العام أو الإسلامي أن لا ميزة للإنسان كونه إنساناً! بل إن القرآن لم يثنِ على الإنسان لكونه إنساناً! بل أثنى على طبيعة السلوك الإنساني الذي يخضع لأوامر الله ويعظم شعائر الدين ويسعى لتحقيق التمكين والقسط! في المقابل توعد الله سبحانه وحذر من السلوك الإنساني الذي يتمرد على أمر خالقه! بل أكثر من ذلك أن الإنسان إذا استغنى واتبع هواه وساسته النفسانية سيصل إلى ما هو أبعد من الضلال! «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً!» ما يعني أن الإنسان إذا ما اتبع هواه يتحول لكائن أضل من الأنعام! لأن ما يسوسه هي النفس لا الفطرة كما هو حال الأنعام! وإن النفس في حقيقتها إما أن تعلو بالإنسان لمراتب الأنبياء أو تهوي به لما هو أدنى من الدواب! ألم تر كيف فعل ربك بالكلاب البشرية! إن لوبي الكلاب البشرية اليوم يعتبر رواده من أرقى العائلات والأطباء والتجار الذي يعيشون في البلدان الغربية المستندة إلى مرجعية إدارة الهوى ومأسسته وتوظيفه في السياق السياسي! إن الخطاب الديني لا ينفصل عن سمات الكاتب والمشروع! لذا فإن أي خطاب ديني ينفصل عن الوحي

والعقلانية يسعى لتعويم الإنسان العاطفي وتغيب الإنسان العقلاني، ومنافسة القانون الإلهي، وبهذا سيكون يقينا وفق المنهج القرآني خطاباً ضعيفاً وظلوماً وجهولاً وهلوفاً وعجولاً وجزوعاً ومنوعاً!

خداع المستهلك الحضاري

على الثلة المثقفة أن تدرك أن تسويق الإسلام بتغيير البضاعة والخصائص هو دخول السوق بسلع مغشوشة تنافس السلع الأصلية! إن النية الحسنة لا تكفي! فإن الدعاة ما عليهم إلا البلاغ المبين وغير مكلفين بالنتائج بل بالسعي وفق المنهج النبوي والقرآني! أما سياسة البعض في تغيير خصائص البضاعة بهدف التسويق هو سلوك ينم على عدم ثقة بالصانع وهذا السلوك غير وارد منطقياً ومخالف لقوانين الدين الإسلامي! لأننا نكون حينها أمام بضاعة جديدة ومختلفة في الخصائص عن بضاعة الدين أصلاً! لذا على كل الساعين لتجديد الخطاب والأصول أن يدركوا أن الدين باق وإما أن يستخدمنا الله في تمكينه أو يستبدلنا بقوم آخرين!

ولا شك أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نجح في تبليغ الدين إلى مجتمع وثني مع غياب أي قواسم مشتركة واختلاف في المرجعيات! ورغم هذا الاختلاف لم يتنازل الرسول عن خصائص المبادئ والقيم الإسلامية والتزم بالتبليغ وأداء أمانة الاستخلاف! في المقابل تنازل البعض عن الثوابت بدافع تسويق الإسلام إلى الآخر، لكن غاب عنهم أن هذه الإستراتيجية تؤدي إلى انعزال الإسلام والعبث فيه وقوقعته لا إلى تسويقه! لأن السلعة بعد العبث بخصائصها تفقد قيمتها أصلاً! وقوة الإسلام اجتماعياً ببنيتها وليس بالمندوبين الذين يسوقونه! هنا يتسلل الفاعل السياسي ليتتقي التصورات الإسلامية بهدف استثمارها في النطاق السياسي والثقافي للدول المعاصرة بهدف تحقيق مصالح ومقاصد السلطات المتوحشة العابرة للقارات!

ما غرّك بربك

(يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم...) ولا أبالغ إذا ما قلت أن غرور الإنسان المعاصر وتجروؤه على الله يُخرج المنهج الثقافي الإسلامي من إطار الاجتهاد لحقبة بدايات ولادة الطاغوت الإنساني! والتجروؤ ليس بالضرورة أن يكون عن سوء نية؛ بل غالباً ما يكون انطلاقة من النية الحسنة المبنية على العاطفة والاندفاع في تحقيق الأمر قبل أوانه! وهنا يأتي الفاعل السياسي المتوحش العابر للقارات لاستثمار هذا الحراك وتوظيفه في السياق المصلحي

الحضاري! ومن الطبيعي أن يتساءل البعض لماذا يكون الإسلام هو المستهدف سياسياً دون غيره من الأديان! والجواب الذي أراه وألحظه وأتدبره من خلال استقراء الواقع أن استهداف هذا الدين هو اعتراف حقيقي بأنه الدين الإلهي الذي يُكلّف الله الإنسان باتباعه في كافة العصور التي تلت عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإن استهداف هذا الدين حصراً ومحاولة الفواعل السياسية الخارجية القضاء عليه أو توظيف دعوات التجديد واجتزاء مفاهيم وأحكام الدين الإسلامي وتوظيفها لتكريس نفوذ السلطات العابرة؛ هو تصديق لقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»! فإن الصراع مع الإسلام حصراً يثبت أنه هو الدين الإلهي! لا سيما وأن الصراع بين الدين الإلهي والسلطات السياسية هو صراع أزلي قديم لأن الدين بحسب طبيعته وعلاقته مع الإنسان والمجتمع دوماً ما ينافس السلطة السياسية على الصعيد الاجتماعي والثقافي والسياسي، والإسلام هو فقط المستهدف لأنه هو الدين!

إستراتيجية التوحش الحضاري

ما نعيشه في الواقع المعاصر هو جولة من جولات الصراع الحضاري ما بين السلطة المتوحشة العابرة للقارات والدين الإلهي! وهذا الصراع هو صراع طبيعي لا ينتهي إلا بالتححرر الإنساني! ولا شك أن تفعيل الدين الإسلامي ثقافياً يؤدي لتحرير الإنسان من الكهنوتية الدينية والسلطات المتوحشة العابرة للقارات، وهذا لا شك هو السبيل الأوحـد لتوفير سياق بيئي حر قادر على تفعيل التدافع الحضاري! في حين أن السلطة المتوحشة المنفصلة عن الله في كافة مستوياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، تسعى بحكم طبيعتها بغية الحفاظ على وجودها إلى تغييب الإنسان العقلاني المؤمن داخل العنصر البشري، وهذا ما يفسّر سعيها الدائم إلى الفصل ما بين الدين والمجتمع والسلطة السياسية! لأنها تدرك أن الدين يسعى لتمكين المجتمع الإنساني العقلاني لا العاطفي، أما الحاكم المنفصل عن الله يسعى بطبيعة تكوينه وبغية الحفاظ على وجوده إلى تمكين السلطة السياسية المتوحشة واستحضار النفسانية الفردانية على حساب المجتمع! فإنّ الإنسان إن لم يكن عبداً لله فإنه يسعى لإشباع نزغته في الطغيان وبطبيعة الحال فإنّ تحقيق طغيانه السياسي يقتضي استعباد الشرائع الاجتماعية والضعفاء! لذا فإن فصل السياسة عن الدين الحقيقي هو سعي لصناعة آلهة وعبيد بنكهة المواطن والديمقراطية وحقوق الإنسان! وبهذا ندرك دافع إصرار السلطات العابرة على تحقيق العلمانية المتطرفة في المجتمعات الخاضعة لسطوة الفاعل الخارجي! إن الهدف من ذلك هو تغييب الدين لأنه المسؤول عن أنسنة

البشر وزيادة المناعة الثقافية ضد السلطات المتوحشة العابرة ويفعل الإنسان عقلاً وأخلاقاً، لذا نرى الدين بعكس السلطات المتوحشة يسعى دوماً في منطق تفكيره ومنهجه إلى تحريم ومكافحة الملاهي من مخدرات وحشيش ومسكرات ودعارة وتسليع المرأة! لأنه يريد أن يكون العقل الإنساني حاضراً بهدف المشاركة في الحكم وسنة التدافع الحضاري والسياسي! وهذا دون أدنى شك بعكس إستراتيجية السلطة العابرة الساعية لتسويق المسكرات والمخدرات والدعارة وتسليع النساء! وهو أمر وسلوك طبيعي ويتناسق مع ماهية وجود هذه السلطات التي يستند بقاؤها إلى تغييب عقل الإنسان واستحضار عاطفته! وبهذا المنطق والمنهج السياسي يتم التغييب الحضاري والتغريب المجتمعي! ولا شك إن إشغال الإنسان بالمسكرات والملهيات المادية والمعنوية يحول اللذة البشرية والذاتية إلى غاية! لذا فإن المنظومة السياسية المتوحشة دوماً ما تسعى إلى تشريع وتقنين كل ما يغرق النفس باللذة ليدفعها إلى الارتهاق المستدام ويجعلها غير قابلة للإشباع أو الإطفاء! وعندها نرى أن اللذة تتمكن من الإنسان وتحوله لمستهلك حضاري وتأسره حتى يصبح عبداً لهواه! وهذا ما أطلق عليه إذا صح التعبير فن إدارة الهوى وهو الفن السياسي الذي يعتبر بمثابة أصول الفقه والإدراك في المذهب الإنساني بكافة أشكاله! وهنا لا أبالغ إذا ما قلت: إن المذهب الإنساني دين لا نبي له إلا الهوى!



علي محفوظ

علي محفوظ شاعر سوري من اللاذقية، باحث في القضايا الاستراتيجية، ينشر مقالاته في صحف ومجلات سورية وعربية.

يظهر علي محفوظ في سائر دراساته انحيازاً نحو الإنسان، وتجاوزاً لمفهوم الطائفة والقبيلة والحزب، ويركز دوماً على الانتماء للإنسان، ويرى أن عناصر «ما فوق الثروة» هي: الإنسان، الوقت، الحرية، ويعتبرها أساس أي مشروع نهضوي.

يدعو إلى علمنة الثقافة والديمقراطية كمدخل لبناء مشروع عربي تنويري يلتقي مع المشروع العالمي.

يصف نفسه بأنه «باحث أبدي عن نظام كوني» يقوم على تفسير العالم بوعي علمي ونزاهة فكرية، ثم تغييره نحو مستقبل أرقى للإنسان والطبيعة.
من أعماله:

- الخطاب الأخير للطاغية العربي.
- العرب في مهب الريح.
- من المخيلة إلى الأسطورة تطور المعارف البشرية.
- مشروع رؤية للثقافة الوطنية من ثقافة السلطة والنخبة إلى ثقافة الشعب.

الدكتور محمد حبش
والمذهب الإنساني

تجمعني بهذا المفكر النبيل علاقة فكرية وجدانية روحانية عميقة. كلانا حاول من موقعه إنقاذ سورية من الحرب المجنونة المدمرة.

وحين التقينا وتعارفنا مطلع عام ٢٠١١ حاولنا معا منع وقوع الكارثة. كان معنا نخبة من رجال سورية الشرفاء حين شكلنا التيار الثالث لإنقاذ سورية. طرحنا رؤية وطنية إنسانية إنقاذية عبر مؤتمر سمر أميس ودروشا. رؤيتنا كانت تعتمد استلهم تجربة جنوب إفريقيا والمناضل العالمي الكبير نلسون مانديلا. المصارحة والمسامحة والحقيقة هي أعمدة رؤيتنا المشتركة لحماية الوطن. وبناء الدولة الوطنية الإنسانية السورية الواحدة الموحدة الجامعة. لم يكن مشروعنا مجرد إصلاح سياسي لنظام دكتاتوري مستبد غي قابل للتطوير والإصلاح. وإنما رؤية تغييرية حضارية تدين الأحادية والعنف والإرهاب والتدخل الخارجي. وتؤكد مبدأ التداول السلمي للسلطة. أجزم بصدق ونزاهة أننا قدمنا في لقاء دروشا ربيع عام ٢٠١١ رؤية وطنية إنسانية شاملة. تقدم مشروعاً متكاملاً لعقد اجتماعي مدني حضاري يجعل سورية مركزاً تنويرياً يتقدم على أرقى النظم السياسية في العالم. لم يكتف الدكتاتور الساقط برفض برنامجنا السلمي الذي أبدى إعجابه بلغته. ورفض مضمونه في الحل الجذري السلمي الحضاري. وأعطى إشارة تشبه الأمر بتفكيك وإلغاء هذا التيار السوري الإنساني النهضوي الشامل. قاد الدكتاتور المشبوه المعتوه بلادنا إلى كارثة تاريخية كبرى. كان الحل ممكناً دون إراقة قطرة دم واحدة. لكن لعبة الأمم عملت بالاتجاه المعاكس.

/ ثقافة الحياة/ يستوقفني جدا وربما يدهشني ويثير استغرابي أن الحياة بسيطة سهلة ممكنة لكل الناس بطبيعتها الشاملة البريئة المسالمة. هذه الطبيعة الكونية المنسجمة المتناغمة الجميلة بين الخالق والمخلوقات. وبين الإنسان والكون والكائنات.

الغريب في الأمر وربما المستعصي على الفهم العميق المقنع هو. لماذا يتجه بعض البشر بطريقة ممنهجة لتدمير ذاتهم الإنسانية الحرة الواعية العاقلة الهادفة الفاعلة؟! وتدمير الحياة المشتركة المتمدنة الراقية بين الامم والديانات والعقائد على كوكبنا الجميل.؟! حين نكتب عن الإنسانية الشاملة كحل جذري لمشاكل الإنسان على كوكب الأرض ينبري حتى أكثر

الناس عقلانية وفهما وتفهما ورغبة للقول: أفكارك طوباوية أفلاطونية مثالية غير قابلة للتطبيق في واقع الحياة اليومية. وغير قابلة للانتشار والدعم لدى أي شعب من الشعوب أو دين من الديانات. أتراها استحالة أن يكون الإنسان إنساناً؟! وأن يكون المخلوق على صورة الخالق العظيم الذي جمل خلقه وكرمه واستخلفه في الأرضي؟! ألم يكن ممكناً أن يأخذ التطور البشري مساراً أخلاقياً سلمياً مختلفاً بلا كراهية ولا عنف ولا حروب عرقية أو دينية؟! هل كانت الملكية الخاصة والصراع على الثروة والسلطة هي الخطوة الأولى في المسار الخاطيء لتطور المجتمعات البشرية؟

إن كل ما تصارع الناس لأجله وتناحروا عليه كان ممكن التحقيق على نحو أفضل بالتعاون، والتآخي والمحبة والسلام. الأسئلة الكبرى حول مستقبل بلادنا والعالم تتزايد كل يوم. وتكاد تنعدم الإجابات. من المؤسف والموجع لكل إنسان شريف عاقل أن النظام العالمي الجائر الظالم الذي استطاعت بعض أطرافه المهيمنة تحقيق ما يشبه الإعجاز في الأتمتة والتطور التقني والذكاء الاصطناعي لكنها لم تستثمر شيئاً جوهرياً لسعادة الإنسان. ولم تقدم حتى الآن رؤية نظرية فلسفية حقوقية اقتصادية ترسم وتحدد مستقبل العالم الذي نعيش فيه. تمرد غول العلم على مبدعه. خرج المارد من القمقم. الكل يسعى لزيادة التسليح والاستعداد للحرب الكونية المدمرة ولا أحد يتحدث عن السلام واستمرار الوجود والبقاء. غاب مبدأ الغاية النبيلة عن الإنجازات العلمية العظيمة. للأسف تقدمت العلوم التطبيقية وتراجعت الفلسفة والمبادئ والقيم. وتكاد تنعدم المعرفة الرؤيوية العميقة المنقذة الشاملة. الحالات الأكثر استخداماً للشورة العلمية التكنولوجية ولفائض الثروة الهائل هي إشعال الحروب والقتل الجماعي. ونشر المجاعات وانعدام الأمن والأمان في الكثير من البلدان الفقيرة في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية. إن موازنة وزارة الدفاع الأمريكية وحدها التي تقترب من ترليون دولار أمريكي تكفي لمنع وجود جائع واحد أو محتاج على هذا الكوكب المنكوب. وفي واقعنا العربي المنهار تم استنزافنا مادياً وتدميرنا نفسياً معنوياً وروحياً في حروب عبثية مع إسرائيل. وحروب بينية عربية عربية وداخلية في بعض البلدان. إن إجمالي ما أنفقته العرب على حروب بلا جدوى يكفي لخلق حالة من الرفاهية والأمن والأمان للعرب واليهود معاً. وجعل الشرق الأوسط أرقى وأكثر نمواً وازدهاراً من سويسرا. هل يعرف أحد كم ماهي الحكمة من تدمير العراق وسوريا وليبيا والسودان واليمن ولبنان والحبل على الجرار؟! ألم يكن ممكناً لنا جميعاً أن نعيش بمحبة وسلام لو صدقت النوايا وتوفرت الإرادة؟

إذا انتقلنا من النظري العام والمجرد عالميا إلى الواقعي التطبيقي الراهن. فلا بد أن نواجه السؤال التاريخي الكبير. كيف يمكن لبلد عريق في تاريخ الحضارة شهد أو مظاهر الأنسنة والنظام الاجتماعي المجتمعي منذ عشرة آلاف عام وأنتج حضارة الفينيقي والاوغاريتين والأبجدية الأولى أن يعاني صعوبة أو مشكلة في العيش المشترك بين مكونات ثقافية تلتقي بكل ما هو جوهري أساسي وتختلف فيما هو جزئي هامشي عديم القيمة والمعنى في الحياة اليومية.؟! أليس غريبا أن دولة من المهاجرين تحتوي كل الأعراق والديانات البشرية وعمرها الزمني لا يتجاوز مئتي عام كالولايات المتحدة الأمريكية تعيش مبدأ المواطنة وسيادة القانون والاعتزاز بالهوية الوطنية. وسورية العظيمة أم الحضارة وملتقى الحضارة البشرية تعيش صراعات مسلحة مرعبة تكاد تجعل العيش المشترك بين السوريين أمرا مستحيلا.؟!!

أجزم أن العائلة السورية التي تنتمي لأصل واحد توزعت دينيا لأسباب تاريخية خاصة بين الطوائف والمذاهب حسب مكان الإقامة والظروف السياسية وانتماء السلطة الحاكمة، ومن هنا بالضبط أتحدث وأكتب عن البيت السوري الواحد المشترك. وأريد لهذه البلاد العريقة أن تكون بيتا وطنيا إنسانيا واحدا لكل أبنائها.

شكلت بلادنا عبر تاريخها حاضنة إنسانية لكل من لجأ إليها هاربا من الصراعات والحروب العرقية والدينية. ومامي ت بين إنسان وإنسان. وأعطت الجنسية والمواطنة المتساوية لكل الذين أجب تهم الضرورة للاستغاثة بنا. ومن أحب هذه البلاد واختار الإقامة فيها.

نحن أبناء الحضارة التي احتوت رقمها الأثرية على أفكار عظيمة كمقولة: (اكسر سيفك واحمل معولك واتبعني لنزرع الأرض). ومقولة: (لا تحتقر إلها يعبد غيرك). نحن الورثة الشرعيين لثقافة المحبة والتسامح والعيش المشترك. كيف نسمح لفايروس الصراعات والعنف والتمييز والقتل على الهوية دون ذنب أن يتسلل إلى عقول بعض أبناء هذا المركز الحضاري الإنساني العريق.؟!!

نحن بلاد العقل الحر المبدع المعطاء. لا يصح بأي معيار أن نتحول إلى بلاد النقل والتبعية الدوغمائية وتغيب أحكام المنطق المتناسك السليم. كنت ومازلت أدعو لإعادة المراجعة النقدية المعرفية الواعية لتاريخ بلاد الشام. وإعادة صياغة روحها العميقة العريقة بلغة العصر القابلة للتطبيق الإيجابي في حياتنا اليومية. وتقديم الرؤية العقلانية الواضحة لمشروع بناء الدولة الوطنية الإنسانية المدنية الحديثة. دولة الحق والعدل والمواطنة وسيادة القانون.

بلاد الشام هي الحاضرة الأولى في تاريخ العالم. وأنا شخصياً أدعو العالم المتمدن والمنظمات الدولية المتخصصة للمساعدة بإعادة إحياء هذا الميراث التاريخي. الذي اعتبره رصيذا معرفيا كونيا لكل البشر على كوكب الأرض. أدعو بنزاهة لإحياء اللغات والثقافات والعقائد والديانات القديمة التي تعاقبت على هذه المنطقة التي تقع في قلب العالم. لأن هذا الإنتاج المعرفي المتراكم هو ملك مشروع للناس جميعاً. إن الإنسانية الكونية الشاملة المتناغمة المتكاملة هي الحل العقلاني الحقيقي لكل مشاكل الإنسان على هذا الكوكب الجميل. والصراعات المتعددة الأشكال والمبررات والأهداف ماهي إلا امتداد لخالة التوحش التي تنحط بقيمة الإنسان إلى الحالة البهيمية. إن الاستثمار العقلاني لموارد الأرض وثرواتها يجعلها تكفي برفاهية عالية لأضعاف عدد سكان العالم الآن. فلماذا وعلى ماذا نتصارع؟! إن حوار الحضارات والعقائد والديانات القائم على مبدأ التناغم والتكامل بدلا من التضاد والتصادم يجعل كوكبنا الجميل جنة تتفوق على الخيال الطليق. وعلى كل إبداعات المخيلة البشرية.

إذا عدنا إلى الجذر التاريخي لأسباب الصراعات نجد. أن الملكية الخاصة والسلطة والثروة والشهرة والامتلاك الجنسي للمرأة دون حب شكلت كلها عوامل وحوامل للعنف والصراعات. إذا كان لذلك ما يبرره في الإمبراطوريات والسلطات القديمة فقد فقد مبرره مع التطور التكنولوجي والتراكم المعرفي الهائل لمفاهيم السلطة والثروة، وال شهرة، والدولة والحب. التطور التاريخي في البلدان المتقدمة أتاح لكل إنسان حرية التعبير عن ذاته وإبداعه ودوره الاجتماعي. فلماذا لا نبدع تسويات تاريخية تقوم على المحبة والسلام والإخاء والتسامح...؟!

الهوية الإنسانية الكونية هي الأصل وهي تعكس حالة الوعي الإنساني الكلي الشامل. حددت رؤيتي للحياة منذ زمن سحيق. هذه الرؤية هي إنسانية كونية عابرة للديانات والقوميات. ترى أن الإنسانية الشاملة هي الحل. فشلت كل العقائد والديانات والأيديولوجيات حتى الآن بإيجاد حلول جذرية لبقاء الحياة البشرية وازدهارها على كوكب. ربما لأن كل تلك العقائد بدأت من إقرار مبدأ التناقض والصراع. وأهملت مبادئ التكامل والمحبة والسلام والعيش المشترك والعمل المشترك لخلق جنة الإنسان على هذا الكوكب المقهور المدمر بسبب توحش وتغول بعض أبناء الجنس البشري على بعضهم الآخر.

قام الفلاسفة والمفكرون بدراسة المراحل التاريخية لتطور النظم الاجتماعية السياسية الاقتصادية كم هي الواقع المعاش. لكن أحدا منهم لم يتصدّق لتقديم رؤية إنسانية كونية شاملة لما يمكن أن يكون.

إن مبدأ الغائية النبيلة يكاد يغيب عن فكر وممارسات القوى التي تهيمن على العالم. غياب هذا المبدأ الإنساني العظيم المرتبط بالوعي والإرادة والحرية والأهداف العظيمة. يجعل العقائد والديانات والنظم السياسية ضعيفة القيمة جدا بالمعنى الإنساني الحر الواعي والهادف. ليس معقولا ولا مقبولا أن يعيش الإنسان بلا هدف نبيل وغاية سامية. العالم كله يحتاج لمزيد من السمو والارتقاء والروح الإنسانية الجامعة.

وماذا بعد؟! لقد حققت الدول العظمى المهيمنة على النظام العالمي ثقافيا سياسيا أمبيا واقتصاديا قفزات هائلة في التطور التكنولوجي وإمكانية السيطرة على الطبيعة. لكن للأسف العالم يعيش حالة مرعبة من الفوضى المنظمة والانهايار الأخلاقي. تتصاعد أرقام ثروات الأثرياء في هذا العالم الذي يدعي التمدن والحضارة وحماية الحقوق الطبيعية للأفراد والمجتمعات. وتتصاعد معها أرقام الخراب والقتل والدمار والمجاعات المرعبة. فكيف يمكن أن يصح ذلك بمعايير العقل والضمير في عصر العولمة والقرية الكونية.؟!

يختلف العقلاء الشرفاء لكنهم لا يتخاصمون ولا يتصارعون، أميل للقول دائما: لا يقتل عاقلان. من يحكّم العقل لا يمكن أن يمارس القتل والتوحش. الناس جميعا بكل المعاني العلمية والدينية والفلسفية من أصل ومنشأ واحد. أما تعدد الأشكال والألوان والأعراق والثقافات فهو غنى ورصيد مشترك للجميع. الإنجازات المعرفية العظيمة هي ملك للبشرية كلها. أرى نفسي شريكا بكل ما يبده العقل البشري النزيه الحر بحكم انتمائي لشجرة الإنسانية الكونية.

نحن جميعا نحتاج نظاما عالميا إنسانيا جديدا. عالم تحكمه قوة القانون المدني الأخلاقي. لا قانون القوة المفرطة والتوحش. عالم محكوم بالمبادئ والقيم والمثل العليا والإرادة الجماعية المشتركة. وغير محكوم بالمصالح والإرادات المنفردة. واكتناز فائض الثروة والقوة الذي يستخدم دائما خارج إطاره الإنساني العقلاني النزيه.

إذا كانت ضرورات الوجود والبقاء قد فرضت على المجتمعات البدائية حالة من العزلة والخوف من الآخر لأسباب موضوعية وذاتية تتعلق بمحدودية الوعي والقدرة على إنتاج الكفاية والرفاهية للجميع. فإن هذه الضرورة تنعدم مع التطور العلمي والإنتاجي الهائل

لل بشرية في العصر الراهن. أجزم أن بوسع القوى العظمى لو توحدت الإرادات النبيلة الواعية والموارد الفائضة أن تجعل كوكبنا المنكوب جنة تفوق الخيال والقدرة على التخيل. الوعي المحدود المرتبط بزمان ومكان محدودين أيضا هو وعي لا يليق بإنسان القرن الواحد والعشرين والألفية الثالثة. علينا جميعا أن ننجز قفزة فكرية معرفية وجدانية أخلاقية تواكب التطور العلمي وتقوده. العلوم التطبيقية عمياء. وربما تكون مدمرة إذا غابت عنها الفلسفة الإنسانية الكونية التي ترسم طريق تطبيق العلم واستخدام تقنية المعلومات من أجل عالم أبقي وأرقى. وإنسان أسمى وأنقى.

وحدانية الخالق ووحدة الخلق هو الهدف الأسمى الذي أسعى إليه. ليس للعقل البشري الحر الناضج حدودا لازمانية ولا مكانية ولا عرقية ولا دينية. العقل المبدع الحر عابر للديانات والقوميات والجغرافيا. كل فكر ليس كونيا شاملا هو فكر آني محدود محدد بالزمان والمكان والشروط. أما وقد بلغ العالم هذا المستوى من التطور العلمي والثورة التكنولوجية الهائلة والذكاء الاصطناعي فالمطلوب الآن هو عقلنة وأنسنة العلم قبل أن ينقلب السحر على الساحر. وقبل أن نصل بفعل ما أبدعه الإنسان إلى كارثة كونية تدمر الحياة على كوكب الأرض المطلوب الآن هو التنظيم الإنساني الموجه لفائض القوة والثروة والطفرة التكنولوجية. ببساطة نحن نحتاج نظاما عالميا إنسانيا شاملا يقود التراكم المدهش للإنتاج المادي والمعرفي. على النخب الثقافية في العالم أن تقدم رؤية لصياغة عالم جديد يليق بالقيم المعنوية والروحية للإنسان بعد أن بلغ الإنتاج المادي مداه الأقصى. العالم كله أم خطر كبير مالم تعمم الثقافة الإنسانية الشاملة. وهذا المشروع التاريخي العظيم يقتضي مساهمة كل الحكومات والقوى العظمى في العالم لخلق حالة كونية محكومة بالثقافة الإنسانية الكونية. وكي لا يبقى الأمر أقرب للمواعظ والحكم التي يتناقلها الناس دون أن يطبقوها في الحياة المعاشة فلا بد من تطوير المنظمات الدولية بإرادة جماعية. لتكون قادرة على ممارسة هذا الدور الإنساني الكوني. نقل العالم كله إلى قمة جديدة من التطور النفسي السلوكي تواكب التطور العلمي التطبيقي وتقوده. إن وضع حد لتغول الإنسان على أخيه الإنسان وتغول الأمم القوية على الأمم الضعيفة هو مطلب ملح وضرورة تاريخية لا بد من إنجازها لبقاء الحياة.

يهتم العالم المتقدم الآن بالحفاظ على التنوع البيئي للنباتات والحيوانات والحشرات والطيور. ولا يبذل جهدا يذكر لحماية التنوع البشري. للأسف تماما العكس هو الذي يحصل.

العالم غارق في صراعات عرقية دينية وصراعات عنيفة على السلطة والثروة والنفوذ قد لا تترك مجالاً لبقاء الحياة على هذا الكوكب المنكوب.

التنوع غنى. تعدد الرؤى ومصادر المعرفة هو إغناء للإنسانية. وليس إفقاراً لها. نحتاج عالماً من المساواة وتكافؤ الفرص والتحرّيز على العطاء والإبداع وقبول الآخر لتعيش كل الأعراق والعقائد والديّات تحت رايات المحبة والسلام والأخوة الإنسانية. العالم العظيم حقاً هو العالم الذي يتمتع بالوحدة والتنوع.

شرفني جداً أن يكلفني المفكر السوري الإسلامي الإنسانى الحر الدكتور محمد حبش بكتابة بحث في مفهوم ومعنى الأخوة الإنسانية. أتفق معه على هذا المبدأ منذ التقينا. جمعتنا معاً المأساة السورية في بداياتها الأولى. حاولنا بصدق ونزاهة أن نفعل شيئاً لأهلنا وبلادنا وللإنسانية الكونية. لكن لم يكن بالإمكان أفضل مما كان. أثق أننا سنبقى نحاول معاً أن نصوغ مشروعا وطنيا سوريا إنسانيا يجعل بلادنا منارة لثورة إنسانية أخلاقية سلمية جديدة. نريد أن نعيد لهذا المركز الحضاري دوره الريادي التنويري التاريخي. أحلم أتمنى وأعمل كي يكون الشرق الأوسط الجديد وفي القلب منه سورية مركزاً جغرافياً حضارياً للأخوة الإنسانية. نريد أن تنتهي الحروب والنزاعات. ونعمل بصدق لتكامل الحضارات والعقائد والديانات تحت الرايات البيضاء للإنسانية الكونية.



عماد دعبول

معماريٌّ سوريٌّ مقيم في دولة قطر، اتخذ من العمارة طريقاً إلى سؤال المعنى، ومن الفكر أفقاً لفهم الإنسان في علاقته بالكون والروح. تلقى تكوينه الأكاديمي في العمارة الداخلية والتصميم، وتوسّعت دراساته عبر حقول الفلسفة، والأديان المقارنة، والفكر الإنساني في جامعات وتجارب معرفية متعدّدة، لا بوصفها تراكمًا للشهادات، بل بوصفها رحلة بحثٍ عن وحدة المعنى خلف تنوّع الصور.

يكتب عماد دعبول ضمن مشروع فكريٍّ موسوعيٍّ متكامل يتمحور حول الإنسان الكوني بوصفه مركز الاستخلاف والمعنى، جامعاً بين النصّ الديني، والتأمّل الصوفي، والتحليل الفلسفي، ومقاربات العلم الحديث. صدر له عدد من الكتب التي تشكّل معاً بنية واحدة متّصلة، من أبرزها: موسوعة نقد نظرية الفوضى وجوهر الفرد، الإنسان الكوني، الخيمياء الكبرى - الجزء الأول، جلعامش وإنكيدو: الكتاب الذي بكى فيه الإنسان أول مرة، ومن حيث توقفنا منذ ألف عام.

ويعمل حالياً على عدد من المشاريع الكبرى قيد الإعداد والطباعة، في مقدّمها موسوعة سفر الخلق الخفي في اثني عشر جزءاً، وهي مشروع كونيّ يعيد قراءة رحلة الوعي الإنساني من الأسطورة إلى العلم، ومن الرمز إلى المعنى، مروراً بالحضارات الكبرى. كما يعمل على مشروع الأسطورة وبناء التاريخ بأجزائه المتعدّدة، ساعياً إلى تحرير التاريخ من الاختزال،

وقراءته بوصفه ذاكرة وعي لا سردًا سياسيًا فقط. وإلى جانب ذلك، ينجز مشروع مصر العظيمة بأجزائه المختلفة، حيث تُقرأ الحضارة المصرية القديمة بوصفها معمارًا للوعي والخلود، لا مجرد أثر مادي أو لغزٍ تقني.

وفي امتدادٍ تطبيقيٍّ لرؤيته، يعمل دعبول على مشاريع فكرية - عمرانية من بينها: سوريا الممكنة، قطر الممكنة، القرية المستقلة، ومدن المستقبل الحيّة، حيث يمزج بين الهندسة الحيّة ما بعد الذكية والرؤية الفلسفية والروحية، واضعًا الإنسان في قلب المكان، والمدينة في مقام الضمير، والعمران بوصفه فعلًا أخلاقيًا قبل أن يكون منتجًا تقنيًا.

تقوم رؤية عماد دعبول على الثقة العميقة بقدرة الإنسان على استعادة فطرته الأولى، وعلى الإيمان بأنّ الأديان والفلسفة والحكمة ليست نهايات مغلقة، بل جسور عبور نحو معنى أوسع، تُستعاد فيه المصالحة بين العقل والقلب، وبين الإيمان والإنسان، في أفقٍ إنسانيٍّ جامع.

**في مدارج الإخاء الإنساني
تأملات صوفية في رسالة
الدكتور محمد حبش**

شهادة من قلب الفكرة

لم أعرف الدكتور محمد حبش في مقاعد الدراسة، ولا في فهارس الفقه وأبواب الجدل، بل عرفته في ذلك الصوت النادر الذي قال عن الله ما لم يقله أحد: أنَّ الرحمة أوسع من الانتماء، وأنَّ الحب أصدق من التصنيف.

لم أقرأه بعين الباحث وحدها، بل سمعته بقلبٍ يبحث عن الله في الإنسان، لا عن الإنسان في المذاهب. كان فكره جسراً يمرّ عليه الحائرون نحو نورٍ يطمئن ولا يدّعي، وكان صوته دعاءً يذكّرنا بأنَّ الإيمان لا يُقاس بالعدد، بل بالاتساع.

هذا النصّ ليس مقالاً، بل صدى لما أيقظته كلماته في داخلي، وهو حنينٌ إلى الدين كما تمنيتُ أن يكون: ديناً يضمّ القلب قبل أن يحكم العقل، ويعفو قبل أن يُدين، ويحبّ قبل أن يفرز. إن كنتُ قد كتبتُ عنه، فذلك لأنّه كتب عن الإنسان فيّ، قبل أن يعرف اسمي، ولأنّ فكره أعادني — دون أن يدري — إلى الله من جهة القلب، لا من جهة النصّ.

تمهيد: حين يصير الفكر دعاء

ما الفكرُ إن لم يُفضِ إلى حبّ؟ وما الدينُ إن لم يُشفي الكسر في قلب الإنسان؟ في زمنٍ جفّت فيه ينابيع المعنى، وامتلأت فيه الساحات بصراخ الهويات المتنازعة، يأتي صوتُ الدكتور محمد حبش لا كواعظٍ فوق المنبر، ولا كمفكّرٍ في صومعة، بل كمن يسير في الطرقات باحثاً عن قلبٍ لم تلوثه الكراهية بعد. إنه لا يعرض مذهباً فكرياً فحسب، بل يهمس بنداءً قديم في القلب: تعالوا إلى رحمة الله في بعضكم، إلى الله الذي أحبّ الإنسان قبل أن يخلقه، وجعله مرآةً لوجهه في الأرض.

هذا النداء الذي يخرج من قلب عرف الله بالمحبة لا بالخوف، يوقظ فينا السؤال الجوهرى: هل يمكن أن يكون الإيمان طريقاً إلى الله من جهة القلب، لا من جهة السيف؟ إنها دعوةٌ إلى استعادة الينابيع الأولى للدين، حين كان وجداناً قبل أن يتحوّل إلى منظومة، وسلوكاً نحو الآخر قبل أن يصبح خطاباً إقصائياً. فكلّ ما لا يقود إلى الحبّ ليس من الله، وكلّ ما لا يخفّف

وجع إنسان واحد ليس من الدين.

«الإيمان ليس طقوساً تحفظها الألسنة، بل محبةٌ تُنقذ القلوب من القسوة.»

الدين للإنسان

«لقد آن لنا أن نعيد الدين إلى وظيفته الكبرى: صناعة الرحمة في الأرض، لا صناعة الكراهية باسم

السماء.»

الإنسان: مرآة الروح الإلهية

يرى الدكتور حبش في الإنسان إشراقةً من نور الله، لا مجرد مخلوق يُحاكم، بل كائنًا يُحتفى به . فكل نفس بشرية، في مشروعه، تحمل بذرةً من المحبة الإلهية، ولا يليق بالدين إلا أن يُوقظ هذه البذرة، لا أن يُطفئها بالتخويف أو العزل أو الإقصاء. من هنا، لا يكون الإخاء الإنساني مجرد تسامح بين العقائد، بل انكشافاً للوجه الواحد الذي تتجلى فيه الأديان جميعاً إذا خلعت ثوب الاسم، ولبست عباءة القلب. هو لا يدعو إلى وحدة النصوص، بل إلى وحدة الأرواح في ميدان الرحمة، حيث لا فضل لعقيدة على أخرى إلا بما تصنعه من حبٍّ وخيرٍ وعدلٍ في العالم .

الرحمة أصل الوجود

ليس الله في فكر الدكتور حبش قاضياً فوق السحاب، بل حبيبٌ يسكن في كل قلب عرف معناه . ومن هنا، لا تعود الشريعة سيفاً، بل طريقاً تُعبد فيه الطرق إلى المحبة. لقد نزل الوحي لا ليكسر الإنسان بل ليقيمه، لا ليهدي جماعةً دون أخرى، بل ليقول لكل الخلق :
«كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف.» فصار الإنسان مرآة هذا الكنز .

لهذا لا يرى الدكتور حبش في الأديان جدراناً تفصل، بل أنواراً تتكامل؛ فالمسيح يفتح الطريق بالمحبة، ومحمد يُتممها بالرحمة، وكل نبي هو تجلٍ لاسمٍ من أسماء الله في الوجود .

من العقل إلى القلب

مشروع الإخاء الإنساني لا يقوم على الجدل، بل على السكينة التي يعرفها العارفون حين يسكن المعنى في القلب. هو نداءٌ ناعمٌ لا يصيح في وجهك، بل يربّت على كتفك :
- لا تخف، الله لم يكن يوماً حكراً لأحد . - لا تيأس، فما ازل في الأرض من يعرفه لا من اسمه، بل من أثره في عيني طفل، أو يد أمٍّ، أو كلمةٍ عابرةٍ لم يعرفك لكنه دعا لك .
إنه مذهب لا يتوسل السلطة، ولا يطلب الغلبة، بل ينادي الإنسان أن يرجع إلى مقامه: عبداً لله،

وأخًا للناس، ومراًة للنور .

هذا النداء لا يتوجه إلى العقل الجدلي، بل إلى القلب الواعي الذي يذوق المعنى قبل أن يحاكمه. فالعقل، في نظر الدكتور حبش، أداة للتمييز لا للإدانة، وسُلَّم إلى معرفة أعمق، حيث يتحد الفكر والوجدان.

من هنا، يصبح الإيمان تجربةً وجدانيةً شاملة، لا تُقاس بالاستدلالات، بل بالطمأنينة. وحين يسكن الله في القلب، لا يعود الإنسان بحاجة إلى صراخٍ يثبت وجوده، لأنَّ النور حين يحضر يغيب السؤال عن الظلام.

«العقل يدلك إلى الباب، والقلب يُدخلك إليه.»

— القرآن والإنسان

«الجدل الديني لا يُورث إلا البُغض، أما التأمل في محبة الله في خلقه فيورث السلام»

الإخاء كمقام في الوعي

لست بحاجة أن تكون مسلمًا، أو مسيحيًا أو درزيًا أو علويًا أو يهوديًا لتكون إنسانًا في ميزان الدكتور حبش . يكفي أن تكون قلبًا نابضًا، كي يُناديك هذا المشروع: تعال، فالله لم يخلقك إلا لتكون موضع رحمته، لا هدفًا لغضبه . في هذا المعنى، يتحوّل «الإخاء» من قيمة اجتماعية إلى مقام روحيّ، لا يبلغه المرء بكثرة المواعظ، بل بكثرة الاندهاش من الجمال في الآخر، وبقلبٍ يُصدّق أنّ كلّ روحٍ حوله هي احتمالٌ للقاء الله .

نقد من داخل الحب

ورغم جمال هذه الرؤية، فإنَّ السير في دربها محفوفٌ بالعقبات؛ لأننا نعيش في زمنٍ تمّ تأثيث الوعي فيه بالخوف لا بالحبّ، وبالحدود لا بالأنوار . ولهذا فإن مشروع الإخاء الإنساني لا يُمكنه أن ينتصر بالكلمات فقط، بل عليه أن يُبنى أيضًا في التعليم، في العمارة، في الإعلام، في لغة الأمّهات، وفي نبرة الدعاة .

فلكي نغرس شجرة الرحمة في الأرض، نحتاج إلى ماء الحكمة، وموارد العلم، ونسمة العدل، لا إلى سيفٍ ولا جدار .

خاتمة: الله أقرب من الدم

في النهاية، ما يفعله الدكتور محمد حبش، في رسالته ومركزه وبرامجه، ليس أقلّ من محاولة لاستدعاء الله من الصورة إلى الحضور، من الحرف إلى الروح . وهو في ذلك لا يطالبك أن تُغيّر دينك، بل أن ترى نور دينك في دين الآخرين، وأن تفهم أنّ كلّ إنسانٍ تراه ربما كان تجلياً من تجليات اسمٍ من أسماء الله .

حين تفهم ذلك، لا تعود تسأل: من أنت؟ بل: من فيك؟

ولا تقول: هذا لي وهذا عليك، بل: نحن من نورٍ واحد، وإن تنوّعت الألوان .

وحده الحبُّ من يعرف الله . وحده الإخاء من يعيد بناء العالم .

((ما خُلق الإنسان ليكون خصماً للإنسان، بل ليكون شاهداً لله في الأرض. وكلّ كلمة تُصلح بين

قلبين، هي صلاة مقبولة في السماء.))

— من كتاب «نحو إنسانية إسلامية



كمال صلاح

كمال هايل صلاح، رجل أعمال سوري مقيم في دولة الإمارات منذ 27 عاماً. يتمتع بخبرة واسعة في مجالات الإدارة والتجارة والاستثمار. عرف بالتزامه المهني وعلاقاته الواسعة داخل مجتمع الأعمال في الدولة.

كتب كمال صلاح كثيراً في المشترك الإنساني، وقد جمعته بالدكتور حبش منصات متعددة شارك فيها في تقديم رؤيته للإنسان كنفحة منحها الله للحياة، ولا زال فيها سره وأمره ونوره. لم ينشر صلاح كتباً، ولكنه كان شريكاً في ولادة كتب كثيرة، وقد مارس حساً نقدياً متميزاً وأسهم في بلورة المذهب الإنساني بوصفه حاجة مجتمعية وشعبية وأخلاقية، خاصة من مكانه في رسالة المسؤولية في مجتمع بات على مشارط التقسيم والفوضى، تتنازعه كل أوهام الفوضى والطائفية وانتهاك حقوق الإنسان.

صلاح يعيش مهموماً بالإنسان، مؤمناً بالسر الكامن فيه مراهناً على القيم الإنسانية كحل حقيقي للمأساة السورية بعد أن أسهمت الفئويات والحزبيات في تمزيق ما تبقى من كيانه الإنساني.

قراءة نقدية في مشروع
الإخاء الإنساني والمذهب الإنساني
للدكتور محمد حبش

يمثل مشروع الإخاء الإنساني الذي يطرحه الدكتور محمد حبش واحدًا من أبرز المحاولات الفكرية الجادة في العالم العربي والإسلامي لإعادة بناء الوعي الديني على أسس جديدة، قوامها العقلانية والرحمة والكرامة الإنسانية. فهو مشروع يواجه تحديات الفكر الديني التقليدي من جهة، وتحديات الحداثة المادية المتطرفة من جهة أخرى، محاولاً أن يؤسس لرؤية وسطية تنطلق من الإنسان وتعود إليه، ضمن إطار إيماني رحب يفتح أبواب الحوار لا الجدل، والتفاهم لا الصدام

أولاً: الإطار المفاهيمي للمذهب الإنساني؛

يستند المذهب الإنساني كما يقدمه الدكتور حبش إلى فكرة جوهرية مفادها أن الدين في أصله رسالة رحمة للإنسان، وأن جوهر الرسالات السماوية لا يكمن في الانتماءات الضيقة، بل في القيم الكونية الكبرى كالعدل، والحرية، والمحبة، والتعاون. ومن هنا فإن هذا المذهب لا يسعى إلى نسخ الأديان أو تجاوزها، بل إلى إحياء جوهرها الإنساني الذي ضاع تحت تراكمات التاريخ وسجلات المذاهب. وفي هذا الإطار، يقدم الدكتور حبش قراءة متقدمة للنصوص الدينية، تعيد الاعتبار إلى البعد المقاصدي في التشريع، وإلى سلطة العقل في فهم النص، وهو ما يجعله امتداداً فكرياً لجهود المصلحين الكبار من أمثال الأفغاني وعبد الكواكبي، مع اختلاف الزمان وتنوع أدوات الخطاب

ثانياً: نحو دين للإنسان لا إنسان للدين

من أهم الأفكار النقدية في مشروع الدكتور حبش دعوته إلى تحرير الدين من الاحتكار المذهبي، وتخليصه من الصراع السياسي الذي شوّه صورته عبر القرون. فهو يرفض أن يكون الدين هوية صراعية تُفرّق بين الناس، بل يراه منظومة قيم تهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وهنا يكمن عمق المشروع الإنساني الذي يطرحه: أن الإيمان الحقيقي ليس في التفاضل بين العقائد، بل في القدرة على خدمة الإنسان أيّاً كان انتماءه. وهذا التوجه، وإن بدا للبعض طوباوياً أو مثالياً، إلا أنه يعيد للخطاب الإسلامي توازنه المفقود بين الإيمان والعقل، بين العبادة والعمران،

بين الفرد والإنسانية. فالمذهب الإنساني كما يشرحه حبش هو محاولة لتصحيح انحراف الوعي الديني نحو الشكل على حساب الجوهر، ونحو الطقوس على حساب القيم.

ثالثاً: النقد البناء للفكر الإنساني الديني

رغم ما يحمله مشروع الإخاء الإنساني من عمقٍ فكري وبعْدٍ أخلاقي، إلا أنه لا يخلو من تحديات فكرية ومنهجية تحتاج إلى النقاش والتقويم. فالمسألة الجوهرية تكمن في كيفية التوفيق بين النزعة الإنسانية الكونية التي يتبناها المشروع، وبين المرجعية الدينية الخاصة التي ينطلق منها الإسلام. إذ قد يُثير هذا التوجه تساؤلات حول حدود التوفيق بين العالمية والخصوصية، بين ما هو إنساني شامل وما هو إيماني محدد بالإطار الديني. لكن المتأمل في منهج الدكتور حبش يدرك أنه لا يسعى إلى تمييع الهويات أو إلغاء الخصوصيات، بل إلى تحقيق توازنٍ بين الانتماء الديني والانفتاح الإنساني. فهو يدعو إلى أن يكون المسلم أكثر إيماناً بإنسانيته، والمسيحي أكثر محبة في إيمانه، والإنسان عموماً أكثر وعياً بمسؤوليته الأخلاقية تجاه أخيه الإنسان.

رابعاً: التجسيد العملي عبر مركز الإخاء الإنساني

يتميز هذا المشروع بكونه لم يبقَ في حدود النظرية أو الفكرة الفلسفية، بل اتخذ شكلاً مؤسساتياً من خلال مركز الدراسات لبحوث الإخاء الإنساني، الذي يجمع نخبة من الباحثين من مختلف الاتجاهات الفكرية. وقد نجح هذا المركز في أن يكون منبراً للتفكير المشترك، ومساحة للحوار بين المذاهب والأديان والثقافات، في وقتٍ تتسع فيه الفجوات ويضيق فيه أفق التسامح. إن تحويل الفكرة إلى مؤسسة بحثية حية هو في ذاته إنجاز فكري؛ لأنه يضع الفكر الإنساني في مسار التطبيق العملي، ويُخرجه من دائرة الوعظ الخطابي إلى فضاء العمل المجتمعي والمعرفي المنظم.

خامساً: القيمة النقدية للمشروع في الفكر العربي المعاصر

يمثل المذهب الإنساني الذي يتبناه الدكتور حبش تحدياً صريحاً للموروث المغلق الذي حَصَرَ الدين في الشعائر والحدود، وتجاهل رسالته الكبرى في بناء الإنسان. وفي المقابل، يواجه المشروع تحدياً آخر من التيارات المادية التي تنزع إلى إقصاء الدين تماماً عن المجال العام، ما يجعله يقف في منطقة فكرية دقيقة بين نقضين: الجمود والتفريط. وهنا تتجلى قيمة المشروع النقدية، إذ يدعو إلى تجاوز الانقسامات التقليدية بين «العلماني» و«الديني»، ويقترح بديلاً ثالثاً يقوم

على الروح الدينية المنفتحة على العقل والواقع. إنه فكرٌ يؤمن بأن الإيمان لا يتناقض مع الحرية، وأن الوحي لا يُلغي دور العقل، وأن الرسالة الدينية ليست وصاية على البشر، بل دعوة إلى رشدهم واختيارهم الواعي.

سادساً: آفاق تطوير المشروع

من منظور نقدي بناءً، يمكن القول إن مشروع الإخاء الإنساني بحاجة مستمرة إلى توسيع أدواته البحثية والمجتمعية، وإلى إشراك مزيد من العلماء والمفكرين من خلفيات متنوعة، بما يُغنيه عن الطابع الفردي ويُعزز طابعه المؤسسي. كما يحتاج إلى تفعيل بعده التربوي والإعلامي، ليصل إلى الجيل الجديد الذي يواجه خطاباً مشوّشاً بين التطرف واللامبالاة. فالمشروع في جوهره حركة وعي، وكي ينجح عليه أن يخاطب العقول الحديثة بلغةٍ عصريةٍ وأدواتٍ مقنعة.

سابعاً: خلاصة الرؤية

يمكن القول إن مشروع الإخاء الإنساني الذي يتبناه الدكتور محمد حبش هو صرخة وعي في وجه الانقسام، ودعوة شجاعة لاستعادة المعنى الحقيقي للدين بوصفه طريقاً إلى الإنسان لا سلاحاً ضده.

إنه مشروع يذكّرنا بأن الله لا يُعبد بالكرهية، وأن العدالة والرحمة ليستا خياراً أخلاقياً فحسب، بل هما جوهر الإيمان ذاته. ولعل القيمة الكبرى لهذا المشروع تكمن في كونه يفتح الباب أمام جيلٍ جديدٍ من المفكرين المؤمنين بأن الدين يمكن أن يكون مصدر نهضةٍ وسلام، لا عائقاً أمام الحرية والتعددية. وإذا كان لكل عصرٍ مصلحوه، فإن الدكتور محمد حبش يمثل في زماننا هذا نموذجاً للمصلح الذي يواجه التعصب بالحكمة، والانغلاق بالمعرفة، واليأس بالأمل. إن المذهب الإنساني ليس مذهباً جديداً بالمعنى العقدي، بل هو بعثٌ جديدٌ للروح الأولى في الدين، تلك التي قالت: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». ومن هنا فإن هذا المشروع يستحق الدراسة والنقد والتطوير، لأنه مشروع أمةٍ تبحث عن إنسانها المفقود، ودينٍ يستعيد رسالته الأولى في خدمة الحياة

د. عائشة الحكيم

الدكتور عائشة الحكيم أستاذة في اللسانيات في كلية الأدب العربي، من حي الميدان في دمشق، تخصصت في الدراسات الصوفية والعرفانية، وأسهمت في كتابة الموسوعة الإسلامية الميسرة، ونشرت مقالاتها وأبحاثها في عدة منصات بحثية، ومن أشهر دراساتها الأفق العرفاني في الفتوحات المكية لابن عربي.

تري الدكتور الحكيم أن الدعوة التي ينشرها الدكتور الحبش لإحياء المذهب الإنساني في الإسلام ليست إلا إحياء لعلوم الدين الراسخة التي تراكت عليها ظنون القرون فأخرجتها عن مسارها في الهدي النبوي الحكيم.

وتؤكد الدكتور الحكيم أن ما يخوضه الدكتور حبش في الانفتاح نحو الخطاب العالمي وبناء الجسور الفعالية لتبادل الحضارة والثقافة والإشراق هو جوهر الرسالة الإسلامية وهو الغاية التي جاء يبشر بها الأنبياء، فالإسلام ليس صدامًا مع الأديان الأخرى، بل هو قيمة مضافة لها.

يؤمن حبش بأن الأديان تحتوي على حكماء ومصلحين، ويشجع على تقبل أفضل ما في كل دين وتجاوز سيئاته، وهو يرفض فكرة استعلاء دين على دين أو أمة على أمة أو نبي على نبي، ويذكر دوماً بموقف الرسول الكريم حين كان يقول: لا تخيروني على الأنبياء، وأنه لبنة في بنيان الأنبياء، يتكامل معهم ويصدق ما بين يديه من التوراة والإنجيل.

**إخاء الأديان وكرامة الإنسان ..
قراءة في المذهب الإنساني
عند الدكتور حبش**

أطلق الدكتور حبش رسالته في الإخاء الإنساني وتنوير الخطاب الديني من داخل المؤسسة الدينية وهذا ما يجعل خطابه أكثر تأثيراً وأكثر تحدياً ففي آن واحد، فهو ابن المدرسة الدينية وقد نشأ فيها وعرف في المجتمع السوري كقارئ شهير للقرآن يستمع له الناس في كل مكان، وقد دخل حقل الإعلام مبكراً وكانت له برامج مسموعة ومرئية كصوت إسلامي واعد، وخطيب وإمام معروف وقد انتخب رئيساً لجمعية أرباب الشعائر وهي الجمعية الوحيدة والرئيسية لرجال الدين في سوريا، وقد منحه هذا الانتشار فرصة الوصول بسهولة إلى مجلس الشعب السوري، وقد أفاد من هذه النجاحات بأن وفر لرسالته في الإخاء الإنساني فرصة انطلاق مؤثرة وواعدة.

مع هذه البداية فإن خطابه التنويري جاء صادماً للتيار المحافظ التقليدي، وتعرض بسبب ذلك لمواجهات حادة مع رجال الدين، حتى إن مؤسسته التي نشأ فيها وعمل فيها وهي مؤسسة عمه الشيخ كفتارو اتخذت موقفاً شديداً من أفكاره ٢٠٠٣، وقد أيدها في ذلك بشدة الشيخ البوطي وعدد من المشايخ المشهورين آنذاك، ولكن حبش استطاع أن يعبر هذه الأزمة دون أن يصطنع معارك مع التيار المحافظ حيث حافظ على احترام معقول وقد وفر له ذلك فرصة الحديث بحرية وجرأة عن مشروعه الفكري الثائر على الكهنوت والتزمت والداعي إلى الحرية واليسر والرحمة.

يُعرف الدكتور حبش بتوجهه المعتدل في فهم الإسلام، حيث يؤمن بضرورة التجديد الديني والتفاعل الإيجابي مع الأديان الأخرى. أسس مركز الدراسات الإسلامية في دمشق، وشارك في تأسيس رابطة «كتاب التنوير»، التي تهدف إلى تعزيز الفكر الإسلامي المنفتح والمتجدد.

على الصعيد الشخصي، يُعتبر الدكتور حبش نموذجاً للأب المثالي. فهو متزوج وأب لخمس بنات ناجحات في مجالاتهن المختلفة، مما يعكس التوازن بين التزامه الفكري ودوره الأسري.

من خلال مشروعه الفكري، يسعى الدكتور حبش إلى تقديم نموذج إسلامي معتدل ومتجدد، يعزز من قيم التسامح والتعايش بين الأديان، ويُسهّم في بناء مجتمع قائم على العدالة والكرامة الإنسانية.

منهج الإخاء الإنساني

يتبنى الدكتور محمد حبش مفهوم «إخاء الأديان» الذي يهدف إلى بناء علاقات من الأخوة والمحبة بين أتباع الأديان المختلفة. يركز هذا المنهج على الاعتراف بكرامة الإنسان وتقدير الأديان الأخرى، مع التأكيد على أن الإسلام ليس صداماً مع الأديان الأخرى، بل هو قيمة مضافة لها. يؤمن حبش بأن الأديان تحتوي على حكماء ومصلحين، ويشجع على تقبل أفضل ما في كل دين وتجاوز سيئاته.

ويعتبر الدكتور حبش من أبرز المفكرين في مجال تجديد الفقه الإسلامي. تبنى مشروعاً للتجديد الديني يشمل رفض احتكار الخلاص، وتجديد فقه المرأة في الإسلام، وذلك ضمن برنامج حيوي لإعادة تطبيق قواعد أصول الفقه وفق رؤية تجديدية تختار أجود ما في الماضي وتضمه إلى أجود ما في المستقبل من الوعي الديني المتجدد.

وقد أطلق الدكتور حبش مشروعاً فكرياً تحت عنوان «إخاء الأديان وكرامة الإنسان»، يهدف إلى تعزيز التسامح والتفاهم بين الأديان. في كتابه «إخاء الأديان»، يقدم مراجعة للأصول المؤسسة لهذا المفهوم في مصادر التشريع الإسلامي، ويعتمد على قواعد أصول الفقه المتينة كأساس لبناء علاقات أخوية بين أتباع الأديان المختلفة. يشدد على أهمية تطبيق هذه القواعد بشكل موضوعي، دون استنساخ تجارب الأولين.

في كتابه «النبي الديمقراطي»، يقدم الدكتور حبش رؤية جديدة لفهم الديمقراطية في الإسلام من خلال حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. يركز على مواقف في حياة النبي تظهر كفاحه الديمقراطي، مشيراً إلى أن الديمقراطية ليست متناقضة مع النصوص الدينية، بل هي أسلوب في إدارة الدولة يعزز العدالة والحرية. يؤكد أن الديمقراطية منجز إنساني يجب أن يشارك فيه المسلمون، وأن التشريعات الإسلامية كانت تخضع باستمرار لأشكال من العملية الديمقراطية قبل اتخاذها أو حتى في إطار تعديلها.

ويعتبر مشروع الدكتور محمد حبش خطوة مهمة نحو تجديد الفكر الإسلامي وتعزيز التسامح بين الأديان. من خلال تبني العقلانية والاعتراف بكرامة الإنسان، يسعى إلى بناء مجتمع يسوده السلام والعدالة. إذا تم تبني هذه الأفكار على نطاق واسع، فإنها قد تسهم في تقدم الأمة الإسلامية بعيداً عن مآسي الماضي، وتفتح آفاقاً جديدة للتعايش السلمي بين مختلف الأديان والثقافات. إن طرح المذهب الإنساني أصبح ضرورة وطنية وإنسانية ملحة في مواجهة التفسيرات المتطرفة التي تمارس لغة التحقير والتحريض، والتي تسببت في ويلات من القهر والمآسي بحق طوائف

كاملة، ودفع الأطفال والنساء ثمن ذلك كله. فالطوائف في سوريا ليست شيئاً طارئاً، بل هي جزء من تكوين سوريا التاريخية، وهنا يقف خطاب الإنسانية في مواجهة الخطاب المتطرف الذي يجعل البلاد كلها رهينة لفتاوى التعصب المتراكمة عبر القرون.

وفي هذا السياق، يقف المذهب الإنساني، والدكتور محمد حبش على وجه الخصوص، في مواجهة هذه الفتاوى المتطرفة، مقدماً صورة متوازنة ومعتدلة للدين، انطلاقاً من الآية الكريمة: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». إذ تصبح الحاجة إلى هذه الأصوات المعتدلة أكثر إلحاحاً، فالدور الذي يقومون به مهم وحاسم، ولكنه في الوقت نفسه محفوف بالمخاطر.

ومن هنا، يتعين على الدولة الوطنية أن توفر لهذه الأصوات المنابر المناسبة والحماية الكافية، وأن لا تترك البلاد فريسة للمتطرفين. فالتطرف لا يهدد فقط وحدة المجتمع، بل يؤسس لثقافة الكراهية ويقوض أسس التعاون والتعايش، بينما المذهب الإنساني يسعى لبناء مجتمع أكثر اعتدالاً وتسامحاً، يحمي تنوعه ويصون وحدته الوطنية.

في زمن تتسارع فيه فتاوى التعصب وتنتشر فيه لغة الكراهية، أصبح المذهب الإنساني ضرورة وطنية وإنسانية. فقد دفعت الطوائف في سوريا، جزءاً من تاريخها العريق، ثمن التفسيرات المتطرفة، بينما يدفع الأطفال والنساء الكلفة الأكبر.

هنا يقف المذهب الإنساني، والدكتور محمد حبش، شامخاً في وجه التطرف، حاملاً رسالة الرحمة التي أرساها الدين: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». إنه صوت الاعتدال الذي يحتاجه المجتمع اليوم أكثر من أي وقت مضى، صوت يحمل الأمل ويواجه الظلام.



محمد صباح

محمد صباح: كاتب وباحث فلسطيني من مدينة طولكرم في الضفة الغربية. حاصل على ليسانس في الفلسفة من جامعة دمشق، يكتب مقالات فكرية وفلسفية تتناول قضايا الإنسان والهوية والتحوّلات الثقافية في عدد من الصحف العربية. من مقالاته المنشورة:

- الدولة والسيادة الدموية: تواطؤ شبنغلر مع كارل شميث
 - الدولة بوصفها مصيراً: الحرب كأفق سياسي في فكر شبنغلر
 - بين العضلات والكلمات: إسبرطة ضد أثينا كرمزية وجودية للدولة
 - نحو تأويل فلسفيّ مضاد: هل يمكن التفكير في الدولة بعد الحرب؟
 - أمة الاعتراف: الغرب إسرائيل والفلسطيني الذي لا يمحي
- لا يختار صباح تصنيفاً لنفسه فهو يرى أن الفكر أعقد من أن يصنف، وحين يصنف لن يعود فكراً بل وظيفة، ولكنه يندفع نحو الوعي الإنساني تأسيساً على أن الإنسانية هي جوهر الدعوات الإصلاحية في التاريخ من دين وحكمة وفلسفة.

في مقاله هنا ينشغل محمد صباح بتفسير مشروع الدكتور حبش في التحول نحو المذهب الإنساني عبر سيرورة فكرية تربط فكر الدكتور حبش بالتطور التنويري الذي عاشته أوروبا في تجربتها الملهمة في عصر الأنوار بعد ألف عام من عصر الإيمان، ويضع يده بدقه على المشهد

الحالي لما يطرحه الدكتور حبش الذي يسعى لأنسنة الإيمان قبل علمنة الدولة، ويركز جهده الفكري على إمكان تقديم وعي مختلف للإنسان يصل بين نفحة لله في روح الإنسان ونفحته في عقله أيضاً، ويؤسس من هذا التكامل جسراً معرفياً ومجتمعياً، يمكن فوّه قراءة النصوص الدينية لتكون وسيلة للتواصل، والرحمة، والعدل، لا أداة للانقسام والعنف.

الإخاء الإنساني بين التاريخ
والفكر: من نانت
إلى ويستفاليا إلى فرجينيا

1. مقدمة: الإخاء الإنساني كتحوّل إبستمولوجي

ليس «الإخاء الإنساني» شعاراً وجدانياً يُرفع في لحظات الحنين الأخلاقي، بل هو تحوّل إبستمولوجي في الوعي الجمعي الإنساني، يعيد تعريف العلاقة بين الإيمان والحرية، وبين الدين والدولة، وبين الإنسان والآخر.

لقد أفرز التاريخ البشري أشكالاً متعددة من «الهوية» الدينية والقومية والمذهبية، وغالباً انتهت هذه الانقسامات إلى إقصاء وإلغاء الآخر باسم المقدّس، لتصبح القوة وسيلة لتأسيس الحقيقة، والدمار معياراً للعقيدة. ومن رحم هذا الصراع المرير بدأت أوروبا في البحث عن طرق لإرساء «التسامح العملي»، أي تحويل التعاليم الدينية من أدوات صراع إلى أدوات رحمة وكرامة.

كانت أوروبا المختبر الأكبر لهذه التجربة، إذ خرجت من ثلاثة قرون من الحروب الدينية الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت لتكتشف أن الدم لا يؤسّس إيماناً، وأن الهوية حين تتحوّل إلى مطلق مقدّس تُنكر الإنسان ذاته الذي من أجله وُجد الدين.

وكما عبّر دي مونتيني بقول منسوب إليه: «إن أكثر الحروب دموية هي تلك التي تُخاض باسم الرحمة والخلاص».

كان مونتيني يصف مأزق الدين حين يُختزل في سلطة، والإيمان حين يُساق بالعنف. لكن صوته ظلّ معزولاً حتى جاء الفعل السياسي الذي سيمُنح تلك الصرخة معناها العملي: إعلان نانت عام 1598.

2. من إعلان نانت إلى صلح ويستفاليا: ولادة التسامح الأوروبي

رأى الملك هنري الرابع بلاده ممزقة بين مذهبين، والدماء تسقي مذابح الهوية باسم السماء، فاختر أن يضع حدّاً لهذه الدائرة العبيثة. أصدر إعلان نانت، مانحاً البروتستانت حرية العبادة وحقوقاً مدنية متساوية مع الكاثوليك، فأُنهي بذلك ثلاثة عقود من العنف الديني، وأُرسى لأول

مرة مبدأ أن المواطنة تسبق العقيدة، وأن الدولة يمكن أن تكون حارسة للحق لا ممثلة للمذهب. وكما عبّر هنري الرابع بقول منسوب إليه: «أريد أن يكون في مملكتي يوم يستطيع فيه كل إنسان أن يأكل دجاجته في إناء نحاسي، آمناً مطمئناً.» كان هذا إعلاناً فلسفياً عن حقّ الإنسان في الأمان، وفكرة أن الإخاء لا يقوم على وحدة المعتقد، بل على وحدة المصير الإنساني داخل الدولة.

لم تكتمل التجربة الأوروبية إلا بعد نصف قرن مع صلح ويستفاليا (1648)، الذي أنهى حرب الثلاثين عاماً وأرسى مبدأ السيادة الوطنية واستقلال الدولة عن سلطة المذهب، فانتقل التسامح من كونه فضيلة أخلاقية إلى مبدأ سياسي وقانوني.

وجون لوك عبّر عن هذا المبدأ في رسالته A Letter Concerning Toleration بقوله:

«ليس لأي إنسان السلطة في أن يفرض على إنسان آخر ما يجب عليه أن يؤمن به أو أن يفعله لأجل نجاة روحه هو، لأن هذه المسألة شأن خاص ولا يعني أي إنسان آخر. إن الله لم يمنح مثل هذه السلطة لأي إنسان، ولا لأية جماعة، ولا يمكن أي إنسان أن يعطيها لإنسان آخر فوقه إطلاقاً.»

هنا أصبح التسامح أساساً للعقل المدني، ومقدّمة لفكرة الإخاء المدني الذي سيصبح شعار الثورة الفرنسية: حرية، مساواة، إخاء.

3. من فرجينيا إلى جيفرسون؛ ولادة الحرية الدستورية

امتدت التجربة إلى الولايات المتحدة الناشئة، حيث واجه الآباء المؤسسون تحدياً مماثلاً: كيف تُبنى أمة من الشعوب والمذاهب المتعددة دون أن تصبح الدولة أداةً لانقسام ديني؟ في عام 1776، اقترحت ولاية فيرجينيا أن تكون ذات طابع إنجيليكاني، أي دولة بمرجعية لا هوتية. لكن توماس جيفرسون رفض هذا الاقتراح رفضاً حاسماً، مؤكداً أن الأمة لا تُبنى على المظلومية الطائفية، بل على العدالة والشاركة بين جميع المواطنين.

وكما عبّر جيفرسون بقول منسوب إليه: «المظلومية قد تبني طائفة، لكنها لا تبني أمة... لأن الردّ على المظلومية بمظلومية هو استجابة لفعل، بينما التاريخ تصنعه المبادرات لا ردود الأفعال.»

وبهذا المفهوم، أقرّ قانون حرية الدين في فيرجينيا (1786)، مؤكداً عدم تدخل الحكومة في الشؤون الدينية، ثم أكد في رسالته إلى الكنيسة المعمدانية في دانبري (1802):
وكما عبّر عن روح الرسالة قول جيفرسون: «بينما نؤكد على حرية الدين ونفصل بين الكنيسة والدولة، نضمن للمواطنين الحق في عبادة الله كما يشاؤون».
هكذا وُلدت الحرية الدستورية كامتداد للتسامح السياسي، من نانت إلى ويستفاليا إلى فرجينيا، لتصبح الحرية حقاً قانونياً مصوناً.

4. مشروع الدكتور محمد حبش: الإخاء الإنساني في الفضاء المعاصر الإسلامي

في هذا الامتداد التاريخي الطويل، يبرز مشروع الدكتور محمد حبش ليقدم التجربة الإسلامية في الإخاء الإنساني، بوصفها استمراراً حياً لمسار التجربة الإنسانية العالمية، وليس مجرد تكرار للتجارب الغربية.

بينما قامت التجربة الأوروبية على علمنة السلطة لضمان التسامح والحرية، يسعى الدكتور حبش إلى أنسنة الإيمان: إعادة قراءة النصوص الدينية لتكون وسيلة للتواصل، والرحمة، والعدل، لا أداة للانقسام والعنف.

في مشروعه، يصبح الإخاء الإنساني إطاراً منهجياً متكاملًا يجمع بين الالتزام الديني والكرامة الإنسانية، بحيث يصبح الدين وسيلة لتكوين مجتمع متكامل يحترم تعدد الأفراد ويؤسس لوحدة المصير، بدلاً من أن يتحوّل إلى أداة لإقصاء المختلف.

ويطرح حبش هذا المشروع ضمن رؤية شاملة تربط بين الفلسفة، والتاريخ، والفقه، والأخلاق، معتبراً أن أي قراءة حقيقية للإسلام يجب أن تأخذ في الحسبان الإنسان كغاية وليس كوسيلة.

يؤكد المشروع أيضاً أن الإخاء الإنساني ليس مجرد توصية أخلاقية، بل إطار عملي للسياسات المجتمعية والتعليمية والدينية، يمكن أن يُترجم إلى برامج تنويرية، وحوار بين الأديان، ومناهج تعليمية تزرع التسامح منذ الطفولة وحتى النضج الفكري.

بهذه الطريقة، يشكّل مشروع الدكتور حبش الحلقة المعاصرة لمسار طويل بدأ مع نانت ويستفاليا وجيفرسون، لكنه يضيف بعداً ثالثاً: إعادة بناء الفضاء الديني ليكون ملقياً للحرية، والكرامة، والسلام، بدلاً من أن يكون حلبة للصراعات والهيمنة.

5. خاتمة: الإخاء الإنساني كذروة النضج الديني والفكري

من نانت إلى ويستفاليا، إلى فرجينيا، وإلى مشروع الإخاء الإنساني المعاصر، يمتد مسار الإنسان نحو تحرير ذاته والمجتمع من صراعات الهوية والسلطة.

لقد علمتنا التجارب التاريخية أن الدين حين يُستعمل أداة للسيطرة يفقد جوهره، وأن الدولة حين تنحاز لعقيدة معينة تزرع بذور الانقسام والفناء.

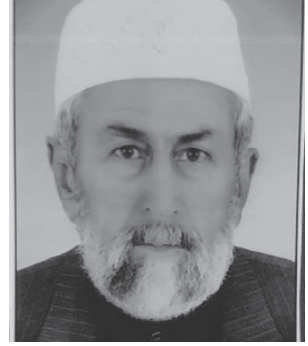
أما الإخاء الإنساني، فيمثل ذروة النضج الديني والسياسي والفكري، لأنه يعيد الإنسان إلى مركز التجربة الإيمانية والتاريخية: «الإيمان لا يكتمل إلا حين يتسع قلبه للآخر»، والدين لا يكون رحمة للعالمين إلا إذا كان الإنسان أول عالمه.

إننا أمام سلسلة من الدروس المترابطة: نانت أعطت النموذج للتسامح داخل الدولة، ويستفاليا أعطت النموذج للتسامح بين الدول، وفرجينيا وجيفرسون أعطيا النموذج للحرية الدستورية، ومشروع الإخاء الإنساني المعاصر يقدم نموذجاً داخلياً للأمة الإسلامية: كل مرحلة تبني على سابقتها، وتؤكد أن الإخاء الإنساني ليس رفاهية أخلاقية، بل ضرورة حضارية وفلسفية.

في عالم اليوم، حيث تعود العصبية القديمة بأسماء جديدة، تصبح هذه الدروس ضرورة ملحة لكل مجتمع يريد أن يحافظ على ذاته وكرامة أفرادها.

الإخاء الإنساني يعلمنا أن السلام يبدأ حين يتوقف الناس عن القتل باسم الله، ويستمر حين يتحقق الاحترام المتبادل، وينضج حين تصبح الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية الأرضية المشتركة لكل الأديان والثقافات.

وهكذا، يصبح مشروع الإخاء الإنساني ليس فقط رسالة دينية، بل مشروع حضاري شامل.



الشيخ محمد غرزاني

محمد غرزاني فقيه سوري كردي، عرف بعمق معرفته الفقهية وقدرته على المواءمة بين فقه السلف وفقه الواقع.

يعيش الشيخ غرزاني في شمال شرق سوريا ويعتبر امتداداً للشيخ معشوق الخزنوي الذي أسس مع الدكتور حبش مركز الدراسات الإسلامية في دمشق وتالياً في القامشلي، ودفع روحه ثمناً للتنوير ونقل الناس من ظلام الطائفية والقبلية إلى نور العلم والعرفان.

يتبنى غرزاني فكرة الإسلام الديمقراطي، ويطالب بقوة بإحياء القيم الديمقراطية في الإسلام، بوصفها جزءاً من رسالته وليس بوصفها بدعة فيه، وقد ساهم مع فريق من أنصاره وزملائه بتأسيس أول كلية علمية باسم كلية الإسلام الديمقراطي، في جامعة روجافا، حيث تتبنى الكلية تكوين طلاب علم وأئمة وخطباء مساجد يحملون الوعي الديمقراطي ويرفضون خيارات الانسياق وراء التقليد الأعمى الذي فرضته على الجماهير حقبة الاستبداد والقهر.

في مقاله هذا يشير الدكتور غرزاني إلى مشروع الدكتور حبش بوصفه محاولة جديدة لتأسيس إسلام معاصر منفتح وإنساني، يضع الإنسان في المركز بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ويرفض أي تمييز.

ودون أي شك فإن تيار الشيخ غرزاني وتلاميذه الذين يتخرجون كل عام يعتبرون رصيдаً حيويًا للمذهب الإنساني، وتحدياً مباشراً لثقافة الإقصاء والإلغاء الديني والقومي التي مارسها الاستبداد التاريخي بشقيه السياسي والكهنوتي.

**الإخاء الإنساني .. هل هو
حتمية تاريخية للخلاص
من الصراعات؟**

إن الاختلافات في المعتقدات الدينية والمذهبية شكلت أحد أبرز مصادر الصراع عبر التاريخ. وهذه الصراعات وبدون شك ليست نابعة من جوهر الأديان السماوية، والتي تدعو نصوصها إلى الحرية والتسامح والسلام، قال تعالى: (اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) [الأنعام 107-106]

(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) [الزمر 41] والآيات في هذا السياق كثيرة. ويذكر القرآن الكريم كلمة «أخوهم» عن عدد من الأنبياء الذين أرسلوا إلى قومهم وهم كفرون. إذن من أين نشأت هذه الصراعات الدموية؟

نستطيع أن نقول إنها نشأت نتيجة عوامل متشابكة ومتعددة، منها :

- التفسيرات المحرفة للنصوص: حيث يتم تحريف النصوص المقدسة أو تفسيرها بشكل انتقائي ومتطرف لخدمة أجندات سياسية أو مصالح مذهبية وشخصية.
- الاستغلال السياسي للدين: حيث تتحول الانتماءات المذهبية إلى أدوات لتجيش الجماهير وتبرير الهيمنة على السلطة والموارد، كما تُظهر بعض التجارب التاريخية.
- الجهل وترسيخ الصور العدائية: والتي تؤدي لانعدام التواصل بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة فيتصور كل منهم الآخر إلى عدو مجهول للآخر.

لقد خلفت هذه الصراعات وراءها مآسي إنسانية كبيرة، مما يجعل البحث عن فلسفة الإخاء الإنساني ضرورة وجودية للمستقبل، تقوم على الاعتراف بوحدة الجنس البشري، والاحتفاء بتنوعه الثقافي والديني كإثراء للحضارة الإنسانية، وليس مصدرا للتناحر.

تبنى هذه الفلسفة على عدة أركان أساسية منها على سبيل المثال :

- الكرامة الإنسانية: الإيمان بأن كل إنسان، بغض النظر عن دينه أو عرقه أو مذهبه، يحمل كرامة متأصلة فيه قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا). سورة الاسراء / ٧٠

- المواطنة المتساوية: ضمان حقوق متكافئة للجميع في إطار الدولة المدنية الحديثة، حيث يكون الولاء على أساس المواطنة وليس الانتماء الديني، كما أسس لها رسول الله ص في صحيفة المدينة (وثيقة المدينة) حيث ورد فيها أن أهل المدينة أمة على من سواهم، بينهم التعاون على البر، وعليهم الدفاع المشترك في مواجهة المعتدين، وكان سكان المدينة يتكونون من المهاجرين والانصار، والمسيحيين ويهود ومشركين.

- احترام التنوع: فهم أن التنوع الديني والثقافي هو سنة إلهية وثروة بشرية لا ينبغي قمعها، بل إدارتها بحكمة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) . سورة الحجرات / 13

- الحوار كمنهج حياة: اعتماد الحوار الموضوعي والعقلاني كوسيلة وحيدة للتواصل وحل الخلافات، بعيداً عن العدوانية كما فعل رسول الله ص في صلح الحديبية.

ويمثل رجال الدين دوراً رئيسياً في هذا المنحى لما لهم من قدرة على قيادة التغيير الإيجابي، في تعزيز فلسفة الإخاء الانساني من خلال المبادرات المشتركة والعمل الاجتماعي والإغاثي الذي يظهر قوة الوحدة في خدمة المجتمع، ويطلب منهم العمل على تجديد الخطاب الديني، بحيث يركز على القيم العليا والعالمية المشتركة مثل العدل والسلام والرحمة والصدق، ويعيد قراءة النصوص في ضوء مقاصدها الشرعية السامية، لا وفقاً للتفسير المتشددة البعيدة عن السياق التاريخي.

والقيام بدور حقيقي في المصالحة وتقريب وجهات النظر، باستخدام نفوذهم المعنوي، ودور الوسيط النزهي في نزع فتيل التوترات المحلية وحل النزاعات بين الجماعات المتصارعة. والانفتاح على الآخر بتشجيع أتباعهم على التعرف على الآخر الديني والمذهبي من خلال اللقاءات المباشرة وزيارات دور العبادة، لتحطيم حواجز الجهل والخوف.

وأيضاً لا بد من تفعيل برامج التربية على السلام، وذلك بإدخال مناهج تعليمية في المدارس والجامعات ترسخ قيم التسامح وتقبل الآخر، وتضع حداً للكرهية والعدوانية.

وتمكين الأصوات المعتدلة، بدعم الشخصيات والمؤسسات الدينية التي تبني خطاباً تجديدياً وإخائياً، وإتاحة منصات إعلامية واسعة لها.

وبناء تحالفات مجتمعية، بإنشاء شبكات وتجمعات تجمع بين رجال الدين والمثقفين والنشطاء المدنيين من مختلف الخلفيات للعمل على قضايا المجتمع المشتركة.

وتوظيف الفنون باستخدامها لنشر ثقافة السلام والإخاء، لأن تأثيرها يصل إلى القلوب قبل العقول.

إن إطلاق فلسفة الإخاء الإنساني هو مشروع حضاري طموح يتطلب صبراً طويلاً وإرادة صلبة. إنه استثمار في مستقبل أكثر أمناً واستقراراً لأجيالنا القادمة. النجاح في هذا المسار ليس ضرباً من المستحيل، لكنه يحتاج إلى خطوات عملية شجاعة، يبدأها رجال الدين بوعيهم وصدق إيمانهم، ليكونوا جسوراً للتواصل بدلاً من أن يكونوا حواجز للانقسام.

ويمثل المذهب الإنساني للدكتور محمد حبش محاولة جريئة لتأسيس إسلام معاصر منفتح وإنساني، يضع الإنسان في المركز، ويؤكد على المواطنة الكاملة والمتساوية لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ويرفض أي تمييز، ويجعل من كرامة الإنسان وحرية وعدالته المقاصد العليا للدين. ويهدف إلى مصالحة الإسلام مع قيم (الحرية، المساواة، حقوق الإنسان) من داخل المنظومة الإسلامية نفسها، عبر آليات التأويل والاجتهاد وإحياء مقاصد الشريعة، فمشروعه الفكري يطرح أسئلة حيوية وضرورية في السياق الإسلامي المعاصر، يحتاج إلى جهد جماعي واسع، للخروج من الازمة التي يعيشها العالم وأخيراً: التحدي الحقيقي ليس في اختلاف البشر في معتقداتهم، بل في عجزهم عن إدارة هذا الاختلاف بسلام.

فليكن شعارنا في هذه الرحلة هو التعاون على القيم المشتركة، والتنافس في فعل الخير، والاعتراف بأن التنوع هو إرادة إلهية وحكمة كونية. ونختم المقال بمقولة للإمام علي عليه سلام الله: استوصوا بالناس خيراً فإنهم إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

محمد ملا رشيد غرزاني

الرئاسة المشتركة

لمؤتمر الإسلام الديمقراطي



مصعب الشيخ ويس

مصعب محمد الشيخ ويس باحث في التاريخ الإسلامي، حاصل على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة اهومي البريطانية. مهتم بدراسة الفكر الديني وتفاعلاته مع قضايا العصر.

ينشر الشيخ ويس في رابطة أدباء الشام ويكرس قلمه للدفاع عن الشعب السوري في معاناته من المظالم، ومواكبة ثورته وقيامه للهِتاف للحرية والخلاص.

ومن أعماله التي عالج فيها محنة الإنسانية ومعاناة المستضعفين:

- الغريب الشجاع

- عمدة الأباريق

- عتمة هبل

يرى مصعب الشيخ ويس أن بناء تيار إنساني في المجتمع الإسلامي أكثر من ضرورة، ويسهم بتقديم قراءة أصولية لترشيد المذهب الإنساني، وبناء ثقافة إنسانية في المجتمع الإسلامي الذي عانى طويلاً من إرادات الاستبداد.

ويعتبر الشيخ ويس أن مشروع الإخاء الإنساني الذي يتبناه الدكتور محمد حبش يمثل محاولة جريئة لإعادة اكتشاف البعد الأخلاقي في الدين، واستحضار روح الإسلام الأولى في سياق عالمي جديد. غير أن التحدي الحقيقي لا يكمن في الفكرة ذاتها، بل في كيفية تجسيدها في بيئات متوجسة، ما تزال تنظر إلى الاختلاف بوصفه تهديداً لا فرصة.

**الإخاء الإنساني بين المثال
الديني والتحدي الواقعي..
قراءة نقدية في مشروع
الدكتور محمد حبش**

مقالة تسعى إلى تفكيك المفهوم الأخلاقي لمشروع الإخاء الإنساني، ومناقشة أبعاده الدينية والاجتماعية والسياسية، من منظور واقعي يوازن بين الرؤية والممارسة.

المقدمة

في عالمنا المضطرب، تتوالى الأسئلة حول مسائل شائكة ومنها، هل يمكن أن نرى في المختلف عقيدته أخًا، وتعامل معه على أساس الإنسانية المشتركة؟ مشروع الإخاء الإنساني رؤية تتجاوز مجرد الشعور بالرحمة، لتصبح مبدأً فلسفيًا يربط بين الإنسان وواجباته الأخلاقية تجاه الآخرين.

إن هذا المشروع لا يقوم على توحيد العقائد أو دمج المذاهب، بل على الاعتراف بالآخر ككائن أخلاقي، تتحقق معه العدالة والكرامة والرحمة. هذه الفلسفة، التي أتفق معها في جوهرها، تدعونا للتأمل في كيفية تحويل الإيمان إلى ممارسة اجتماعية واقعية. في هذا المقال، سنقرأ المشروع من الداخل، مع إبراز نقاط قوته ومسائل النقد البناء التي تثير النقاش حوله.

الفلسفة الدينية والفكرية وراء الإخاء الإنساني

عند تقاطع الدين والفلسفة الأخلاقية، يقف المشروع، معتبرًا أن الأساس المشترك للإنسانية يفوق الانتماءات العقيدية. يرى أن الرسائل السماوية جاءت لتحقيق مقاصد سامية، تتجلى في الرحمة والعدل والكرامة الإنسانية، وهذه القيم تشكل قاعدة للتفاعل بين البشر مهما اختلفت عقائدهم، فالقرآن نفسه يؤكد هذا المعنى في قوله تعالى (... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...)، ويدعو إلى قيم عامة تتجاوز الطقوس والعبادات الفردية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)، بهذا، يصبح مبدأً فلسفيًا وأخلاقيًا معًا، يربط الالتزام الديني بالواجبات تجاه الآخرين، فالمسلم والآخر المختلف في العقيدة

يمكن أن يكونا إخوة في الإنسانية، دون المساس بالخصوصية العقدية لكل منهما، إن قراءة النصوص الدينية وفق هذا المنظور تؤدي إلى رؤية موسعة، حيث يُنظر إلى الدين كإطار يعلم الرحمة والعدل، ويمنح الإنسان القدرة على تقدير قيمة الآخر، لا كمجرد مجموعة أحكام وعبادات.

القيمة الفلسفية والاجتماعية في المشروع

يقدم نموذجًا للتعايش في عالم متباين عقائديًا وثقافيًا، قائمًا على مبدأ «الإنسان أولاً». هذه الفلسفة تركز على اعتبار الإنسان ككائن أخلاقي مسؤول تجاه الآخرين، وهو ما يجعل العلاقة بين الأديان والمجتمعات تتجاوز الصراعات الضيقة إلى أفق من القيم المشتركة. كما يؤكد القرآن في قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، دلالة على أن الحوار مع المختلفين يجب أن يكون بالحسنى والاحترام، وليس بالإكراه أو النزاع، ومن الجانب الاجتماعي، يعالج المشروع التحديات التي تواجه المجتمعات التقليدية، حيث غالبًا ما تُحصر العلاقات بين الأفراد ضمن إطار الانتماء المذهبي الضيق. يحث المشروع على تجاوز هذه الحدود من خلال برامج تعليمية وثقافية تشجع على التسامح والحوار، ما يعزز الانسجام المجتمعي ويقلل من الصراعات، وهذا النهج يقترب أيضًا من الحديث النبوي؛ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، متفق عليه، الذي يرسخ مبدأ التقدير المتبادل والرحمة الإنسانية كأساس للتعامل مع الآخرين، بغض النظر عن عقيدتهم. بهذه الطريقة، يصبح المشروع اجتماعيًا وفلسفيًا معًا، يتجاوز مجرد النظرية، ويؤسس لوعي جماعي قادر على خلق بيئة متسامحة ومستدامة.

التحديات الواقعية والإسلام السياسي

رغم وضوح الرؤية الفلسفية، يواجه المشروع تحديات في التطبيق العملي، خصوصًا حين تتداخل الاعتبارات الاجتماعية والسياسية مع المبادئ الأخلاقية. تحويل الفكرة إلى برامج ومبادرات ملموسة يتطلب مؤسسات قادرة على دعم الحوار، وتنظيم ورش عمل، ومتابعة أثر هذه المبادرات في المجتمع. على سبيل المثال، مركز الدراسات لبحوث الإخاء الإنساني في الشارقة أطلق برامج ثقافية وحوارات بين أديان مختلفة، وجوائز للأفراد والمؤسسات التي تحقق قيم الإخاء، ما يعكس محاولة تطبيق الفكرة على أرض الواقع.

كذلك تواجه المبادرة تحديًا آخر في بعض السياقات التي يهيمن فيها الإسلام السياسي، إذ يمكن للخطاب السياسي أن يتداخل مع القيم الأخلاقية ويضع قيودًا على قبول الآخر المختلف عقائديًا، مما يحد من انتشار المشروع خارج النخبة المثقفة، صعوبات إضافية تتعلق بالتوازن بين الالتزام الديني والإنسانية الكونية، حيث قد يشعر البعض بأن القيم قد تتناقض مع الثوابت العقدية، أو أن تطبيقها العملي يحتاج إلى تكييف دقيق مع الواقع المحلي.

وفي سياق التحديات التطبيقية، يبرز التباين الحاد بين المشروع وبعض التيارات، ولا سيما التيارين السلفي والإخواني، بوصفه أحد أبرز العقبات الفكرية أمام انتشار الفكرة. فالخطاب السلفي، في بنيته العقدية، يقوم على مبدأ الولاء والبراء الذي يجعل الأخوة حكرًا على المؤمنين، ويعدّ توسيع مفهوم الإخاء ليشمل المختلفين في العقيدة خروجًا عن ثوابت التمايز الإيماني، وربما تمييعًا لحدود الاعتقاد. من هنا، ينظر كثير من السلفيين إلى المشروع بعين الريبة، معتبرين أنه يخلط بين الإيمان الإلهي والمشارك الإنساني.

أما التيار الإخواني، فيتعامل مع المشروع من زاوية مغايرة، إذ لا يرى فيه خطرًا عقديًا بقدر ما يعدّه تهديدًا لوظيفة الدين الحركية والسياسية. فالإخاء الإنساني في نظر هذا التيار يجرد الدين من طاقته التبعية ويحوّله إلى خطاب أخلاقي مسالم، مما يتعارض مع تصورهم للإسلام كأداة للتغيير السياسي والاجتماعي. وهكذا، يتقاطع الرافض السلفي العقائدي مع التحفظ الإخواني السياسي في إنتاج بيئة متوجسة من المشروع، رغم اختلاف دوافع الطرفين، هذه التحديات لا تقلل من قيمة المشروع، لكنها تبرز أهمية الرؤية النقدية البناءة، التي تساعد على تعزيز فعالية المبادرات.

بين الإيجابيات والسلبيات في مشروع الإخاء الإنساني

يُعدّ المشروع من المحاولات الفكرية اللافتة في ساحة التجديد الديني المعاصر، إذ يسعى إلى إعادة بناء العلاقة بين الإيمان والإنسان على أساس الرحمة والعدل والتعاون، بعيدًا عن العصبية المذهبية والحدود الدينية الضيقة. من أبرز إيجابيات هذا المشروع أنه يحرّر مفهوم الدين من الانغلاق الطائفي، ويعيده إلى جوهره الأخلاقي الذي أراده الوحي الإلهي حين قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين).

كما أنه يساهم في كسر حواجز الخوف بين أتباع الديانات، ويفتح مجالًا رحبًا للحوار

الإنساني، ويؤكد أن الإيمان لا يكتمل إلا حين يتحول إلى عمل أخلاقي يتجاوز حدود الجماعة الدينية نحو الإنسانية جمعاء، ومع أن هذه المواقف النقدية تكشف حجم المقاومة الفكرية التي تواجه المشروع، فإنها لا تلغي ما يحمله من مضامين إنسانية عميقة تستحق التقدير والمراجعة المتأنية.

ختاماً، إن مشروع الإخاء الإنساني الذي يتبناه الدكتور محمد حبش يمثل محاولة جريئة لإعادة اكتشاف البعد الأخلاقي في الدين، واستحضار روح الإسلام الأولى في سياق عالمي جديد. غير أن التحدي الحقيقي لا يكمن في الفكرة ذاتها، بل في كيفية تجسيدها في بيئات متوجسة، ما تزال تنظر إلى الاختلاف بوصفه تهديداً لا فرصة.

لقد أثبتت التجربة أن كثيراً من الاعتراضات على المشروع ليست عقدية في جوهرها، بل اجتماعية وثقافية، ناتجة عن الخوف من التغيير، وعن ارتباط الدين بالهوية لا بالقيم. ومن هنا فإن الحوار الصادق، والقراءة الواعية للواقع، هما الطريق الأجدر لجعل الإخاء الإنساني رؤية قابلة للحياة لا شعاراً عابراً.

في نهاية المطاف، هناك ساحة اجتهد مفتوحة، يتجاوز فيها الإيمان والعقل، ويتنافس فيها دعاة الإصلاح ودعاة الجمود. والواجب على الباحث المنصف أن يقرأه بميزان العدل لا الولاء، وأن ينقل صورته كما يراها على الأرض، لا كما يراد لها أن تكون. فالإخلاص في النقد هو أول أبواب الإخاء، والإنصاف في الحكم هو جوهر الدين الحق.



الشيخ مرشد الخزنوي

الشيخ مرشد الخزنوي فقيه كردي شهير، ولد في تل معروف بالقامشلي السورية، ودرس في مؤسسات آل الخزنوي التعليمية وحصل على الإجازة في الشريعة الإسلامية، وانطلق كفقيه متخصص في علوم الشريعة، وظهر في الوسط الكردي كسياسي واضح في الدعوة إلى الحرية ومقارعة الاستبداد، ويعيش امتداداً حقيقياً لتيارين اثنين: تيار الأسرة الخزنوية التي تشكل في الضمير الكردي رمزاً للإشراق وقدوة في السلوك عبر ريادة الطريقة النقشبندية التي يتبعها الملايين في تركيا والعراق وسوريا، كما أنه يمثل من جانب آخر امتداداً لرسالة والده الثائر الشهيد الشيخ معشوق الخزنوي أحد الرموز الملهمين للثورة السورية والحرية والكرامة. خاض الشيخ مرشد حراكاً سياسياً مؤثراً في الدفاع عن حقوق الشعب الكردي، وكان له دور مؤثر في مواجهة المشروع التدميري لداعش وكان من أبرز الأصوات التي بلغت المنابر الدولية للانتصار لمظلومية الشعب الكردي وخاصة الطائفة اليزيدية التي استهدفتها داعش بالسبي والإبادة.

ويأتي حضور الشيخ مرشد في هذا الكتاب إلهاماً حقيقياً لرسالة نبيلة كرس والده الشيخ معشوق حياته لأجلها وهي رسالة الإخاء الإنساني وبناء الجسور مع الديانات والأعراق والكيانات الإنسانية تأسيساً على كرامة الإنسان التي منحها الله لآدم قبل أن تكون في الأرض نبوة ولا كتاب.

إن من الوفاء لهذه الرسالة أن نقول بوضوح إنها ولدت في كفاح مشترك لحبش ومعشوق،

حيث تشارك الأمل والألم، ووقفاً معاً على حافة تحدي الغوغاء ومواجهة غضبهم ولكن معشوق
تقدم خطوتين فدفع حياته ثمناً للحقيقة والكرامة.
ووفاء لمعشوق قد أعقبنا ورقة الشيخ مرشد بنشر كلمة للدكتور حبش في حق الشيخ
الشهيد معشوق رحمه الله

**الأيدولوجيا المغلقة
والمذهب الإنساني..
دراسة تحليلية في بنية
الإقصاء ومسارات التحرر
في الفكر الإسلامي**

يوماً بعد يوم نشهد تصاعداً لخطاب الإقصاء وازدياداً للأدلجة في الخطاب الديني، مما يوجب مراجعة جذرية للمنظومات والأطر الفكرية التي تنتج العزلة والانغلاق وتنفخ في نار الصراع، وتعيد تشكيل الإنسان بوصفه تابعاً، لا فاعلاً، مع إقصاء المختلف وتجريم النقد. في مواجهة هذا الانغلاق، يقدم المذهب الإنساني في الإسلام رؤية بديلة ينطلق من مركزية الإنسان لا الانتماء، وذلك من خلال إعادة تأويل النص الديني في ضوء القيم الكونية القائمة على أسس من الرحمة، والكرامة، والتعدد، والحرية، وتحريره من القراءات الاستبدادية السلطوية.

أولاً: الأيديولوجيا المغلقة وبنية الإقصاء

الأيديولوجيا المغلقة ليست مجرد منظومة أفكار، بل هي بنية ذهنية شاملة تقصي المختلفين وتجرم النقد، وتحول الدين إلى أداة فرز عبر مجموعة من الآليات التي تقوم على ثلاث ركائز أساسية:

الاحتكار المطلق للحقيقة: وذلك من خلال تقديم الرؤية الخاصة للجماعة أنها الحقيقة المطلقة، غير قابلة للمراجعة أو التعددية، وينظر إلى كل مخالف على أنه ضال أو عدو، الذي يؤدي بدوره إلى «احتكار الخلاص» الذي يقضي بدوره على الخيرية الكونية للإنسان ويغلق باب النجاة على دائرة ضيقة من المنتمين والاتباع، وقد عبر مالك بن نبي عن هذه الحالة بقوله: «الأيديولوجيا المغلقة تقتل الفكر، لأنها لا تسمح له بالخروج من دائرة التكرار».

وقد تجسد هذا النمط في التاريخ مراراً وتكراراً ابتداءً من تكفير الجهم بن صفوان لمخالفه في تأويل الصفات الإلهية، وصولاً إلى سيد قطب الذي اعتبر أن البشرية تعيش في جاهلية، وأن الإسلام الحركي الذي يدعو إليه هو وحده طريق النجاة. في حين يرفض المذهب الإنساني هذا الاحتكار مستنداً إلى مبدأ البرهان، الذي أكدّه الإمام الجويني بقوله: «الحق لا يعرف بالرجال، بل يعرف بالدليل».

الانتماء الضيق والهوية المقدسة: حيث تعاد تعريف الإنسان من خلال انتمائه، لا من خلال كرامته الجوهرية، هذا النمط من التفكير يحول الفرد إلى مجرد وظيفة داخل منظومة مغلقة.

وقد مثل آية الله الخميني هذا النمط عندما أسس مفهوم «ولاية الفقيه» كمرجعية مطلقة تعرف الإنسان من خلال ولائه السياسي والديني.

غير إن هذا الإغلاق يتناقض مع روح الرحابة الفقهية التي تجسدت في مواقف مثل موقف الإمام أبي حنيفة الذي رفض الاحتكار الفقهي، حين كتب في رسالته إلى عثمان البتي: «الناس عندي في الفقه سواء لا أفرق بينهم في النظر ولا أحتكر الحق في مذهبي». عدائية التعدد والجمود على النص:

حيث ينظر إلى التنوع والاختلاف في الفهم والتفسير على أنه تهديد يجب استتصاله، وليس ثراء يجب تعزيزه، ويغلف الاجتهادات البشرية التاريخية بلباس القداسة مما يغلق باب الاجتهاد، على مبدأ كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف.

وما تقسيم العالم إلى معسكر إسلامي ومعسكر جاهلي كما عبر عنه سيد قطب والرفض المطلق لأي صيغة للتعايش والحوار، إلا تعبيراً واضحاً عن بنية العداء للتعدد.

لكن المنظور الإنساني يرفض التقديس المطلق لأي رأي بشري، ويفتح الفضاء أمام التعدد، وهو ما أكدّه ابن حزم الظاهري في كتابه الإحكام في أصول الأحكام حين قال: «لا يحل أن يدعى العصمة لأحد بعد رسول الله».

وكل هذا ينبع من أهمية الشك المنهجي في تحقيق اليقين كما عبر عنه الإمام الغزالي في المنقذ من الضلال حيث قال: «من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال».

ثانياً: المذهب الإنساني ومركزية الإنسان

في مواجهة الانغلاق الذي أشرنا إليه آنفاً، يقدم المذهب الإنساني في الإسلام رؤية بديلة تنطلق من مركزية الإنسان لا من مركزية الانتماء العقدي أو الجماعي، وذلك من خلال إعادة تأويل مقاصدي للنص، وتحريره من القراءات السلطوية التي اختزلته في فتاوى الهوية الضيقة، ويعيد بناء الخطاب الديني على ركائز أربعة.

الإنسانية كأصل: يعتمد المذهب الإنساني على قاعدة تأسيسية تفكك الإقصاء العقدي،

وهي أن كرامة الإنسان ليس مشروطة بالإيمان أو الانتماء بل هي أصل أصيل وسابقة على التكليف، ولا يمكن أن تزول بالاختلاف في الدين أو الانتماء اعتماداً على النص القرآني المؤسس: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [الإسراء: 70].

في كتابه المذهب الإنساني في الإسلام يشدد الدكتور محمد حبش على هذه القاعدة الجوهرية، مؤكداً أن الخطاب الديني ينبغي أن يبنى على أساس الكرامة الإنسانية، لا على التمييز العقائدي أو الطائفي.

الإخاء الإنساني: حيث يتجاوز المذهب الإنساني منطق الولاء والبراء القائم على الانتماء العقدي، إلى منطق الإخاء والتعايش القائم على الوحدة الجوهرية للخلق، هذا التحول يجد جذوره في أعماق طبقات الفكر الإسلامي الإنساني «فلسفة النظر في الخلق» التي عبر عنها الإمام علي بن أبي طالب في توجيهه لواليه، وهو توجيه يتجاوز حدود الدين: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».

من ظاهر النص إلى روح المقصد: حيث يتخذ المذهب الإنساني منهجاً مقاصدياً عبر إعادة الاعتبار للمقاصد الكلية على حساب الحرفية الجزئية، مما يفكك جمود الخطاب المغلق، التي تشبث بظواهر النصوص لإصدار أحكام الإقصاء، وهو الذي لخصه الإمام الشاطبي في الموافقات بقوله: «المقاصد أرواح الشريعة، ومن ضيعها فقد ضيع الدين». إحياء فقه الاختلاف والشك المنهجي: حيث يسعى إلى إحياء فقه الاختلاف بوصفه رحمة وإثراء، وليس سبباً للصراع، استناداً إلى قواعد أصيلة تؤكد نسبية الفهم البشري أمام المطلق الإلهي، كقاعدة «كل يؤخذ من قوله ويُرد» التي وضعها الإمام مالك، وقاعدة الشك التي قعدها الإمام الغزالي بقوله: «من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يُبصر، ومن لم يُبصر بقي في العمى والضلال».

ثالثاً: من الفرقة الناجية إلى النجاة الإنسانية

إن التحرر من الأيديولوجيا المغلقة يوجب تفكيراً جذرياً للمفهوم المحوري الذي تبني عليه تلك الأيديولوجيا وجودها، وهو مفهوم النجاة حيث يحوله أصحاب تلك الأيديولوجيا إلى امتياز حصري لـ «الفرقة الناجية»، بينما يعيد المذهب الإنساني تعريفها بوصفها سعيًا أخلاقياً وكونياً للعدل والرحمة، بعيداً عن منطق الاصطفاء العقدي.

ويؤكد الدكتور محمد حبش هذا المفهوم في كتابه المذهب الإنساني في الإسلام مبدأ

عدالة الله في السماء، حيث يرى أن النجاة ليست حكراً على جماعة، بل هي ثمرة السعي نحو الخير والرحمة والعدل.

إن هذا التحول يحرر الخطاب الديني من عبء «التكفير» و«التبديع»، ويدعو إلى قياس الإيمان بالقدرة على الإحسان والرحمة في التعامل مع الخلق كافة، لا بالولاء للجماعة.

رابعاً: تجربة الإخاء الإنساني

لا يكتفي المذهب الإنساني بالنقد النظري لبنية الإقصاء، بل يسعى إلى ترجمة رؤيته إلى ممارسة واقعية تعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والدين، وبين المختلفين في المجتمع، في هذا السياق تبرز تجربة الدكتور محمد حبش عبر مركز دراسات الإخاء الإنساني حيث يعمل على تجاوز الانغلاق المذهبي والطائفي، من خلال برامج حوارية، ومقاربات تأويلية تعيد الاعتبار للكرامة بوصفها أصلاً سابقاً على الانتماء، هذه الممارسات لا تبع من فراغ بل من وعي عميق بأن الخطاب الإنساني ليس ترفاً بل ضرورة وجودية في زمن الانقسام.

في كتابه المذهب الإنساني في الإسلام وتحت عنوان إخوان في القيم الإنسانية يؤكد الدكتور محمد حبش أن الإخاء الإنساني ليس شعاراً بل هو منهج عملي لإعادة بناء العلاقات بين البشر على أساس الرحمة والمساواة.

ختاماً نؤكد بأن المذهب الإنساني في الإسلام لم يعد مجرد اجتهاد فكري، بل هو ضرورة وجودية في مواجهة ثقافة الإقصاء والعنف الأيديولوجي التي نجحت للأسف في اختزال الدين إلى هوية ضيقة وقيود سلطوية، مما أوقف حركة القيام الحضاري وأفسد العلاقة مع الآخر.

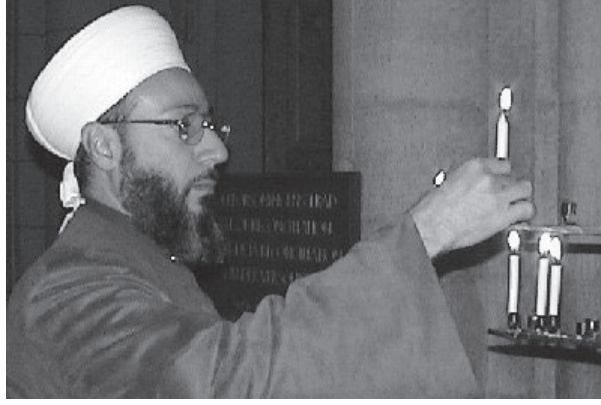
في مواجهة هذا الانغلاق يمثل المذهب الإنساني بما يقدمه من مركزية للإنسان وتحرير للنص عبر المنهج المقاصدي، الطريق للخروج من هذا المأزق.

هذا المنهج يعيد بناء الخطاب الديني على أسس الكرامة والحرية والتعدد والرحمة، ليصبح الدين رسالة إنسانية عالمية لا أداة تمييز.

إن تجربة الإخاء الإنساني كما يجسدها الدكتور محمد حبش هي دليل على إمكانية هذا التحول، فهي علامة مضيئة في طريق طويل يحتاج إلى مزيد من الجرأة الفكرية والإيمان بالإنسان كغاية للتشريع.

في النهاية يظل الرهان على قدرة الفكر الإسلامي على استعادة روحه الكونية ليكون

الدين في خدمة الحياة والإنسانية، وليس الحياة في خدمة الأدلجة أو الجماعة المغلقة. إدارة التحرير تشكر الشيخ مرشد لهذه الكلمة العميقة، وتؤكد على حضور الشيخ معشوق الخزنوي بقوة في فكر ولده مرشد، ونظراً لخصوصية الدور الإلهامي للشهيد الشيخ معشوق الخزنوي في رسالة الإخاء الإنساني، وشراسته الروحية والفكرية العميقة مع الشيخ حبش فإننا نضيف إلى ورقة الشيخ مرشد هذه الكلمات التي كتبها الدكتور حبش بحق الشهيد معشوق، الذي يعتبر بحق مؤسساً في رسالة المذهب الإنساني في الإسلام.



الشيخ معشوق الخزنوي في إحدى زيارته للنرويج
يوقد شموع المحبة والأخوة في معابد اسكندنافيا

قبل عشرين عاماً رحل الإمام معشوق الخزنوي أحد أبرز رجال الحرية في سوريا، ولعله الرجل الوحيد في تقديري الذي كان يستطيع ان يصنع فرقاً لو كتب الله له أن يشهد المظالم السوداء...

كان يرفع على رأسه العمامة، ويختصر فيها شموخ المسلم وجذوره واستقلاله، وفي قلبه عذابات الشعب الكردي المظلوم، يطير بها من أفق لأفق ينشد وطناً من عدالة يعيش فيه الجميع بروح واحدة لا فضل لعربي على أعجمي ولا لكردي على عربي، فالكل سواسية والإنسان أخو الإنسان.

تعلقت به الآمال في كردستان، وصارت كلماته إلهاماً يبعث في الشباب الغاضب ذكرى

كاوا الحداد، وتتدفق من نظراته مشاعر ممّ وزين التي كانت ترسم نيروز الكرد الأخضر، وتوقهم المستمر على القرون لإنشاء ارض الحب والمجال.

سعدت بفرحه بابنه مراد في قامشلو، حيث الآلاف شاركوه فرحة الأرض الخضراء، وهناك تكلم في الحب والجمال، والأمل والرجاء، والأسرة السعيدة، فكانت لوحته في الفرح والنضارة والزهور تسامي ما كتبه شعراء العشق والوجد، وتغمرك بنسيم المحبة والرضا وقرة العين، ولكن غير بعيد من هذا المشهد الوردي الجميل كانت وقفته الشجاعة مع الشهيد فرهاد الذي قضى تعذيباً في سجون النظام، وهناك أقسم لدم فرهاد بأنه سيخلد في تاريخ كفاح كردستان، وقال للجلاد الغاشم بشموخ فريد، فرهاد سيبقى وأنتم زائلون، وما ننشده من مجد التاريخ لا يشبه ما تبثون عنه من زيف وغرور:

ممکن غنی أبرویز یشری وجراح فرهاد هیهات تشری
والذي يجعل القلندر حراً أنه لا يطيق للسر نشرًا

هكذا كان معشوق يتحرك بعمامته الشامخة فيوقد الشموع في الكنائس ويرفع الأذان في المساجد ويحترمه الشيخ والقسيس، ويحتفي به المحراب والقداس، وينادي للمحبة بكل شجاعة كأحد أقوى أصوات الأمة في إخاء الأديان وكرامة الإنسان.

لقد خاض رسالته كمقاتل من أجل الحرية وفارس للكلمة، وخاض جولات طويلة مع طغاة الكهنوت الذين أرادوا العمامة في خدمة الاستبداد، ولن أنسى وقفته في مؤتمر عمان حين كان عدد من رجال الدين قد أعدوا خطة لمحاسبة كل من يفتي بغير إذن ومحاكمته، ومنع الناس ان يفتوا إلا بإذن من المرجعية، وتحت عنوان مواجهة فوضى الفتاوى أرادوا قمع الفكر وخنق الحرية الفكرية، وهناك صرخ معشوق إنها محاكم التفتيش الجديدة والله!! أنصب محاكم الفكر ونعيد قمع الكهنوت على رقاب الأحرار؟؟؟

كان حرياً بنا إذا أردنا قيام هذه الأمة ونهضتها أن نوفر منصة الحصانة لأصحاب الرأي، وأن نتعود سماع الرأي الآخر مهما كان مخالفاً في الفقه أو العقيدة، فالله جعل من أعظم آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم وأديانكم ومذاهبكم وقراءاتكم وتفكيركم، والأمة التي لا تقبل وجود الراي الآخر أمة هالكة بائدة، يحفر قبرها بيديها

الهرطقة الذين تطاردونهم أيها السادة هم الأحرار الذين لا يخافون في الله لومة لائم، إنهم أحرار لا زنادقة، وشرفاء لا مرتزقة، ومبدعون لا ببيغاوات، يقولون ما يعتقدون دون

خوف من سطوة اللاهوت، وهؤلاء صورة مجد للأمة وإن كانوا قلقاً مضطرباً لتجار الأوهام. كان موقفاً صامداً لرجال الإكليروس الذين يحلمون بعودة السطوة اللاهوتية على عباد الله تلك السطوة التي تمنحهم دون سواهم صكوك الغفران، فكانت صرخة معشوق هي الصيحة التي ايقظتهم من أوهامهم ليدركوا أنهم في عالم جديد. لقد فرض احترام العمامة وقدم أكبر دليل على أن التنوير والتجديد الحق هو ذلك القادم من ضياء العمام ونور المحراب.

عشرون عاماً ونحن نعيش ذكراك، نرقب روحك العالية في المجد وأنت ترقى بها في الملأ الأعلى، حيث تخلص رسالتك في ضمائر الأحرار في الأرض، يرشفون بها نداءك الأسمى من عالم الملكوت، وأذكر كلمات كتبتها فيه أيام وداعه النبيل: لماذا أيها الفينيقي الخالد، لماذا يرسم القدر سطوته بهذه المرارة؟ أما أنت فقد أدت رسالتك، ولكن ألم يكن في وسع هذا الدهر اللئيم أن يمنح أحبابك مزيداً من فكرك ورسالتك.

إنهم أيها الشاهين العالي يقرؤون رسالتك في كل مكان، فأنت لم تكن محض رجل محراب على أنه كان يشقق تحناناً لرهبة سجودك، ولم تكن محض مناضل سياسي على أن رسالتك ضربت جذرها في ضمائر شعبك، ولم تكن محض مفكر نائر على أن كلماتك لتمزق صحائف الأسفار، ولم تكن محض مصلح اجتماعي على أن ذوي الحاجات يلوذون ببابك المتواضع، لقد كنت ذلك كله، وأكثر من ذلك.

من حق أهلك في وطنك الحلم أن يقرؤوك نائراً كردياً يؤذن في مسمع العالم بمظالم شعبه، ويسمعه الناس كما لم يسمعوا أحداً من قبل في صيحة الحق والعدل، ومن حقهم أن يجعلوا يومك مناراً وذخراً، وأن يرسموا ملامح عمامتك الشامخة على قوس كردستان حيث جراح فرهاد لا تزال ترتوي بها روحك الطهور وتروي ذكراها.

ولكننا في كفاح التجديد نقرؤك من أفق آخر، نقرؤك نائراً متمرداً على الأساطير العتيقة التي يتاجر بها كهنة المعبد باسم الرب، نقرؤك نائراً متمرداً على الفريسيين والكتبة، تقلب عليهم موائد القمار الديني، وتحطم الأوهام المتربصة بكل صاحب فكر حر، آه للدهر أيها الجبار، لقد دفعت حياتك ثمناً لرسالتك الجريئة والشجاعة، ولكنك تمكنت من رفع الصوت عالياً في حين جبن الآخرون عن اللحاق بك، ومن يستطيع أن يدركك على مراكب الشهادة إلا من باع حياته وروحه ثمناً للمبادئ الكبيرة.

وما قتلوك وما صلبوك، ولكن شبه لهم، وإن رسالتك أيها الجبار أقوى من سياطهم وسجونهم وأخلد من قبورهم وجحورهم ومدافنهم، غداً سير كل الدهر ما ركموه وستبقى رسالتك في ضمائر محبيك وعداً في الغد الآتي، يبشر سائر الليل بشمس الحرية الآتية، وكل آت قريب.

ها نحن على مسافة ستة عشر عاماً من صيحاتك الأولى، وقد غدت كلماتك إلهاماً للروح المتوثبة التي ألهمت جيلاً كاملاً ينشد الحرية ويسعى لبناء عالم جميل يتشارك فيه العرب والکرد قيم الإسلام الكبيرة في الحرية والكرامة.

لا يوجد شيء في العالم يمكنه أن يمحو ذكراك من قلوب محبيك، أو أن يخفف من وقع ثورتك في ضمير القلوب الظائمة للحرية وفق عدالة الرسالة الخاتمة التي كنت تنادي بها كل يوم: أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى

ثمة كلام كثير أيها الجبار لم نقله بعد ولكنها الأيام سجل ناطق، ودرب الحرية أيها العزيز مفروش بدماء الشهداء وللحرية الحمراء باب يدق بالأيدي المضرجة.

سير حلون وتبقى كلماتك، ويطويهم الدهر بكل كلفة ولكنه لن يجرؤ أن يقترب من لوحة مجدك، نحن الذين نؤمن بأن الله خلق العالم من أجل نهاية سعيدة، وأن الخلود كما قضت سنة التاريخ وديوانه لن يكون إلا للأبرار والأحرار.

أيها الجبار حكايتك لن تمحوها الأيام وستظل ذكراك تبعث في الأحرار روح المقاومة والرسالة وتطارد الأشرار في أوكارهم وتسمعهم الكلمة القاصمة إن العاقبة للمتقين.

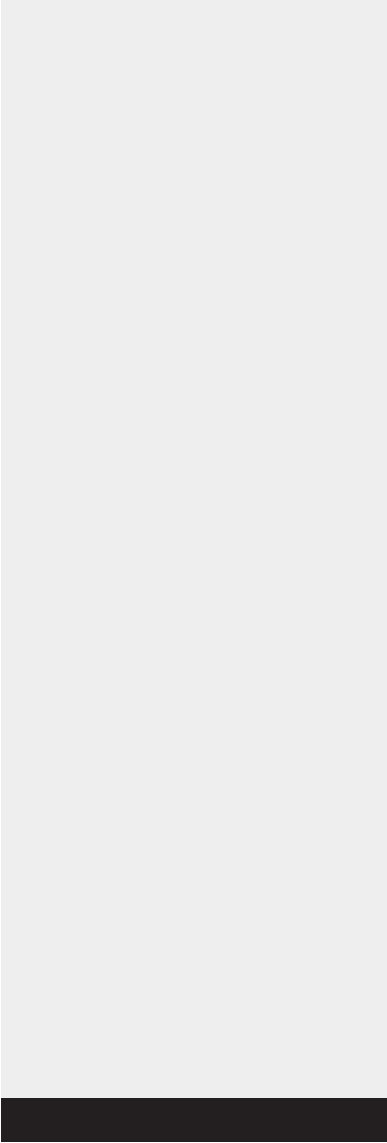


هلال خليل عون

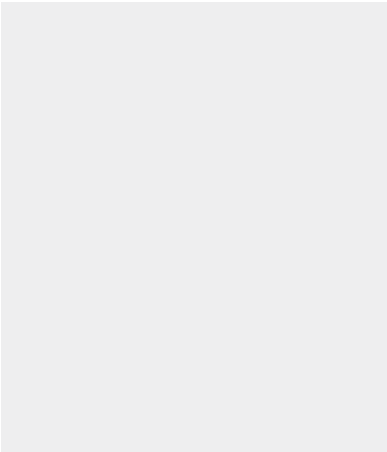
هلال خليل عون كاتب وشاعر سوري وإعلامي حقق شهرة واسعة عبر دراساته النقدية ومقالاته الواقعية، عرف بنقده الشديد لممارسات القمع في سوريا، وطرحه لبرامج الحرية ودولة القانون.

تتركز كتاباته في:

- تعزيز السلم الأهلي ومواجهة التحريض الطائفي.
 - نقد الدكتاتورية والاستبداد والتأسيس لعالم العدالة والقانون.
 - قضايا اقتصادية مثل استثمار الأموال الخيرية والودائع الوطنية.
 - مقالات اجتماعية وأدبية تتناول الأخلاق والعادات اليومية.
- ويعتمد على لغة مباشرة وتحليلية، تجمع بين السرد القصصي والطرح السياسي، ويكتب بأسلوب يجمع بين الصحافة والرأي الشخصي، مما يجعله قريباً من القارئ العادي، مع حضور بارز في الإعلام المحلي والعربي
- يكتب عون اليوم في صحيفة الثورة الرسمية للحكومة السورية الجديدة وقد نشر لقاء مطولاً مع الدكتور حبش حول مشروعه الإنساني في صحيفة الثورة السورية، ويمكن القول إنه أسهم في توسيع دائرة الحرية الفكرية للكتاب في هيئات الحكومة الرسمية، وتجاوز النمط التقليدي الذي يصادر خطاب الموظفين الرسميين لصالح السلطة القائمة.



حول المذهب الإنساني
عند الدكتور محمد حبش



في زمنٍ تتعالى فيه أصواتُ الكراهية، وتُستباح فيه القيمُ باسم الدين، ويُقصى الإنسانُ لمجرد اختلافه في المذهب أو الفكر أو الهوية، يبرزُ المشروعُ الفكريُّ للدكتور محمد حبش كمحاولةٍ جادةٍ لإعادة الاعتبار لجوهر الرسالة الإسلامية في بُعدها الإنساني الرحب. إنَّ المذهبَ الإنسانيَّ الذي يتبناه ويدعو إليه، د. حبش ليس مذهباً فقهياً جديداً، ولا تياراً فكرياً معزولاً، بل هو رؤيةٌ تأويليةٌ إصلاحيةٌ تسعى إلى إحياء إنسانية الدين، وإعادة بناء العلاقة بين الإنسان وربِّه، والآخر والمجتمع على أسسٍ من الرحمة والمساواة والكرامة.

أولاً: ملامح المذهب الإنساني

ينطلق الدكتور محمد حبش في مذهبه الإنساني من حقيقة قرآنية كبرى هي تكريم الإنسان لذاته، أيّاً كان دينه أو جنسه أو لونه، كما قال تعالى:

«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» (الإسراء - 70).

من هذا المنطلق يرى د. حبش أن جوهر الدين هو الكرامة الإنسانية، وأن مقاصد الشريعة كلها تصبّ في حفظها ورعايتها.

ولذلك فهو يؤكد في كتابه «الإنسان أولاً» أن «العبادة لا تؤتي ثمرتها ما لم تثمر حباً ورحمةً وعدلاً بين الناس، فالله غني عن صلاةٍ لا تمنع الفحشاء، وعن صيامٍ لا يُورث الرحمة».

ويستند المذهب الإنساني - كما أرى - إلى دعائم قرآنية راسخة، من أبرزها، مبدأ التعارف: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات - 13).

فالتنوّع في نظر الدكتور حبش ليس لعنة ولا اختباراً للهيمنة، بل هو سُنّة إلهية، غايته التعارف والتكامل. ولذلك يرفض الخطاب الإقصائي الذي يجعل الإيمان مبرراً للعداوة.

ويرى أن الإيمان الحق يُقاس بمدى خدمة الإنسان لأخيه الإنسان، مصداقاً لقوله (ص):

«الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله». هكذا يتحول الدين في المذهب الإنساني إلى منهج أخلاقي للتحرر والتعاطف، لا إلى منظومة أحكام مغلقة، فالله عند الدكتور حبش «لا يسكن المذهب ولا يُحتكر في الطائفة، بل يسكن في قلوب العارفين به من كل أمة ولونٍ ولسان».

ثانياً: مواجهة الانغلاق والتكفير

يتبنى الدكتور حبش في مشروعه الإنساني موقفاً نقدياً شجاعاً من الفكر التكفيري الذي مَرَّق الأمة، إذ يرى أن التكفير هو الخطيئة الكبرى في الوعي الإسلامي الحديث، وأنه نقیضٌ لمقاصد النبوة التي جاءت رحمةً للعالمين.

وقد كرّر في أكثر من مناسبة قوله تعالى:

«وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين» (الأنبياء - 107).

ويرى أن هذه الرحمة ليست شعاراً، بل هي برنامج حياة، فكل فكر أو فتوى أو سلوكٍ يَنْتَهكُ كرامة الإنسان لا يمكن أن يكون من الإسلام. وهو يؤكد في كتابه «محمد رسول الإنسانية» أن «الرسول لم يكن نبياً لجماعة أو حزب، بل كان نبياً لإنسانية الإنسان، وهديةً رحمةً للعالمين لا للعرب أو المسلمين فحسب».

في هذا السياق، يعمل المذهب الإنساني على تحرير الخطاب الديني من أسر الهوية الطائفية، فبدل أن يكون الولاء والبراء على أساس المذهب، يدعو حبش إلى «الولاء للحق والخير والجمال، والبراءة من الظلم والعدوان أينما كان مصدره».

هذه الرؤية تنسجم مع روح الإسلام الأولى التي قال فيها النبي (ص):

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

فلما استغرب الصحابة، قال: تمنعه من ظلمه فذلك نصرك له».

إنها رؤية تجعل من العدل والرحمة معياراً للإيمان، لا الانتماء أو الشعار أو الشكل.

لذلك يعيد الدكتور حبش قراءة المفاهيم الدينية الكبرى في ضوء المقاصد الإنسانية:

- الجهاد يصبح دفاعاً عن الإنسان لا عن الحدود.

- الدعوة تصبح تواصلاً وحواراً لا إكراهاً ولا خصومة.

- الشريعة تصبح إطاراً لحماية الكرامة لا لتقييد الحرية.

ثالثاً: الإسلام كرسالة إنسانية عالمية

يؤكد الدكتور حبش أن الإسلام في جوهره مشروع تحرير، لا مشروع سلطة أو غلبة، فالله لم يخلق الناس ليستعبد بعضهم بعضاً، وإنما ليكونوا خلفاء في الأرض، يحققون عمارتها بالعدل والإحسان. ويستشهد بقوله تعالى:

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» (الحديد:

25).

ومن هنا فإن الرسالات كلها تشترك في المقصد الإنساني ذاته، وهو إقامة القسط بين الناس. لذلك يدعو حبش إلى الإيمان بالأنبياء جميعاً دون تمييز، معتبراً أن من أنكر نبياً واحداً فقد أنكر النبوة كلها، لأن الأنبياء إخوة، وإن اختلفت شرائعهم».

ويذهب أبعد من ذلك حين يرى أن كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فهو على سبيل النجاة، مستنداً إلى قوله تعالى:

«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة - 62).

إنها قراءة تنفتح على العالم، وتعيد للخطاب الإسلامي بعده الإنساني الكوني، في زمنٍ تحوّل فيه الدين في كثير من الخطابات إلى أداة صراع لا رسالة سلام.

رابعاً: المذهب الإنساني كمنهج إصلاح

لا يقف المذهب الإنساني عند حدود التنظير، بل يسعى إلى تحويل الفكر إلى ممارسة اجتماعية، فمركز الإخاء الإنساني الذي أسسه الدكتور حبش، نموذج عملي لترجمة الأفكار إلى حوار وتعاون بين أتباع الديانات والثقافات، إنه مركز «يؤمن بأن الإصلاح الديني لا يكتمل إلا بإصلاح العلاقة بين الإنسان والآخر المختلف»، كما يعبر حبش في إحدى مقالاته.

ويستند في منهجه الإصلاح إلى قاعدة نبوية جامعة:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

بهذا المعنى يصبح المذهب الإنساني مشروع إحياء للرحمة كمحور للخطاب الديني، لا كشعور عاطفي بل كقيمة مؤسّسة للنظام الاجتماعي والسياسي والثقافي.

وهو في هذا يلتقي مع تيارات الإصلاح الديني الكبرى في الفكر الإسلامي، لكنه يتميز بتركيزه على «الإنسان» بوصفه مركز الدائرة، ومناطق التكليف، وغايته النهائية.

نحو وعي إنساني جديد

وفي الختام أرى أنَّ المذهب الإنساني الذي يطرحه الدكتور محمد حبش يمثل عودة صادقة إلى روح الإسلام الأولى، وإلى بشارته الكبرى بالرحمة والسلام.. وهو ليس خروجاً عن التراث، بل تجديدٌ له في ضوء مقاصده العليا. ففي عالم يزداد فيه الانقسام والتنافر، يصبح هذا المذهب أشبه بـ «سفينة نجاة» تحمل في جوفها أملاً للإنسان يبحث عن معنى إنساني يتوافق مع الفطرة، يستعيد روحه بعد أن استبدَّ به الغلو.

لقد آن للأمة أن تُنصت من جديد إلى قوله تعالى:

«قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً» (الزمر - 53).



وليد هنيدي

وليد عقاب هنيدي سوري الجنسية من جبل العرب حاصل على بكالوريوس في إدارة الأعمال وبكالوريوس في المحاسبة من جامعة المستنصرية بالعراق وماجستير بالإدارة من الإمارات قدمت إلى إمارات الخير عام 1982 عملت مدقق حسابات ثلاثة أعوام بشركة عالمية ثم مدير شركة. ثم مدير بنك.

عمل وليد هنيدي في قطاع العمل التجاري وبرز كواحد من أنجح رجال الأعمال في دبي، ولكنه لم يتوقف أبداً عن الاهتمام والانهمام بالشأن الفكري ورصد حركة التنوير ونجح في تقديم رؤية متميزة لبناء منظومة متكاملة بين الواقع والفكر، وحاجة الاقتصاد إلى فكر تنويري يساهم في نهضته ولا يعيق قيامه.

وتتميز دراسة هنيدي بأنها نابعة من تجارب حقيقية في الواقع وتكشف جانباً غائباً في الدراسات الفكرية التي تعتمد غالباً على ما يكتب وينشر بعيداً عما يشاهد ويمارس.

ويرى هنيدي أن الإخاء الإنساني، كما ينادي به الدكتور حبش، ليس مجرد شعارات أو مفاهيم طوباوية، بل هو دعوة للتغيير الفعلي في طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا. فهو يشمل الاهتمام بالعدالة الاجتماعية، والمساواة في الحقوق والفرص، وتعزيز التضامن بين الأفراد والجماعات. وعليه، نجد أن دعوة الدكتور حبش تتضمن رؤية إنسانية شاملة تبتعد عن التفرد والتعالي وتفتح الأفق أمام تعاون متعدد الأطراف.

إلى الإخوة الأعزاء

في مركز دراسات

الإخاء الإنساني

تحية طيبة وبعد،

يسرنني أن أتوجه إليكم بهذه الكلمات في إطار دعوتكم الكريمة للمشاركة في الكتاب الذي يتناول مشروع «الإخاء الإنساني» الذي يتبناه الدكتور حبش في كتبه وبرامجه وحواراته. إن هذا المشروع الذي يعبر عن رؤية عميقة وعالمية تدعو إلى نشر قيم الاحترام المتبادل، والتعايش السلمي، والتعاون بين مختلف البشر، هو من المواضيع التي تلامس قلوبنا في هذا الوقت العصيب الذي يمر به العالم.

إن فكرة «الإخاء الإنساني» التي يروج لها الدكتور حبش تتجاوز حدود الفكر النظري إلى التطبيق العملي، حيث يسعى من خلالها إلى تأسيس حركة فكرية وإنسانية تعيد النظر في مفاهيمنا التقليدية حول العلاقات بين الأفراد والجماعات والثقافات. هذه المبادرة ليست مجرد دعوة للتسامح، بل هي دعوة جادة وواقعية للانفتاح على الآخر، وفهم التنوع البشري باعتباره مصدر قوة لا ضعف، وموارد مشتركة لا أسباب تنافر.

من خلال قراءة أعمال الدكتور حبش، يمكن للمرء أن يلاحظ التزامه العميق بالمبادئ الإنسانية التي تدعو إلى احترام حقوق الإنسان، والاعتراف بالاختلاف، والتأكيد على أن الإنسانية بأسرها جزء من كيان واحد لا يتجزأ. تتجسد هذه المبادئ في عدة مجالات من العمل الفكري، بدءاً من حوار الثقافات وصولاً إلى مشاريع التعاون الدولي التي تدعو إلى بناء جسر من الفهم المشترك بين الشعوب والأديان.

إن هذا المشروع يدعونا اليوم إلى التفكير في التحديات الكبيرة التي تواجهنا في مجتمعاتنا المعاصرة. ففي عالم يعاني من تزايد التوترات السياسية، والصراعات العرقية، والانقسامات الاجتماعية، يصبح من الضروري أكثر من أي وقت مضى أن نعيد اكتشاف القيم الإنسانية التي تجمعنا وتوحدنا بدلاً من أن تفرقنا. ومن هنا، تبرز أهمية «الإخاء الإنساني» في خلق فضاء فكري مفتوح حيث يمكن لكل فرد، بغض النظر عن خلفيته الثقافية أو الدينية أو العرقية، أن يشارك في بناء هذا المستقبل المشترك.

إن الإخاء الإنساني، كما ينادي به الدكتور حبش، ليس مجرد شعارات أو مفاهيم طوباوية، بل هو دعوة للتغيير الفعلي في طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا. فهو يشمل الاهتمام بالعدالة الاجتماعية، والمساواة في الحقوق والفرص، وتعزيز التضامن بين الأفراد والجماعات. وعليه، نجد أن دعوة الدكتور حبش تتضمن رؤية إنسانية شاملة تتعد عن التفرد والتعالي وتفتح الأفق أمام تعاون متعدد الأطراف.

وفي هذا السياق، أود أن أشارك في هذه الدعوة الفكرية من خلال تسليط الضوء على أهمية تكامل الأفكار والجهود في نشر هذه الرؤية الإنسانية. إن قوة هذه الدعوة تكمن في شمولها وعمقها، وفي قدرتها على إحداث تغيير حقيقي في القيم الاجتماعية والسياسية. وإنني أرى أن أهمية مشروع الإخاء الإنساني لا تقتصر على كونه فكرة، بل يتعداها ليكون مشروعاً عملياً قابلاً للتنفيذ في الواقع.

إن مركز دراسات الإخاء الإنساني، الذي يضم كوكبة من المفكرين والباحثين المرموقين، يمثل مساحة خصبة لتعميق النقاش حول هذه الرؤية وتوسيع دائرة التأثير على مختلف الأصعدة الأكاديمية والعملية. إذ يمكن لمثل هذا المركز أن يساهم في تشكيل بيئة فكرية ملهمة تعزز من الحوار بين مختلف الثقافات والتوجهات الفكرية، وتساهم في نشر الوعي بأهمية العمل المشترك نحو بناء عالم أكثر عدلاً وإنصافاً.

وأخيراً، أتوجه إليكم بالشكر الجزيل على هذه الفرصة للمشاركة في هذا المشروع الهام. وإنني على استعداد لتقديم كل ما أستطيع من جهد وفكر في سبيل إنجاح هذا الكتاب وتحقيق أهدافه السامية.



باسل قس نصر الله

باسل قس نصر الله كاتب وباحث ومؤرخ حليبي، صدر له العديد من الدراسات العلمية والتاريخية.

عرف باسل بدراساته المتخصصة في الحوار الإسلامي المسيحي، وقد اكتسبت هذه الدراسات أهمية خاصة بالنظر للدور المجتمعي الذي مارسه باسل خلال سنوات طويلة من المبادرات الإيجابية البناءة في سوريا وبشكل خاص في مدينته حلب كما سمي المهندس باسل مستشاراً لمفتي الجمهورية في سوريا كأول مسيحي يتم اختياره لهذا المنصب، وقد منحه ذلك القدرة على تقديم مبادرات متتالية للإخاء الإسلامي المسيحي كما جعله من جانب آخر عرضة للاتهام والتشكيك بالنظر لمواقف المفتي حسون السياسية والتي اعتبرت مستفزة لكثير من المسلمين.

في قراءته لمشروع الإخاء الإنساني يشرح نصر الله أن هذه السطور ليست تعريفاً أكاديمياً بالشيخ الدكتور محمد حبش، بل هي شهادة إنسانية في رجل اختار طريقاً صعباً: طريق الإصلاح. ولم يتردد في مواجهة ثقافة مترسخة، ولم يخش من القول بأن الدين يجب أن يتطور، وأن التشريع مرتبط بالناس، وأن الحب قيمة لا تُهمل، وأن التاريخ لا يُقدّس، وأن الديمقراطية ليست بدعة، وأن الخصام يُعالج بالحكمة لا بالقوة.

نبذة عن الشيخ الدكتور

محمد حبش..

كما يكتبها صديق^ه

المسيحي المهندس

باسل قس نصر الله

أكتب عن محمد حبش كما عرفته وكما رأيته في مواقفه الشجاعة، وفي كلماته التي أثارت فكراً وحركت نقاشاً وواجهت إرثاً ثقيلاً من الجمود والخوف من التغيير. هو ليس شيخاً تقليدياً، ولا باحثاً يكرر ما قاله السابقون، بل رجلٌ وضع قدمه في أرض متحركة وقرر أن يقول ما يراه حقاً، حتى ولو كلفه ذلك الكثير.

رجل يربط الدين بالديمقراطية

أول ما يستوقفني في فكره هو إصراره على أن يكون العمل الإسلامي جزءاً من مشروع مدني يقوم على الاقتناع لا على الإكراه. لقد قالها بوضوح:

«إن علينا كإسلاميين أن نقدم مشروعنا للناس على المركب الديمقراطي، ويتعين علينا أن نقنع به الناس بالفكر والممارسة»

في بيئة اعتادت أن ترى السياسة امتداداً للغلبة أو العصبية، يأتي كلامه كاختراق حقيقي: لا سلطة دون قبول شعبي، ولا مشروع ديني خارج آلية الاقتراع والنقاش والشفافية. لقد أراد الإسلام السياسي أن يتصالح مع العصر لا أن يواجهه، وأن يكون جزءاً من العملية الديمقراطية لا خصماً لها.

وموقعي كمسيحي يجعلني أرى قيمة هذه الجملة أكثر مما قد يراها غيري، لأنها تقول إننا جميعاً - مهما اختلفت معتقداتنا - نحتكم لصندوق واحد، وقانون واحد، وإرادة واحدة.

فقيه يعترف بأن الأحكام تتغير

يمتلك الشيخ محمد حبش شجاعة قلماً نجدها في رجال الدين. فهو لا يخاف من الاعتراف أن التشريع في الإسلام لم يكن يوماً ثابتاً، وأنه كان دائم التفاعل مع حاجات المجتمع. يقول: «إن الله ورسوله قد أقرّا باستمرار تعديل الأحكام ونسخها بناء على طلب الجمهور وحاجات الأمة»

هذه الجملة وحدها كافية لتغيير طريقة فهم أجيالٍ كاملة للدين. فهو يعيد النص إلى مقاصده

الأولى: خدمة الإنسان. ويصرّ على أن الشريعة ليست نظاماً مغلقاً، بل تجربة حيّة قابلة للتعديل والتطوير. ولذلك لا يتردد في القول إن النص قد يواجه تخصيصاً أو تقييداً أو حتى نسخاً، وأن جمهور الناس كان دائماً جزءاً من عملية التشريع. هذا الفهم يفتح باباً واسعاً للإصلاح الديني، ويمنح الناس فرصة لرؤية دينهم كمنظومة قابلة للحوار، لا كجدارٍ صلب لا يُمسّ.

قراءة شجاعة للتاريخ

لم يكتفِ الشيخ حبش بمراجعة النصوص، بل ذهب إلى التاريخ أيضاً. وفي واحدة من عباراته الصريحة يقول: «ليس المدهش أن يتباهى العربي بالإغارة على مضارب بني عمه وقتل الرجال وسبي النساء والأطفال، ولكن المدهش أن هذا العمل لم يكن يلقي أي استنكار، بل كان يُنظر إليه على أنه مجد ونصر.»

هذه الجملة ليست نقداً للعرب بقدر ما هي نقد لثقافة مجّدت العنف واعتبرته بطولة. وهي محاولة لوضع الماضي في مكانه الطبيعي: زمن له ظروفه، لا نموذجاً يُعاد إنتاجه. لقد رفض أن يُحمّل الدين ما فعله البشر في لحظات الغلبة، ودعا إلى قراءة التراث بعين الباحث لا بعين الممجّد.

كثيرون يخافون من هذه المقاربة، لأنها تسحب القدسية من التاريخ وتعيدها إلى الإنسان. أما هو، فلا يرى في ذلك خطراً بل ضرورة.

إعادة الاعتبار للحب

من أجمل ما قاله الشيخ، وأكثره إنسانية: «إني أُلوم الفقهاء الذين عزفوا عن استعمال لفظة الحب في علاقات الخاطبين والمتزوجين، واستبدلوا منها لفظة حسن العشرة أو العشرة بالمعروف» هنا يبدو وكأنه يستعيد الكلمة التي حُجبت طويلاً. الحب - بالنسبة له - قيمة أخلاقية وروحية لا يمكن أن تُستبدل بجمل تقنية. لقد أراد للزواج أن يكون علاقة قلبية لا مجرد عقد، وإرادة مشتركة لا مجرد التزام اجتماعي.

ومن موقعي كمسيحي يؤمن بأن المحبة هي جوهر الوجود، أرى في هذه العبارة تجسيداً لحقيقة بسيطة: ما لم يكن الحب أساس أي علاقة، فلن تبقى هذه العلاقة إلا شكلاً فارغاً، مهما كُتبت فيها من أحكام.

الحكمة في تهدئة الخصام

في زمنٍ تتسع فيه الخلافات وتعلو أصوات التحريض، يقف الشيخ حبش موقفاً مختلفاً، فيقول:

«إن كثيراً من أشكال الخصام تبدو عنيفة قاسية، ولكنها عند الحكيم ليست إلا لوناً من الهياج الذي يُطلب تهدئته وليس القصاص عليه، والزمن والأناة كفيلاّن بمعالجة كثيرٍ من أسباب الشقاق»

هذا الكلام يكشف جوهرأ أخلاقياً عميقاً: لا تُحل المشكلات بالصراخ، ولا تُدار النزاعات بردودٍ عنيفة، بل بالصبر والهدوء والإصغاء. فكثيرٌ مما نراه خلافاً حاداً هو في الحقيقة لحظة انفعال، وما تلبث أن تخبو إذا وُجد من يحتضنها لا من يشعلها. إنَّها رؤية إصلاحية تقوم على مبدأ الاحتواء لا الإقصاء، وعلى فكرة أن الإنسان أكبر من خطئه، وأن المجتمع لا يبنى بالمحاكمات المتبادلة.

شيخٌ يعبر الطوائف بطمأنينة

أعرف أن كثيرين يكتبون عن الشيخ من داخل دائرته الدينية أو مدرسته الفكرية، لكن أن يطلب شيخٌ مسلم من صديقه المسيحي أن يكتب عنه، فهذا وحده يكشف روح الرجل. فهو لا يرى في اختلاف الدين حاجزاً، بل يرى فيه ثراءً. ويعتقد أن المعرفة لا تُختزل في معسكرات، وأن وصف الآخر لا يحتاج تطابقاً في العقيدة، بل صدقاً في النظر.

لقد رأيت في هذا الطلب ثقةً بالنفس، وثقةً بالإنسان، وثقةً بأن ما يجمعنا - نحن أبناء هذه الأرض - أقوى من كل الفوارق.

خاتمة

هذه السطور ليست تعريفاً أكاديمياً بالشيخ الدكتور محمد حبش، بل شهادة إنسانية في رجلٍ اختار طريقاً صعباً: طريق الإصلاح. لم يتردد في مواجهة ثقافةٍ مترسخة، ولم يخش من القول بأن الدين يجب أن يتطور، وأن التشريع مرتبط بالناس، وأن الحب قيمة لا تُهمل، وأن التاريخ لا يُقدّس، وأن الديمقراطية ليست بدعة، وأن الخصام يُعالج بالحكمة لا بالقوة. أكتب عنه بصفتي مسيحياً، لكن الحقيقة أنني أكتب عنه بصفتي إنساناً يرى في مشروعه نافذةً للعبور نحو غدٍ أكثر رحمةً وعقلانية. وربما لهذا السبب بالذات، سيبقى محمد حبش - برأيي - واحداً من أكثر الأصوات الدينية شجاعة ووعياً في زمنٍ يحتاج بشدة إلى من يقول الحقيقة، لا من يردد ما قيل من قبل



حسن صباريني

الدكتور حسن محمد صباريني، أكاديمي أردني، دكتورة في فلسفة أصول التربية.. عضو
رابطة الكتاب الاردنيين..

صدر له سبعة كتب في الفكر والفلسفة والأعلام والسير: كونفوشيوس، واحة المعتزلة، عقيق
منثور، ثمامة أمام محكمة التاريخ، من وحي الجنائز، الربان والبوصلة «سيرة ياسر عرفات»، سفر
في أوراق عتيقة.

اشتغل الصباريني طويلاً في رسالة العقل في الإسلام وعمل على إحياء الدور المعتزلي
بوصفه طيفاً منفتحاً في الفكر الإسلامي وليس بكونه حالة ردة وزندقة.

في كتابيه واحة المعتزلة و ثمامة أمام محكمة التاريخ دافع الصباريني عن أئمة الاعتزال كثمامة
بن أشرس وبشر المريسي والجاحظ والعنبري وغيرهم بوصفهم ظاهرة حوار وتأمل كان يرسم
ملامح صراع العقل والنقل في التاريخ الإسلامي، ويعدده لمناقشة الحاضر، والدعوة إلى إحياء
دور العقل ورسالته في الفكر الإسلامي.

خاض الصباريني مواجهات متعددة، ولكنه لم يفقد بوصلة الرسالة الإنسانية في كل ما كتب،
وظل يبشر بعصر الإنسان الذي يقوم على احترام الاختلاف والتعدد، والإيمان بكل ما زرع الله
في نفس ابن آدم من موارد الخير والوعي والنور.

ويرى الصباريني أن دعوة الشيخ حبش للوعي بالماضي كدروس نتعلم منها والتوجه نحو المستقبل كمسؤولية نصنعها توجب علينا إعادة النظر في كثير مما تركه الآفلون، وبشكل خاص في العلاقة مع المختلف ديناً ومذهباً، وبالتالي المواجهة الحتمية مع فتاوى الغلو والتكفير التي لم تقف عند حدود المختلف في الدين، بل دخلت أيضاً إلى المختلف في المذهب واتخذت شكلاً أشد ضراوة وعنفاً

رسالة المذهب الإنساني
عند دكتور حبش

«الإنسانية» يتفق المؤرخون أن المصطلح يسبق التعريفات التي ظهرت لوصفه، والتي تشمل معانٍ عدة، أهمها إظهار الاحترام والإحسان وتقدير قيمة التعلم البشري. ولا تزال كلمة «إنسانية» تحمل مجموعة شتى من المعاني؛ فهي تشير في معناها الرحب الى منظومة فكرية تعتبر فيها القيم والكرامة الإنسانية ذات أهمية خاصة. وبهذا المعنى ربما يصبح تقريبا كل شخص منا إنسانيا.

تساءل الدكتور محمد حبش: هل الأصل في علاقات الأديان الكراهية والعداوة، وهل تعبّدنا الله تعالى ب بغض المخالفين في الدين؟!

والرد المناسب يأتي دائما من القرآن الكريم الأصل الأول في التشريع.. ذكر الزمخشري في تفسير ودلالة الآية الكريمة (8 ، الممتحنة) « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) .

هذه الآية تسمح بالتعامل بالخير والعدل وإسداء المعروف مع غير المسلمين الذين لم يؤذوا المسلمين ولم يحاربوهم، فقد يكونوا جيراناً أو يشاركون المسلمين في شيء من أمور الحياة. وذكر القرطبي في تفسير آية 13 سورة الحجرات « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) .

الهدف من خلق البشر شعوباً وقبائل هو التعارف وليس التنافر بالأنساب، فالتعارف ضروري للتعاون والتعاقد والتكافل الاجتماعي.

والعودة الى الماضي في أزمنة وحقب نرى الظلم والكراهية وسفك الدم نتيجة التعصب والصراع السياسي وتوظيف الدين فيها بغير ما شرع له.

ذكر الدكتور محمد حبش: «إن ثقافة الكراهية لم تقف عند حدود المختلف في الدين، بل دخلت أيضاً الى المختلف في المذهب واتخذت شكلاً أشد ضراوة وعنفاً».

بعض الأمثلة التي تؤكد ما ذكره الدكتور حبش:

- حرب الثلاثين عاماً (1648-1618م): حرب مدمرة اندلعت في أوروبا الوسطى وكانت صراعاً بين الولايات البروتستانتية والكاثوليكية.

- مذبحة سان بارتولوميو (1572م) : مجزرة كاثوليكية راح ضحيتها الآلاف من الهوغونوت (البروتستانت الفرنسيين).

تضمن التاريخ الإسلامي صراعات كبرى في غالبها - رغم وجود التعصب المذهبي - كانت سياسية ونزاعاً على السلطة ولا يزال أثرها حتى اليوم.

فالصراع السني الشيعي أساسه النزاع على الخلافة، وجذوره روايات ومعتقدات واختلافات فقهية، يُستغل دائماً في كل العصور لتأجيج الانقسام بخطاب الكراهية.

والاعتماد على فتاوى صدرت في الماضي البعيد تم استخدام مصطلحات مهينة وخطيرة ومؤثرة فيها التكفير ورفض الآخر والتعصب، لا يزال البعض من دعاة العلم يستند إليها.

ليس كل فتوى تصلح لكل زمان.. فالإمام الشافعي غير بعض الفتاوى والأحكام الفقهية وذلك نتيجة لاختلاف الأزمان والتطور العلمي لديه، وعرف ذلك بـ (القول القديم) الذي كان في بغداد إلى (القول الجديد) في مصر، وكان السبب للتغيير اطلاعه على نصوص جديدة وأدلة أكثر، إضافة إلى الاستفادة من علماء آخرين.

في بحث مهم يستحق النشر والاشادة للدكتور محمد حبش عنوانه (النبي الديمقراطي) كان بمثابة جولة سريعة في سيرة النبي الكريم، تم التقرب من كفاحه لبناء العدالة الاجتماعية أو ما بات يعرف بالكفاح (الديمقراطي).. والإشارة إلى القيم الديمقراطية في الإسلام الإنساني والسياسي، وذكر مواقف ديمقراطية شتى في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام منها:

في الشورى (يوم بدر والخندق)، في المساواة (دستور المدينة والأقليات)، وفي الحريات والتشريع الديمقراطي.. وأخيراً..

لا بد من الإقرار أننا جزء من الإنسانية ويستحيل حل مشكلات العالم المعاصر من خلال مقارنة فكرية واحدة، بل نحتاج في معالجتها إلى تنوع في الآراء من مختلف ثقافات العالم. تعزيز ثقافة الاختلاف واحترام التنوع وقبوله والتعايش السلمي.. وإدراك أن الاختلاف طبيعي وفطري.. وما يخالف الفطرة والطبائع السلمية وكل الأديان غياب التسامح والتعصب والنزعة الاستثنائية.



علاء الدين آل رشي

مفكر وكاتب وباحث في الفكر المعاصر والقضايا الثقافية، له إسهامات في النقد الفكري والحوار الثقافي، ويعمل على مقاربات تحليلية لقضايا الهوية والتعددية والشأن العام. درس العلوم الشرعية في المعاهد الدينية بدمشق، ثم غادر إلى السعودية حيث أسس فيه دار الناقد للنشر، ثم تحول إلى دمشق ليستأنف عمله الفكري والعملي.

مع قيام الثورة السورية انحاز علاء إلى الثوار، وتعرض للملاحقة حتى سُنحت له الفرصة فغادر إلى ألمانيا مع أسرته منذ 2012 وهو يقيم فيها حيث أسس المركز التعليمي لحقوق الإنسان، كما أسهم في تأسيس الرابطة العربية الكردية التي تعني بتعزيز العلاقات العربية الكردية. سبق للدكتور علاء أن نشر عدداً من الأعمال العلمية للدكتور حبش منها: المرأة بين قول الله وشرح الشارح، والمرأة في حياة محمد، والخطوبة والحب الحلال، ورسالة الجهاد من الغزو إلى الجيش الوطني.

كما أصدر آل رشي عدة دراسات مشتركة مع الدكتور حبش منها كتاب: لسنا أعداء لكم. كما قام بنشر عدة دراسات متخصصة حول فكر الدكتور حبش منها دراسة نشرها في الجزيرة بعنوان: محمد حبش بين الفقه المأسور والوعي بالمأثور.

ويعتبر الدكتور آل رشي من أبرز الباحثين في التيارات الإسلامية في بلاد الشام، وقد اهتم

مبكراً بمشروع الدكتور حبش نقداً ومتابعة ونشراً، وكتب في المتفق والمفترق.
يرى آل رشي أن مشروع الدكتور حبش الإنساني يعتبر واحداً من المشاريع الجادة التي
أعادت الاعتبار للإنسان في قلب العملية الدينية، وطرحت سؤال الكرامة والحرية بوصفه سؤالاً
دينيّاً لا مجرد شعار ثقافي. فهو مشروع لم يكتمل منهجياً بعد، ولكنه فتح باباً لا يمكن تجاهله
في محاولة إعادة بناء العلاقة بين الدين والإنسان

المذهب الإنساني في قراءة
د. محمد حبش: دراسة
في إعادة بناء العلاقة
بين الدين والإنسان

ليس من السهل تقديم قراءة متكاملة لمشروع د. محمد حبش في تجديد فهم الإسلام دون التوقف عند الخلفية الفكرية التي انطلق منها، ثم عند البيئة السورية التي خاض فيها تجربته. المحاولة التي قام بها تتجاوز فكرة مبادرة فقهية بسيطة، أو لغة إصلاحية تزيينية استعارت قاموس الحداثة، وإنما هي محاولة لتغيير زاوية النظر إلى العلاقة بين الدين والإنسان، بين النص والمقصد، وبين الشريعة ومساحات الحرية التي يحتاجها الإنسان ليكون إنساناً مكتملاً في نظر خالقه ونظر المجتمع.

هذه القراءة جعلت د. حبش في قلب جدلٍ طويل؛ فهو ابن المؤسسة التقليدية، وهو ناقد متواصل لأدائها في آن واحد، وتلك تركيبة نادرة في الفكر الديني المعاصر. الحاضنة:

نشأ د. حبش في بيئة شامية تتسم بصوفية عريقة، وامتداد معرفي في التاريخ الديني للمنطقة.

والعامل الشامي مفتاح مركزي لفهم الميل نحو قراءة الدين بوصفه مثلاً أخلاقياً وتربوياً قبل أن يكون مؤسسة تشريعية صارمة.

دمشق التي أنتجت طيفاً واسعاً من التجارب المدرسية والمذاهب الفقهية كانت دائماً أقرب إلى تصور الدين كحالة حضور إنساني، لا كقانون مغلق. لذلك لا نكاد نفاجأ حين نرى د. حبش يميل إلى:

* إحياء القيم على حساب الأحكام.

* تحليل التراث من داخله دون نزع قداسته كاملة، ودون التسليم به كما هو.

* لا يتعامل مع الماضي بروح الانتقام أو القطيعة، وإنما بروح القراءة النقدية التي تبحث عن الجوهر.

وحين يتحدث د. محمد حبش عن "المذهب الإنساني" في الإسلام، فهو لا يقصد اختراع دين جديد، وإنما إعادة ترتيب الهرم؛ أن يجعل الإنسان في الأعلى لا في الأسفل، وأن يتعامل مع الشريعة باعتبارها جاءت لخدمة الإنسان لا لإقصائه.

تتجلى جراته الأساسية: في أنه يضع "كرامة الإنسان" قبل كل شيء، ويعتبر أن القيم الكبرى التي جاءت بها الرسالة القرآنية لا يمكن أن تتحول إلى أدوات لإذلال البشر،³. الإسلام الذي خاطب الإنسان الحر المسؤول لا يمكن أن يقبل بأن تكون النصوص سجناً لحريته.

هكذا يتحول الإنسان إلى معيار قراءة النصوص، وتلك خطوة فلسفية لا تقل ثقلًا عن جرأتها. المدرسة التي يقف أمامها د. حبش هنا هي المدرسة النصية الحرفية، فيرى أن النص لا يكتمل إلا بحضور مقصده، وأنه قابل لإعادة الفهم بقدر ما تتغير الحياة، وأن الفقه إنما هو نتاج العقل المسلم عبر القرون. لذلك يتعامل مع الفقه بوصفه تفسيراً زمنياً للشرع لا الشرع نفسه.

ومع أن د. محمد حبش لم يدعُ إلى إسقاط التراث، إلا أنه أراد تحريره من صمنية التقليد، إذ اعتبر أن الفقه في أغلب مدارسه عاش في ظل حضارات ذكورية، وأن جانباً من الأحكام المتعلقة بالمرأة تأسس على رؤية ثقافية تقليدية حوّلتها إلى كائن تابع للرجل. لذلك لا بد من إعادة النظر في هذه الأحكام وفقاً لقيمة الإنسان لا وفقاً للتقاليد، وأن المرأة إنسان كامل مكافئ للرجل في الحرية والكرامة.

أما في مسألة الاعتقاد والحريات، فإن د. حبش ينطلق من المعنى القرآني العميق للحرية؛ حرية الإيمان وحرية الرفض، لأن الإيمان في جوهره اختيار، والمكره لا يمكن أن يكون صاحب عقيدة صادقة، ولذلك يفتح باب القبول المتبادل مع الآخر، سواء كان مسلماً مختلفاً أو غير مسلم، لأن الرابطة الأخلاقية والإنسانية أقرب إلى روح الدين من رابطة التمايز أو الاستعلاء.

ومع تطور مشروعه نحو العالمية، أصبح الإسلام في نظر د. حبش رسالة كونية، وصار الإنسان - أي إنسان - موضعاً لرسالة الله. هذا يفسّر ميوله الواضحة إلى حوار الأديان، وبناء فهم إنساني واسع يخرج من ضيق الهوية المغلقة إلى سعة اللقاء البشري المشترك. ولا يمكن فهم موقفه من النص دون إدراك رؤيته بأن النص نفسه قابل للتعدد الدلالي، وأن المرجعية الفقهية ليست سلطة نهائية. وهذا يعني أن الاجتهاد مفتوح ما دامت الحياة متغيرة، وأن "حفظ الكرامة" غاية مركزية، وأن أي حكم يناقض هذه الغاية يحتاج إلى إعادة النظر فيه على مستوى المقاصد.

غير أن هذه الرؤية لم تخلُ من أخطاء وثغرات، بل تعرضت لملاحظات جوهرية؛ فالبعض

يرى أن د. محمد حبش توسّع كثيراً في فكرة تاريخية الأحكام حتى بدا وكأن كل الأحكام قابلة للتبديل بلا حدود واضحة بين النص القطعي والاجتهاد الظني. كما اعتمد كثيراً على فكرة المقاصد دون بناء أصولي صارم يحدد من يحدد المقصد وكيف يتم الترجيح بين النص والمقصد، فظل مشروعه في لحظات معينة أقرب إلى الأخلاق منه إلى الفقه المنهجي.

وأحياناً تميّز خطابه بنزعة مثالية تطالب بالمساواة والحرية دون تقديم تصورات تشريعية واقعية قابلة للتطبيق، مما جعل مشروعه في مواضع كثيرة تنظيراً أخلاقياً أكثر منه بناءً فقهياً. ثم إن د. حبش يتناول التراث ككتلة واحدة تحتاج إلى إعادة قراءة، لكنه لا يعود كثيراً إلى المدارس الإصلاحية الإسلامية نفسها، كابن عاشور أو ابن باديس أو الشاطبي، مما جعل مشروعه يبدو منفصلاً عن سلسله التاريخية رغم أنه يستند إليها في نقده. وإلى جانب ذلك فإن تركيزه الكبير على "الإنسانية العالمية" قد ينتهي أحياناً إلى تذويب الهوية الإسلامية في قيم كونية عامة دون توضيح الفواصل بين الإسلام كدين وبين الأخلاق الإنسانية كتصور عالمي، وازدادت هذه الإشكالية حين ظهر غموض في موقع السنّة النبوية عنده: هل هي وحي؟ أم تفسير تاريخي؟ وأدى ذلك إلى اضطراب منهجي في تحديد مصادر التشريع. إن كثافة الصراع الفكري دفعته أحياناً إلى خطاب ردّ الفعل، فصار التجديد عنده نقيضاً للتقليد، لا بناءً مستقلاً، مما حرّمه في بعض اللحظات من العمق التأصيلي الذي يحتاجه مشروع بهذا الحجم.

وعلى الرغم من هذه الملاحظات، يبقى مشروع د. محمد حبش واحداً من المشاريع الجادة التي أعادت الاعتبار للإنسان في قلب العملية الدينية، وطرحَت سؤال الكرامة والحرية بوصفه سؤالاً دينياً لا مجرد شعار ثقافي. فهو مشروع لم يكتمل منهجياً بعد، ولكنه فتح باباً لا يمكن تجاهله في محاولة إعادة بناء العلاقة بين الدين والإنسان، وأعاد إلينا القدرة على سؤالٍ بديهي ظل غائباً طويلاً: لماذا جاءت الرسالات؟ وما جدوى الدين إذا لم يكن قوة لرفع الإنسان وتعزيز حريته وتنمية كرامته.



مفيدة مصطفى

مفيدة مصطفى معلمة متقاعدة أكملت خمسة وعشرين عاماً من العمل التربوي، عملت خلالها في مدارس حمص وطرطوس، وهي عضو في التجمع العربي للتنوير، الذي يرفع شعار تحرير العقل ويقتطع الضمير وبناء الوجدان.

شاركت مفيدة في كثير من البرامج التربوية على مستوى سوريا، وقدمت رؤية واضحة منحازة للمذهب الإنساني، الذي يتسامى على الانتماء العرقي والديني والطائفي.

تري مفيدة أن مشروع الدكتور حبش يستأنف بشجاعة ووعي جهود أئمة التنوير في التاريخ الإسلامي، ولكنه لا يقف عند حدود الإصلاح الترقيعي بل هو يسعى إلى تغيير شامل يتجاوز القيود التي فرضتها القوى المتعصبة على الإنسان فأنهكت روحه وقلبه وساقته إلى خيارات غير إنسانية.

وتري مفيدة أن الدكتور حبش يمثل ظاهرة مهمة على مستوى الوطن السوري كمفكر تجاوز حدود الوطن، وبات يحقق صوتاً مسموعاً على المستوى العالمي في حوار النخب الإنسانية المؤمنة بأن الحلقت كلهم عيال الله وأن أحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

تناولت مفيدة كتاب المذهب الإنساني في السلام للدكتور حبش بالتحليل الموضوعي، والدراسة النقدية، وحددت ملامح خطاب إنساني عابر للقوميات والطوائف والمذاهب، ولكنها رفضت الفكرة القائلة أنه تغريد خارج السرب، بل كانت تؤكد بوضوح أن فكرة الكتاب وجوهره لا تخرج عن الثوابت الإسلامية بل هي معتصمة بالثابت الراسخ من القرآن الكريم والسنة النبوية.

المذهب الإنساني في الإسلام..

في ظل الظروف العالمية الراهنة. في عصر العولمة وما رافقه من تشييء حتى للإنسان، في عصر المادة. والمادة فقط أصبح العالم بأمس الحاجة للبحث عن مخرج لهذه الأزمة العالمية.. أزمة الأخلاق وغياب الضمير، لا بد من العودة إلى فطرة الله في الإنسان. الفطرة الجميلة، حيث خلق الإنسان في أحسن تقويم، تظهر أهمية العودة إلى المذهب الإنساني الذي دعا إليه الكثير من المفكرين والفلاسفة، وهو جوهر الديانات، وهو المذهب الذي يدعو دومًا إلى العدل والمساواة والرحمة.

ومن رواد المذهب الإنساني الكبار الدكتور العلامة محمد حبش داعية السلام العالمي.. يسابق الزمن ليكتب بكل المناسبات عن الإخاء الإنساني ودوره في خفض الصراعات بالعالم.. وتراجع العنف والحروب.

لقد أغنى د. محمد حبش المكتبة العربية بكتبه في الإخاء الإنساني، خاصة كتابه المذهب الإنساني في الإسلام، حيث غاص بعمق النص المقدس واستخرج الدرر التي تدعم جوهر الدين ومقاصده وهو المعنى الذي جاءت به آيات كثيرة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وكذلك في الحديث الشريف: (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله انفعهم لعياله).

يؤكد الكاتب على أهمية المذهب الإنساني الذي نادى به وعمل من أجله فلاسفة بكل أنحاء العالم.. يركز الكتاب على محورية الإنسان ليذكرنا أنه لم يظهر في التاريخ اتجاه ديني ولا سياسي إلا وهو يتحدث عن الإنسان جوهرًا وغاية، ويعد تحقيق سعادته معياراً لصحة الدين وصحة التوجه الإنساني.

يؤكد الدكتور حبش أن الحديث عن المذهب الإنساني هو سياق طبيعي في كل حركات النهضة، ويقدم كتابه للقراء بعبارة شهيرة: حين تتألم لجرحك فأنت حي.. وحين تتألم لجرح الآخر فأنت إنسان! وهو ما يعكس عمق اتصال هذا المذهب بعصر الأنوار الأوروبي، وينقل باستمرار كلمة فيلسوف الإنسان إمانويل كانت: ولو كانت سعادة البشرية تتوقف على قتل شخص بريء لظل هذا القتل عملاً غير أخلاقي، ويذكرنا من خلال هذا الكتاب بأسماء

الفلاسفة الأوروبيين الذين قدموا فكراً وجهوداً كبيرة في هذا المجال الإنساني أمثال روسو وفولتير وهيجل وسبينوزا وغيرهم، وهي الجهود الحاسمة التي قدمها فلاسفة عصر الأنوار في مواجهة ثقافة القطيع الغرائزية، وواجهها بها غضب الشعب وانفعاله بشجاعة، وتحملوا فتاوى التكفير والتخوين وعبارات الإهانة والشتائم، ولكنهم في النهاية نجحوا في الوصول إلى العقل الغائر وقادوا الجماهير إلى بلوغ النهاية الأخلاقية لهذا الكفاح التي أثمرت ظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

يتناول الدكتور حبش فكرة المذهب الإنساني من منابعها الأولى في الثقافة الإسلامية فيختار أصولها المؤسسة من القرآن والسنة النبوية ثم يبحث عن روادها التاريخيين، عبر أسماء كثيرة بذلت جهوداً كبيرة لنشر الفكر الإنساني، أمثال الفارابي وابن سينا وغيرهم ويفرد مساحة تعريفية لأبرز دعاة الإنسانية في تاريخنا الإسلامي، فيمر بأبي العلاء المعري.. شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ويتوقف عند كلمته الخالدة: فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد، ويضيء على المعاني العميقة التي تحملها فلسفة أبي العلاء، والتي تتجاوز رشيق الشعر إلى عميق الحكمة، ويدعو إلى منحه مكانه الذي يستحق بين فلاسفة الإنسان.

ثم ينتقل إلى شيخ الإنسانية محي الدين بن عربي، الذي كان أوضح فقهاء الإسلام التاريخيين في وضوح توجهه الإنساني وخاصة في قصيدته الشهيرة: أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني، ويؤكد حبش أن الشيخ محي الدين ليس لحظة محو في تاريخ الإشراق بل هو لحظة صحو وكمال، وأنه ليس من الصواب الاعتذار عنه بأنها شطحات غير مقصودة، بل إنها جوهر رسالته وهو أعمق ما كتب به في الشأن الإنساني.

أما جلال الدين الرومي فإن الدكتور حبش يتخذة إماماً ومرشداً في فلسفة الحب والإنسانية، وهو يتخير لقرائه كل يوم من روائع الوعي الإنساني الذي كتبه هذا الفقيه الفريد، حيث يعتبر جلال الدين معلماً كبيراً للمتورين من أتباع الديانات، وعند ضريحه في قونية يلتقي دعاة الإنسانية من كل الأديان، ويرددون معه عبارته الخالدة كما ترجمها الدكتور حبش: ديني الحب وعقيدتي السلام وغايتي الله.

هذا هو جوهر لفكر الدكتور محمد حبش رائد الإخاء الإنساني على خطى ابن عربي وجلال الدين، وهو قنديل نور ينير العقول بفكره، ويطمئن القلوب بتسامحه وإيمانه النقي والعميق، وهو لا يتحدث من برجه العاجي للنخب والمثقفين، بل ينزل بنفسه إلى الشارع،

ويتحدث إلى جمهور عريض من القراء وفيهم الغاضب والناقم والآيس، فيخاطب الجمهور ماذا لو بدأ كل منا بنفسه ومن ثم بين أهل بيته ومجتمعه؟! لنعمل معاً على نثر بذور المحبة والتسامح وقبول الآخر المختلف بالانتماء سواء العقيدي أو العرقي أو الثقافي. مثلما نزرع نحصد... من يزرع القمح لا يحصد إلا قمحاً، ومن يترك أرضه بلا زراعة. يغزوها الشوك وتتحول لأرض بوار. ويسطو عليها الأشرار! ماذا لو زرع كل منا حديقته واعتنى بها. لو كل منا زرع في أسرته التسامح والمحبة والعدل وقبول الآخر.. لازهرت مجتمعاتنا وساد السلام والامن.. إنها ليست مجرد مواعظ لغوية وبلاغية، إنها مسؤولية عميقة ومباشرة وفي ظل الواقع الحطم للمجتمعات العربية خاصة، تزداد الحاجة للإخاء الإنساني كل يوم.

والإخاء ليس مجرد شعارات، بل هو التزام حقيقي بالعمل المشترك والتفاني من أجل تحقيق مجتمع أكثر أماناً واستقراراً للجميع.. وهنا لابد من نشر ثقافة الحوار والتفاوض بدلاً من العنف والصراعات وتشجيع العمل التطوعي والإنساني لمساعدة الضحايا والمتضررين وبالشجاعة نفسها التصدي للخطاب المتطرف، ونشر قيم التسامح والعدل والعيش المشترك، من أجل مجتمع انساني راق...

الكتاب هو عمل فكري شامل يهدف إلى إعادة إحياء القيم الإنسانية في الإسلام وتطوير الفقه الإسلامي ليتناسب مع كرامة الإنسان أينما كان، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

يتناول الكتاب مجموعة من المواضيع الهامة التي تشمل نظام العقاب، العلاقات الدولية، التمييز الاعتقادي، وحقوق المرأة. فمثلاً نظام العقاب في الإسلام، يدعو د. محمد إلى إعادة النظر في الأحكام التي تناقض مع كرامة الإنسان. هنا يستفيض بشرح تبديل العقوبات الجسدية بالإصلاح والتوجيه. وإعادة التأهيل، كما يتناول العلاقات الدولية ويدعو إلى تعزيز التعاون والتفاهم بين الدول. لأن للدول دور كبير بإرساء السلام العالمي، وبدون تعاون. وتوافق من الصعب مكافحة الإرهاب والتطرف والعنف، كما يعالج بشكل مباشر مسألة التمييز الاعتقادي في الإسلام، ويدعو إلى احترام حقوق غير المسلمين... والتعامل معهم على أساس إنساني، بغض النظر عن انتماءاتهم، ويدعو بوضوح إلى إحياء قيم المواطنة الصالحة.

ويتألم الدكتور محمد حبش من الصورة التي ينقلها المتعصبون في التراث الإسلامي، حيث فرضوا على المجتمع نسقاً تمييزياً خطيراً يقسم المواطنين بحسب أديانهم ومذاهبهم، ويوزع الحقوق والالتزامات بحسب عقائد الناس، ويمارس الإكراه على الناس لتغيير

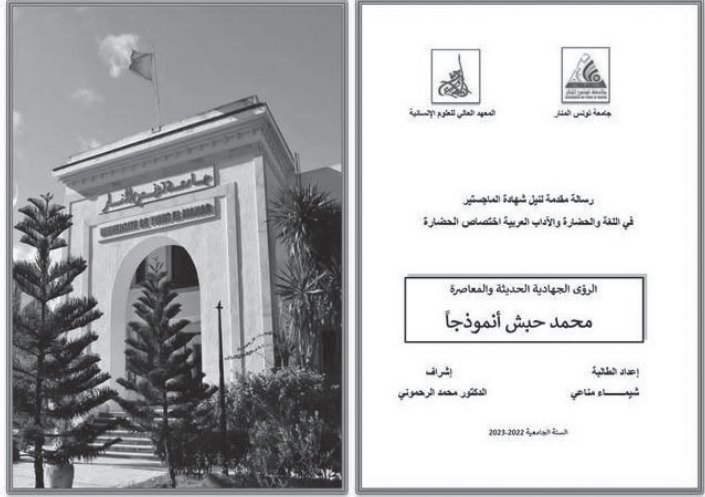
عقائدهم وأديانهم، وهي الصورة التي تشوّه الدين الإسلامي وتبعده عن حقيقته الإنسانية التي جاءت واضحة كنور الشمس: (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟) (لا إكراه في الدين. قد تبين الرشد من الغي).

أما عن حقوق المرأة في الإسلام، فيدعو إلى تعزيز المساواة بين الجنسين، ويواجه الفقه التمييزي الذي يعتبر النساء أدنى مكانة ووعياً من الرجال، ويعتصم في تأكيد ذلك بالنصوص القرآنية الواضحة التي تذكر النساء والرجال على قدم المساواة، ولا تأذن بينهما بأي تمييز فكم من مرة يذكر المؤمنون والمؤمنات.. ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره لم يحدد جنس الإنسان، ولا انتماءه العقدي ولا العرقي، كل نفس بما كسبت رهينة، إنها مساواة واضحة وصريحة، والمساواة هنا في الحقوق الإنسانية.

ويعتمد الكتاب أسلوباً واضحاً ومباشراً، ويستند إلى مصادر إسلامية وأدبية وفلسفية - يستخدم أمثلة وحوارات لتوضيح أفكاره وتسهيل فهمها، ويؤكد باستمرار على هدف الكتاب وغايته في إعادة إحياء القيم الإنسانية في الإسلام على قاعدة قرآنية وأحاديث شريفة.

ختاماً -

يعد كتاب "المذهب الإنساني في الإسلام" للدكتور محمد حبش مساهمة قيمة في فهم المذهب الإنساني في الإسلام.. ولا شك أن د. محمد حبش داعية السلام العالمي.. لا يألوا جهداً في تقديم كل ما يجمع الناس على المحبة والسلام ويحقق الإخاء الإنساني، وهذا ما لمستّه من خلال متابعتي لمنشوراته التي ينشر من خلالها قناديل نور. تضيء الطريق في ظل هذه الفوضى العالمية.. رغم كل ما يتعرض له من سوء فهم من قبل المتطرفين من كل الأطراف..



شيماء المناعي

شيماء المناعي كاتبة تونسية واعدة، تملك قلماً جريئاً ورؤية استشرافية، وقد اهتمت بشكل كبير بكتب الدكتور حبش ودراساته في المذهب الإنساني وخاصة في موقفه من الجهاد ودعوته إلى تحويل الجهاد العقائدي من قتل للمشركين والكافرين إلى جيش وطني يعمل في سياق الدولة الوطنية.

وقد تجاوزت مع رغبتها جامعة تونس المنار فقررت مناقشة رسالة الماجستير بعنوان: الجهاد في فكر الدكتور محمد حبش

وفي رسالتها التي بلغت نحو مائة صفحة استعرضت بشكل واف رؤيتها لبرنامج الدكتور حبش الإصلاحية ورسائله في السلام وتحديات الوعي بمفهوم الجهاد في الإسلام والمنهج التأصيلي الذي اعتمدته حبش في التحول من جهاد الغزو والدعوة إلى الجيش الوطني وتظهر في الرسالة أيضاً جهود الدكتور محمد الرحمني للتعريف بالدكتور حبش للمجتمع التونسي كواحد من رواد التنوير.

وهذه المقالة جزء من مقدمتها لرسالة الماجستير التي نوقشت في جامعة تونس المنار 2025

**الجهاد والسلام في فكر
الدكتور محمد حبش**

في هذا الإطار اخترنا أن تكون رسالتنا في الماجستار حول الجهاد وتحديدًا حول الرؤى الحديثة للجهاد التي خلصت الجهاد من التفاسير القديمة ذات النزعة التمجيدية والبعيدة عن الحقيقة والواقع. وبعد نقاش مع الأستاذ المشرف اخترنا أن يكون المفكر السوري المعاصر محمد حبش هو موضوع الرسالة.

إن اختيارنا لهذا المؤلف له عدة أسباب نراها وجيهة:

هو مفكر وباحث وخطيب متنور رغم أنه تلقى تكوينًا إسلاميًا تقليديًا، فهو من هذه الناحية يذكرنا بطله حسين وعلي عبد الرازق اللذين تمردوا على المؤسسة الدينية التقليدية. درس في سوريا ولبنان والسودان وهي تعتبر معقل للفكر الإسلامي المعتدل والتجديدي. لديه مشروع فكري تنويري إذ أسس رابطة كتاب التنوير في سوريا كما انتخب مرتين رئيسًا لجمعية علماء الشريعة في سوريا. له إشعاع خارجي محترم إذ تحصل على دكتورا الشرف من جامعة كرايوفا الرومانية، وإثر ذلك ترجمت الجامعة مؤلفاته إلى اللغة الرومانية. لديه رؤية تجديدية وتنويرية للجهاد إذ عمل في بحوثه الأكاديمية على تخلص الجهاد من صبغته الحربية العسكرية الدموية.

إننا نهدف بهذه الرسالة إلى عدة أهداف:

*تعريف القراء والباحثين بمحمد حبش بصفته مفكرًا إسلاميًا تنويريًا غير معروف في تونس رغم اجتهاداته وكثرة مؤلفاته.

*التعريف بإحدى الرؤى الحديثة للجهاد غير معلومة للجميع وهي رؤية تنويرية من داخل المؤسسة التقليدية الدينية فالباحثون يعرفون طه حسين وعلي عبد الرازق ومحمود أبورية وغيرهم من التجديدين ولكن اسم محمد حبش غير مشهور ورؤيته للجهاد لم تنشر مثل كتاب «الإسلام وأصول الحكم» أو كتاب «أضواء على السنة المحمدية».

*المساهمة في الترويج للرؤى الجهادية التنويرية والمعتدلة لمواجهة الرؤى التكفيرية والتقليدية للجهاد.

كلّ هذه العوامل وهذه الأهداف شجعتنا على الغوص في الموضوع رغم صعوباته المتأتية من كل حذب وصوب فمحمد حبش ورغم قيمته فهو ليس موضوعا للدراسات والبحوث فما زال غير معروف في الدراسات حول الجهاد وتطوره في العصر الحديث باستثناء بعض المقالات التحريضية أو العدائية والتكفيرية وسنعرض لها في الفصل الثالث من هذا العمل. ومن ناحية ثانية يكاد يكون مشروعه الفكري (قراءة 52 كتابا حسب موقع ويكيبيديا) مقتصرًا على الجهاد. ومن المعلوم أنه لا يمكننا الاطلاع على كل هذه المؤلفات. ولتجاوز هذه الصعوبات اخترنا أن نركز على أهم مؤلفاته في الجهاد أي تلك التي قدرنا أنها الأكثر تمثيلا لفكره وموقفه من الجهاد. ومن ناحية ثالثة فقد واجهنا صعوبة في الإلمام بالكتابات المتعلقة بالجهاد المطبوعة في نسخ ورقية فاضطررنا إلى اعتماد النسخ الإلكترونية، ولكن ينقصها التدقيق أحيانا فلا نجد في بعضها لا اسم دار النشر ولا عدد الطبعة ولا أي تاريخ للنشر.

وفيما يتعلق بالمنهج اخترنا المنهج الوصفي الاستقرائي المقارني قصد استقراء مدونة محمد حبش وتبين مواقفه من هذه المسألة. ونعني بذلك الاطلاع على مؤلفات حبش في الجهاد ومحاولة استقراء موقفه من الجهاد عبر مقارنته بالرؤى الأخرى خاصة الرؤى التقليدية حتى نرى مدى تجديده أي هل هو تجديد كامل أم جزئي أم شكلي. فتنوع المواقف يوسع لنا آفاق المقارنة بين ما جاء به محمد حبش وسابقوه كما يساعدنا على رصد تحولات مفهوم الجهاد عبر العصور مستفيدين من المنهجية التاريخية.

ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول بعنوان «الجهاد في الفكر الحديث» وهو بمثابة المدخل الضروري حتى نضع موقف محمد حبش من الجهاد في موضعه الصحيح وفي سياقه التاريخي. قد حاولت اختيار المفكرين المعنيين بالجهاد في العصر الحديث وفق معيار كثرة كتاباتهم وكثرة طرحهم لهذه المسألة فاخترنا كلاً من محمد عبده وعبد العزيز الثعالبي ورشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب. كل ذلك لكي نربط الحاضر بالماضي ونرى هل طوّر محمد حبش فكرة الجهاد أم لا. وقد مكنتنا هذا الفصل من معرفة المنهج الذي اتخذه كل منهم وهو ما سنستند إليه في المقارنة بين ما قدمه هؤلاء وبين ما أتى به محمد حبش.

أما الفصل الثاني فهو مخصص للتعريف بمحمد حبش وكتاباته وفكره بصورة عامة وخطبه المنبرية ولقاءاته الإعلامية... الخ. ودافعنا إلى ذلك أنه غير مشهور وغير معروف لدى الكثير من المختصين في قضايا الجهاد.

أما الفصل الثالث وهو بعنوان «الجهاد في فكر محمد حبش» فهو أهم الفصول وجوهر عملنا. وقد سعينا فيه إلى الإلمام بموقفه من الجهاد من كل الجوانب الممكنة فتحدثنا عن الحضور الكمي للجهاد في كتاباته وعن الحضور المباشر وغير المباشر ونوعية مقاربتة للموضوع، ومجموعة القضايا المتعلقة بالجهاد مثل التكفير والعلاقات بين الدول... الخ.

لكل ما ذكر سابقا فإن أقصى طموح هذه الرسالة هو التعريف بمحمد حبش أولا وعرض موقفه من الجهاد ثانيا. وأما نقد موقفه نقدا شاملا ومستفيضا فهو يتطلب مساحة أكبر ووجود دراسات نقدية نسترشد بها. وهذا لا يعني أن النقد غائب، بل سعينا إلى إثارة بعض النقاط التي ربما تكون ركيزة عمل آخر في المستقبل يقدم رؤية نقدية شاملة لفكر محمد حبش.

لقد سعينا في هذه الرسالة قدر ما نستطيع أن نعرف بمحمد حبش وموقفه من الجهاد وقد تطلب منا ذلك جهدا كبيرا في القراءة والتمحيص والمقارنة شعارنا في ذلك «من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر». ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نقدم شكرنا الكبير للأستاذ المشرف الدكتور محمد الرحمني الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

والله الموفق



إسماعيل الفياض

الغنوصية في فكر
محمد حبش

هذا العنوان هو موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة حلب الحرة 2025 وهي تتناول كتب الدكتور حبش في المذهب الإنساني، وقد اتخذت اللجنة المناقشة والطالب موقفاً نقدياً حاداً من التوجه الإنساني في كتابات الدكتور حبش، وقد قام الباحث إسماعيل الفياض بطباعة كتاب خاص بعنوان: الفكر الغنوصي عند الدكتور محمد حبش، وفيه يناقش مآلات المذهب الإنساني الذي يدعو له الدكتور حبش، وفي حين تقدم الدراسات المختلفة في هذا الكتاب جوانب التكامل والاستجابة بين الخطاب الإنساني وخطاب الوحي، فإن هذه الدراسة تذهب إلى أن الدور الإنساني في التشريع هو تمرد على شريعة الله، وإخلاق في الأرض وخروج عن ثوابت الدين الحنيف.

وذهب الكاتب إلى أن فكرة الإشراق الداخلي هي فكرة محايدة للشريعة، فلا يوجد في الإنسان شيء، بل هو محض وعاء مهمته أن يتلقى الشريعة عن أهلها، وإن إصرار الحبش على منح الاتفاق بين الناس عبر البرلمانات ومجالس الشورى دوراً تشريعياً هو تمرد على الله ورسوله، وعبث في وهم الإشراق يشوش على طهارة الوحي وتفصيل الكتاب. في هذه الفقرة اخترنا مقال الدكتور حبش في توضيح موقفه من الغنوصية، والذي كتبه في أعقاب صدور الكتاب:

لا أذكر أنني تحدثت في كتيبي عن الغنوصية، ولكن لا بأس فهي كلمة جميلة ومحايدة، والغنوصية تعني الإشراق من الداخل، والبحث عن النور في القلب وعن الحقيقة في الفطرة، وأصل الكلمة من المفردة الإنكليزية Gnosticism وهي تكريس لعبارة (أنا أعلم) JE KNOW IT وهي مقتبسة من أصل يوناني حيث يكون ضمير المتكلم حرف JE كالفرنسية، بدلاً من حرف I في الإنكليزية.

وأول من وصف بها القديسون المسيحيون الأوائل الذين كانوا يتحدثون عن إشراق الله في الإنسان وانبثاق النور من قلب الإنسان والحكمة من عقله والسكينة من فؤاده. وهذه المصطلحات تسري على جميع الأمم وهي كمصطلح الصوفية والعرفانية والتوحيدية والباطنية والظاهرية والتأويلية والتفويضية، فهي ممارسات موجودة في كل دين.

وعند الغنوصيين فالمعرفة باطنية وروحية، تنبثق من الذات من الداخل، حيث هي تنبثق من فطرة الله تعالى، التي لا تزال نقية طاهرة بعيداً عن تلوث الأهواء والنزعات والفلسفات. وبعيداً عن المصطلح اليوناني، فالغنوصية عندي تنطبق تماماً على ما شرحته في كتابي المذهب الإنساني في الإسلام: هي الثقة بالإنسان والبحث عن الأسرار في داخله، وهي تهدي بآيات وأحاديث كثيرة: استفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك، البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما تردد في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس، وقوله: فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وغير ذلك من الآيات الكثيرة في سياق الفطرة ونور القلب.

وأكبر أعلام الإسلام من الغنوصيين الإنسانيين هو الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، وقد لخص فلسفته الغنوصية الإنسانية ببيتين من الشعر كان يرويها للإمام علي كرم الله وجهه:

دواؤك فيك ولا تشـ	وداؤك منك ولا تبصر
وتحسب أنك جرم صغيـ	وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي	بأحرفه يظهر المضمـ

وبعد.....

فهذه جملة دراسات اخترناها لك كتبها باحثون يخلصون في بحثهم عن الحقيقة، ويشاركون في تنوير الوعي بالمذهب الإنساني، سواء من الأفق الإسلامي أو من الأفق الأوسع لإخاء الإنسان بالإنسان.

إن المذهب الإنساني ضرورة حتمية لبناء آمال لمستقبل مختلف بعد أن جربت بلادنا الحزينة أشكال الإيديولوجيات المختلفة من قومية ودينية وعرقية وطائفية، وكانت النتيجة ما ترى لا ما تسمع!

في أفق كهذا يبدو الحديث عن المذهب الإنساني ضرورة مجتمعية وإنسانية وسياسية أيضاً لولادة وعي جديد، مبرء من العنصرية، والطائفية، ودوافع العنف والقهر.

لقد اجتهد الباحثون الكرام في هذا الكتاب أن يقدموا البرهان على مركزية الإنسان في الإسلام وضرورة مواجهة الفهم التمييزية والعنصرية التي اختلطت بقضايا الفقه الإسلامي، وكذلك الغلو في الدين الذي جعل الشريعة أقدم من الإنسان، وتحاول هذه الدراسة أن تقدم للمسلم روحاً جديدة تنهض به من تكايا الهمود والخوف إلى منابر الإقدام والعطاء، وتحاول أن تشب به على قدمين راسختين يعالج بالإرادة والعزيمة وهن الخوف والذل الذي فرضه عليه خطاب كهنوتي رهبوتي لا يرى في الله إلا جلاداً ولا يرى في الإنسان إلا غيباً ضائعاً يحتاج للسلط بـاستمرار حتى يمشي على الصراط المستقيم.

إن استنباط القيم الإنسانية من مصادر الشريعة بات عملاً بديهياً وقد كتب فيه مئات من الباحثين على مستويات مختلفة، وهو اتجاه وجيه يعلي من القيم الإنسانية التي نادت بها الشريعة كالمساواة في العدالة وفرص العمل والتعليم والرحمة بالصغير واحترام الكبير ورعايته وتولي ذوي الإعاقة باحترام وعناية وبر الآباء وصلة ذوي الرحم والتكافل الاجتماعي وغير ذلك من القيم الإنسانية.

تريد هذه الدراسة أن تؤكد أن الإخاء الإنساني هو هدف نهائي للإسلام، وأن ما تعانيه الأمة من خطاب التمييز والإقصاء، ونظم العقاب اللاإنسانية ناشئ عن جمود الفكر وتوقف الاجتهاد، وأن

الأمة الإسلامية قادرة على التطور والتجدد، وأن النص الديني نفسه نص مرن ومتطور، ويمكنه أن يستجيب لحاجات المجتمع الحقيقية وذلك وفق قواعد العقل المتينة التي يسميها الفقهاء قواعد أصول الفقه الإسلامي، وأن الفقه الإسلامي قادر على أن يتخلى عن كثير من الأحكام التي تكرست عبر القرون، وأن يستجيب للروح القرآنية الكريمة التي تؤكد بوضوح على محورية الإنسان ووجوب تحقيق كرامته وهي حقائق أكدها النص الأعلى، الذي يجعل اختلاف الألسنة والألوان والأديان والأعراق رحمة ونعمة، وآية من آيات الله، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير.

إننا في مركز الدراسات لبحوث الإخاء الإنساني إذ نقدم هذه البحوث للقارئ الكريم فكلنا أمل أن نسهم في نشر الوعي وإطلاق المشاريع الرائدة في مجتمعاتنا وترشيدها والبناء عليها، أملاً في ولادة مجتمع جديد يؤمن بالإنسان ويحترم الأديان ويعمل لاستقرار الأوطان.

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ



الفهرس

9	 مقدمة
13	 علي وطفة
	 محمد حبش عراب التنوير الإسلامي
15	 في الأزمنة الصعبة قراءة ومضية في فكر التسامح
31	 أحمد الرمح
33	 المذهب الإنساني إسلامياً؛ محمد حبش أنموذجاً
39	 إنصاف ديب الزعيم
	 قراءة تحليلية في كتاب المذهب الإنساني
41	 للدكتور محمد حبش
47	 حمزة رستاوي
	 النبي الديمقراطي بين الخطاب التنويري والإسقاط
49	 الرغبوي (المذهب الانساني عند محمد حبش)
59	 خلف الجراد
	 رؤية المُفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور محمد حبش
61	 للمذهب الإنساني في الإسلام
75	 رياض درار
77	 المذهب الإنساني في الإسلام رؤية لعصر جديد
83	 ريمون جرجي
85	 رسالة الإخاء الإنساني لدى الدكتور محمد حبش

89	 سامر سعد
91	 في سبيل التنوير.. دوماً
97	 سامر شنواني
99	 (الضوء يزعج من اعتاد الظلام) جبران خليل جبران
105	 عبد الرزاق الزيتون
	 مشروع الإخاء الإنساني عند الدكتور محمد حبش
107	 تأصيل قرآني وتجديد منهجي
111	 علاء تباب
113	 المذهب الإنساني دين لا نبي له!
123	 علي محفوظ
125	 الدكتور محمد حبش والمذهب الإنساني
133	 عماد دعبول
	 في مدارج الإخاء الإنساني تأملات صوفية في رسالة الدكتور
135	 محمد حبش
141	 كمال صلاح
	 قراءة نقدية في مشروع الإخاء الإنساني والمذهب الإنساني
143	 للدكتور محمد حبش
147	 د. عائشة الحكيم
	 إخاء الأديان وكرامة الإنسان.. قراءة في المذهب الإنساني
149	 عند الدكتور حبش
153	 محمد صباح
	 الإخاء الإنساني بين التاريخ والفكر: من نانت
155	 إلى ويستفاليا إلى فرجينيا
161	 الشيخ محمد غرزاني
	 الإخاء الإنساني .. هل هو حتمية تاريخية للخلاص من
163	 الصراعات؟

167	- مصعب الشيخ ويس
	- الإخاء الإنساني بين المثل الديني والتحدي الواقعي ..
169	- قراءة نقدية في مشروع الدكتور محمد حبش
175	- الشيخ مرشد الخزنوي
	- الأيديولوجيا المغلقة والمذهب الإنساني .. دراسة تحليلية
177	- في بنية الإقصاء ومسارات التحرر في الفكر الإسلامي
187	- هلال خليل عون
189	- حول المذهب الإنساني عند الدكتور محمد حبش
195	- وليد هنيدي
197	- إلى الأخوة الأعزاء في مركز دراسات الإخاء الإنساني
201	- باسل قس نصر الله
	- نبذة عن الشيخ الدكتور محمد حبش .. كما يكتبها صديقُه
203	- المسيحي المهندس باسل قس نصر الله
209	- حسن صباريني
211	- رسالة المذهب الإنساني عند دكتور حبش
215	- علاء الدين آل رشي
	- المذهب الإنساني في قراءة د. محمد حبش: دراسة
217	- في إعادة بناء العلاقة بين الدين والإنسان
221	- مفيدة مصطفى
223	- المذهب الإنساني في الإسلام
229	- شيماء المناعي
231	- الجهاد والسلام في فكر الدكتور محمد حبش
235	- إسماعيل الفياض
237	- الغنوصية في فكر محمد حبش

